

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالقاهرة
نشر كتابها في اللغة العربية

الكبرى

في إفريقية في العصر الأموي

٤٠-١٣٢هـ / ٦٦٠-٧٥١م

رسالة ماجستير

مقدمة من الباحث

عالم محمد عبد اللطيف الجندى

إشراف

د. د. حسين يوسف دويدار

أسناد الشايخ الإسلامى بالكليية

منتدی سور الأزبکیه

WWW.BOOKS4ALL.NET

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
سيدنا محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد

فإن دراسة أحوال العناصر أو الشعوب غير العربية التي دخلت في الإسلام، واستظلت بظله وانضوت تحت لوائه ، تعتبر من الأمور المهمة لمعرفة مدى الأثر الذي أحدثه هذا الدين الجديد فيها حتى أصبح لها دور لا ينكر في بناء تاريخ الأمة الإسلامية وحضارتها.

ومن هذه العناصر أو الشعوب شعب "البربر" وهم سكان الشمال الإفريقي، الذين تعددت قبائلهم ، ومميزاتهم الخاصة التي تميزوا بها عن غيرهم من الشعوب ، وقد شارك هذا العنصر بعد فتح الإسلام بلاده في نشر الإسلام في أماكن أخرى ، وخاصة في الأندلس ، وكانت لهم إسهاماتهم في بناء الحضارة الإسلامية على خلاف ما هو شائع من أن البربر لم يكن لهم دور يذكر في بناء الحضارة مثل "الأتراك".

ومن هنا كانت دراسة أحوال البربر بعد دخولهم في الإسلام من الأهمية بمكان ، لمعرفة مدى الأثر الذي أحدثه هذا الدين الجديد فيهم ، وبيان الدور الذي قاموا به في بناء الحضارة الإسلامية ، فضلا عن الفتوحات ، لذا فقد وقع اختياري على موضوع له أهمية في هذا الصدد وهو:

"البربر في إفريقيا في العصر الأموي" حيث ثارت أقوال ،

وأقوال عن سياسة الأمويين تجاه العناصر غير العربية ، والتي أطلق عليها "إسم الموالي"

ومن ثم فقد أردت دراسة أحوال عنصر من هذه العناصر الأجنبية ، وهو العنصر البربري لمعرفة الحقيقة التاريخية في هذه الأقوال ، وأمثالها ، والوصول إلى شئ تظمن إليه النفس فيما يتعلق بأحوال العناصر غير الأجنبية "الموالي" ، وبالأخص العنصر البربري في العصر الأموي من خلال دراسة هذا الموضوع.

وعلى الرغم من الفترة الكبيرة التي مكثها العرب في فتح بلاد المغرب، والتي بلغت أكثر من سبعين سنة نتيجة لطبيعة هذه البلاد الجغرافية، وتكوين البربر الذين اتصفوا بالقوة، والبأس، والعصبية، وشدة المراس، ونتيجة لمقاومة الرومان حكام هذه البلاد، وتحريضهم للبربر ضد الفاتحين الجدد، إلا أننا نجد هناك دورا كبيرا قد لعبه البربر، وخاصة بعد اعتناق الكثيرين منهم للإسلام، حيث شاركوا في فتح بلاد المغرب، كما شاركوا في فتح الأندلس، وانخرطوا في سلك الدولة الإسلامية، وساهم الكثيرون منهم في وضع لبنات في صرح الحضارة الإسلامية.

ومن ثم فإن البربر شعب يستحق الدراسة، وخاصة بعد دخوله في الإسلام مباشرة، وانضوائه تحت لواء الدولة الإسلامية لتوضيح الدور الفعال الذي قام به في الفتوح في إفريقية والمغرب، ومساعدتهم للعرب في فتح الأندلس، ونشر الإسلام فيها، لهذا وغيره فقد اخترت هذا الموضوع لدراسة أحوال هذا العنصر، وبيان أحواله المختلفة في عصر بنى أمية، وتمحيص روايات المؤرخين التي كثرت في هذا الصدد، لاسيما فيما يتعلق بسياسة ولاية بنى أمية بالنسبة للبربر، وكذلك العلاقات بين بعض هؤلاء الولاة التي كثرت فيها الأقاويل، مثل العلاقة بين عقبة بن نافع، وأبي المهاجر، وعلاقة أبي المهاجر بكسيطة، وعلاقة حسان بن النعمان بالكاهنة، هذا إلى جانب علاقة يزيد^{سأيل} مسلم بالبربر التي تسببت في نفور البربر من بعض تصرفاته، وقد واكب هذه المعاملة غير الطيبة للبربر دخول الخوارج إلى إفريقية، حيث وجدوا أرضا خصبة لنشر مذهبهم، وفكرهم، مما أدى إلى ايقاظ شعور البربر، ونزعتهم الإستقلالية، فنتج عن ذلك قلاقل كبيرة سادت معظم أنحاء

إفريقية والمغرب ، لولا حكمه الدولة الأموية ، وتداركها أخطاء ولاتها ، لصاعت هذه المنطقة من أيديها.

هذا إلى جانب تأثير العرب على البربر في اللغة ، والأخلاق ، والدين ، حتى أصبحت لغة البربر الأولى اللغة العربية في مدة قصيرة من بداية الفتح ، وكان إقبال البربر كبيرا على الدخول في الإسلام ، حتى دخل معظم قبائل البربر في الإسلام في ولاية إسماعيل بن أبي المهاجر في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان ذلك في بداية القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وستة فصول ، وخاتمة.

تناولت في **المقدمة** سبب اختياري لهذا الموضوع ، مع بيان الخطة التي سرت على نهجها ، وتعرضت لأهم المصادر التي اعتمدت عليها في دراسة هذا الموضوع.

أما التمهيد : فقد تناولت فيه التعريف بشعب البربر ، وآراء المؤرخين و الكتاب في تحديد معنى كلمة "البربر" وكلمة "المغرب" ، "إفريقية" ، وإنقسام البربر إلى قسمين "برانس" ، "وبتر" وسبب هذا التقسيم ، وأماكن توزيع هذه القبائل، ثم التعريف بلغة البربر ، ومفرداتها قبل الإسلام ، وديانتهم هذا إلى جانب الملامح ، والسمات الخاصة بهم.

أما الفصل الأول وعنوانه **"فتح العرب للمغرب"** فقد تحدثت فيه عن ، فتح عمرو بن العاص للأسكندرية ، وتفكيره في فتح برقة ، وطرابلس حتى تم فتحها ، ثم وضحت دور عبه الله بن سعد بن أبي سرح في الفتح ، وصدامه مع والي إفريقية البيزنطي "جرجير" وقتله ، بالإضافة إلى حملة معاوية بن حديج ، وفتح لعدة مدن بإفريقية ، منها سوسة ، وبنزرت ، ويعد ابن حديج صاحب فكرة إنشاء قاعدة لنتيبت أقدام المسلمين في إفريقية ، ثم بينت دور عقبة بن نافع ، وانشائه مدينة القيروان ، ودورها المؤثر في الفتوح، وعلاقته بأبي المهاجر دينار، وناقشت الروايات التي وردت بشأن هذه العلاقة ، وبينت كيف أساء بعض المؤرخين فهم هذه العلاقة فصورها على

أنها كانت علاقة خصومة ، وعداوة ، وإنتقام ، بالإضافة إلى بيان علاقة عقبة بكسيلة زعيم قبيلة أوربة البرنسية ، ووضحت دور زهير بن قيس البلوى فى الحفاظ على قواته حتى وصول حسان بن النعمان الذى بذل جهودا ضخمة ، ولا سيما بعد أن تمكن من هزيمة الكاهنة ، ورد إعتبار المسلمين فى إفريقية ، فلم يوجه اهتمامه للإنتقام منها ، ولكن وجه جل إهتمامه لوضع نظام جديد تسير عليه إفريقية بعد أن أصبحت ولاية تابعة للدولة الأموية.

أما الفصل الثانى وعنوانه "أحوال البربر السياسية فى عصر ولاة بنى أمية" فقد تناولت فيه دور موسى بن نصير فى إكمال الفتح ، ونشر الإسلام

فى المغرب الأقصى ، وجهوده فى تدعيم العلاقة بين العرب ، والبربر ، وفى سبيل هذا ، ولى أحد البربر قيادة جيشه ، وهو "طارق بن زياد" ، ثم تناولت أسباب عزل موسى بن نصير بالنقد ، والتحليل ، والرد على الإتهامات الموجهة له ، بالإضافة إلى الرد على الإتهامات الموجهة إلى ابنه عبد العزيز ، ثم وضحت دور إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر فى بسط نفوذ الإسلام بين بقية البربر ، ثم تحدثت عن مرحلة أخرى مغايرة بدأت بيزيد بن أبى مسلم الذى أساء معاملة البربر فقتلوه ، ثم تناولت دور كل من عبيد الله ابن الحباب ، وسياسته تجاه البربر ، ثم دور كل من كلثوم بن عياض ، وحنظلة بن صفوان فى ثورة البربر ، واسترداد هيبه العرب مرة أخرى ، ثم تناولت آخر ولاة بنى أمية على إفريقية وهو عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، واستيلائه على السلطة من حنظلة بن صفوان ، وإقراره الأمن والاستقرار فى إفريقية.

أما الفصل الثالث وعنوانه "الحالة الإقتصادية لدى البربر فى

العصر الأموى" فقد تناولت فيه أولا أماكن الزراعة ، وأهم الجبال التى تسبب سقوط المطر ، وأنواع المياه التى يعتمدون عليها فى الزراعة ، كمياه الأمطار، والأنهار ، والآبار ، والعيون ، ثم أهم الأنهار ، كنهـر الملوية ، وسبو ، ومجردة ، ثم أنواع التربة سواء كانت سوداء ، أو رملية ، أو حمراء، أو جبلية ، ثم السهول ، بالإضافة إلى طريقة الزراعة ، وأهم المحاصيل الزراعية ، وملكية الأرض ، وأوضاع الفلاحين ، ثم تحدثت عن

حرفة الرعى ، وأهم مناطقه، ونظامه المتبع بين البربر. وتحدثت عن **حرفة الصناعة** ، وبينت أهم الصناعات لدى البربر ، مثل صناعة السفن ، والمنسوجات ، والجلود ، والزجاج ، والبلور ، والصناعات الخشبية ، والغذائية ، وصناعة العطور ، والأواني الفخارية ، والزبيب ، وصناعة طحن الغلال ، ثم تعليم الحرف الصناعية.

وتحدثت عن التجارة ، وبينت أهم الطرق المستخدمة فى التجارة فى بلاد إفريقية والمغرب سواء كانت ساحلية ، أو صحراوية بالإضافة إلى طرق القوافل ، ودور هذه الطرق فى ربط البربر بعضها ببعض ، ونشر الإسلام ، وزيادة حركة التبادل التجارى ، ثم تناولت أنواع التجارة السائدة مثل تجارة الزيتون ، المنسوجات ، والأقمشة ، وتجارة الحيوانات ، والطيور ، ثم أهم الموانى المستخدمة فى التجارة ، مثل ميناء تونس ، وطبرقة ، ثم تناولت الأسواق ، ودور المحتسب فى السوق ، والتعامل فى الأسواق ، والعملية المستخدمة ، كالدينار ، والدرهم ، بالإضافة إلى دارسك العملة ، وتغيير حسان بن النعمان للشعار الموجود على العملة ، ثم الأدوات المستخدمة فى البيوع مثل الصنوع ، ثم أماكن هذه الأسواق ، ودور هشام بن عبد الملك فى تنظيم الأسواق.

أما الفصل الرابع وعنوانه "الحالة الإجتماعية لدى البربر فى

العصر الأموى" فقد تناولت فيه نظام الحكم داخل قبائل البربر ، وعرفت القبيلة، وطبقاتها ، وشيخها ، ومواصفاته، ثم تحدثت عن العصبية وأنواعها: عصبية الدم ، وعصبية الإنتماء ، وفائدتها ، وهى تمثل العامل المشترك بين العرب والبربر، ثم وضحت عناصر السكان فى إفريقية والمغرب ، وعلى رأسها البربر ، والأفارقة ، والروم ، بالإضافة إلى طوائف النصارى ، واليهود ، هذا إلى جانب الحديث عن مظاهر الحياة الإجتماعية ، مثل المأكل ، والملبس، والمسكن ، ووضع المرأة ، ومكانتها الإجتماعية لدى البربر ، بالإضافة إلى الحديث عن الإحتفالات العامة ، والخاصة لدى شعب البربر فى العصر الأموى.

أما الفصل الخامس وعنوانه "انتشار الإسلام واللغة العربية

بين البربر فقد تناولت فيه دور كل من عمرو بن العاص ، وسعد بن أبي سرح فى "غزوة العبادلة" ، ودور جميع ولاة إفريقية والمغرب فى عصر بنى أمية فى نشر اللغة العربية ، وتعليم البربر مبادئ أصول الدين ، ثم الدور الهام الذى قام به عمر بن عبد العزيز ، وإرساله عشرة من كبار التابعين ، وما كان لهم من الأثر الواضح فى ترسيخ ، وتوضيح مبادئ ، وقواعد الدين، ونشره بين البربر. ثم تحدثت عن عوامل إقبال البربر على الإسلام ، وعن مراكز التعليم التى ساعدت فى نشر الإسلام ، وتعليم اللغة العربية مثل الزاوية، والرباط ، الكتاب ، والرحلة فى طلب العلم ، بالإضافة إلى دور الخوارج فى نشر الإسلام.

أما الفصل السادس وعنوانه "ثورات البربر فى العصر الأموى"

فقد تناولت فيه أسباب الثورة التى قام بها البربر ضد الأمويين بالتحليل سواء كانت أسباب إقتصادية ، أو إجتماعية ، أو عنصرية ، أو سياسية ، وبينت أيضا دور الخوارج ، ودعاتهم فى قيام الثورة ، ثم تحدثت عن بداية الثورة ، وقصة الوفد الذى ذهب إلى قصر الخلافة فى دمشق ، وعن إشتعال الثورة بقيادة ميسرة المطغرى ، وعن غزوة الأشراف ، ونتائجها ، وتناولت آراء الكتاب ، والمؤرخين فى هذه الثورة ، وقيام الخليفة هشام بإرسال جيش كبير بقيادة كلثوم بن عياض ، ثم تحدثت عن موقعة بقدورة ، وسبب هزيمة كلثوم، وتصدى حنظلة بن صفوان خليفة كلثوم للبربر ، وتمكنه من هزيمتهم فى موقعة القرن ، والأصنام ، وبينت كيف استطاع عبد الرحمن بن حبيب الفهرى آخر ولاة بنى أمية على إفريقية والمغرب ، السيطرة على ثورات الأقاليم المختلفة سواء كان فى طرابلس ، أو تونس ، أو باجة ، أو غيرها من الأقاليم التى شقت عصا الطاعة على شريعة الخلافة الأموية.

أما الخاتمة: فقد لخصت فيها موضوع البحث ، وأتيت فيها ببعض النتائج التى استخلصتها من خلال دراستى له ، ثم نهيتها بتنشيت للمصادر ، والمراجع ، وفهرس للموضوعات.

ولقد اعتمدت فى دراستى لهذا الموضوع على كل ما أمكن الحصول عليه من المصادر الأصلية ، سواء كانت مصادر تاريخية ، أو جغرافية ، أو كتب تراجم وطبقات ، أو كتب خاصة بالحسبة ، والفلاحة ، واللغة ، والتفاسير ، ... وغيرها.

وكان من أهم المصادر التاريخية التي إعتمدت عليها كتاب:

١- فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ/٨٧١م وهو من أقدم مصادر فتح العرب لبلاد المغرب ، وأهم من نقل عنهم ، ابن عبد الحكم ، ابن لهيعة المتوفى سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م ، وفقه مصر الليث بن سعد المتوفى ٧٥هـ/٧٩١م ، ويزيد بن أبى حبيب المتوفى سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م وهو نوبى الأصل من الرواه الثقات لفتوحات مصر والمغرب وأستاذ لهيعة ، والليث بن سعد ، ويحيى بن عبد الله بن بكير المتوفى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م الذى جمع عددا من السجلات ، والوثائق ، وأهداه لابن عبد الحكم ، ومن أهم مصادر ابن عبد الحكم فى الجزء الخاص بتاريخ المغرب عثمان بن صالح المتوفى سنة ٢١٩هـ/٨٣٤ - ٨٣٥م وقد اعتنى ابن عبد الحكم بالإسناد الذى جرى عليه رواه الحديث ، ولكنه ترك الرواية دون نقد ، بيد أنه خالفهم من حيث موضوع الدراسة ، وتبويب مادته العلمية ، وقد أمدنا بمعلومات مهمة عن فتح العرب لإفريقية، وخاصة ولاية بنى أمية ، وأسباب ثورة البربر التى قادها مسيرة المطغرى عام ١٢٢هـ/٧٤٠م.

٢- وكتاب تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيروانى المتوفى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، وترجع أهمية هذا الكتاب الذى فقد ، إلى القطعة التى وجدت منه ، والتى تبدأ من أواسط القرن الأول الهجرى، وتنتهى فى القرن الثانى الهجرى ، وقد حققها الأستاذ المنجى الكعبى، ونقل عن الرقيق القيروانى كثيرون ، منهم ابن الأثير ، وابن عذارى ، وابن خلدون ، والنويرى ، وقد أمدنا بمعلومات هامة عن الفتح العربى لبلاد البربر خلال عصر الولاية "العصر الأموى".

٣- وكتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وعلى الرغم من أن معظم الكتاب خاص بالأندلس ، إلا أنه

أمدنا بمعلومات قيمة عن ثورة البربر في إفريقية ، وتفاصيل عدد جيش كلثوم بن عياض ، وسبب هزيمته من البربر .

٤- وكتاب **جمهرة أنساب العرب لابن حزم** المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م

وهو من أهم كتب الأنساب ، وأوثقها ، وهو المصدر الذي اعتمد عليه ابن خلدون ، وغيره من المؤرخين ، والجغرافيين كثيرا ، وقد أمدنا بمعلومات عن أصول البربر ، وأهم قبائلهم ، وبطونهم.

٥- وكتاب **البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى**

المتوفى فى أواخر القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ، وترجع أهميته إلى اعتماده على الكثير من المصادر القديمة ، والمفقودة ، أو المعاصرة القريبة من الأحداث التاريخية ، ومما يزيد من قيمته أن أصول هذه المصادر التى اقتبس منها قد فقدت.

٦- وكتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر**

ومن **عاصره من ذوى السلطان الأكبر ، لابن خلدون** المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م وتعتبر مقدمته ، وتاريخه من أهم مصادر البحث ، ويمتاز ابن خلدون عن أسلافه ببراعة التنظيم ، والربط ، والدقة فى تبويب الموضوعات ، وكانت مقدمته شرحا ، وتمهيدا يفهم من خلالها التاريخ ، وتعرف وقائعه ، فيعرض فيها نظرياته فى مجالات كثيرة منها التاريخ ، والإقتصاد والإجتماع ، وهى من أهم مصادر البحث لما تضمنته من إشارات كثيرة عن الحياة السياسية ، والإقتصادية ، والإجتماعية ، هذا إلى جانب نظم الحكم.

أما كتابه **العبر** فيرجع إليه الفضل فى إعطاء معلومات مفصلة عن قبائل البربر فى إفريقية والمغرب ، وبصفة عامة فقد أمدنا ابن خلدون بمعلومات غزيرة انفراد بها دون غيره من المؤرخين وأفادتنا فى معظم فصول الرسالة.

٧- وكتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة المتوفى
سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م وقد أمدنا بمعلومات انفراد بها عن موسى بن نصير،
وفتوحاته في المغرب ، وخاصة المغرب الأقصى ، وعلاقة موسى
بالبربر ، والأعمال التي قام بها في سبيل تدعيم هذه العلاقة.

المصادر الجغرافية:

ترجع أهمية المصادر الجغرافية إلى أنها تكمل المصادر التاريخية التي
أهتمت بالأحداث السياسية ، إلى جانب إمدادنا بمعلومات ذات طبيعة متنوعة
منها الإقتصادية ، والإجتماعية ، وما يختص بعادات ، وتقاليد الشعوب. ومن
هذه المصادر الجغرافية التي اعتمدت عليها:

١- مخطوطة خريدة العجائب وفريدة الغرائب لأبي عبد الله عمر بن مظفر

بن عمر المصري المكنى "ابن المصري" المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م
ويتحدث فيها عن شكل الأرض ، وأقاليمها ، وأقطارها ، وممالكها ،
وطرقها، ومسالكها، وموضع كل مملكة ، وقد أفادت البحث بمعلومات
هامة عن الحياة الإقتصادية للبربر بجوانبها الزراعية ، والصناعية ،
والتجارية.

٢- ومخطوطة أخرى بعنوان رسالة في الجغرافيا مجمولة المؤلف

أمدتني بمعلومات هامة عن دراسة الحياة الإقتصادية ، وخاصة في مجال
الصناعة ، والتجارة.

٣- وكتاب صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل الذي عاش في القرن الرابع

الهجري ، العاشر الميلادي ، وبدأ برحلته سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م من بغداد ،
وعاد إليها بعد ثلاث قرن ، زار خلالها بلاد المغرب ، وقد أفاد ابن حوقل
الجغرافيين لاسيما ياقوت الحموي في كتابة معجم البلدان ، وقد أمدنا
بمعلومات عن مدن إفريقية والمغرب ، وما بها من قبائل للبربر ، كما
أفادت في دراسة الحياة الإقتصادية لدى البربر.

٤- كتاب المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب للبكرى

المتوفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وقد ألف كتابه "المسالك والممالك" ، ولم يتبق منه إلا الأجزاء الخاصة بالمغرب ، وقد اعتمد البكرى فى كتابه على مسالك إفريقية ، وممالكها لمحمد بن يوسف الوراق ، وكتاب البكرى من أهم كتب الجغرافيا بالنسبة لموضوع البحث ، فقد أمدنا بمعلومات تاريخية، وجغرافية أفادت فى تراجم المدن التى سكنتها قبائل البربر ، والطرق ، والمسالك المؤدية إلى بعضها ، وأمدنا بمعلومات ساعدت فى دراسة الحياة الإقتصادية ، والإجتماعية عند البربر .

٥- وكتاب نزوة المشتاق فى اختراق الإفراق للإدريسى

المتوفى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م وقد أمدنى بمعلومات أفدت فيها فى دراسة الحياة الإقتصادية ، الإجتماعية عند البربر .

٦- وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموى

المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م وهو معجم مرتب على حسب حروف الهجاء ، وقد مهد له بخمسة فصول ، تتناول صورة الأرض ومعنى بعض الإصطلاحات الجغرافية ، وهو موسوعة جغرافية لاغنى عنها ، وقد أمدنا بمعلومات عن المدن التى جاء ذكر معظمها فى فصول الرسالة، هذا إلى جانب تعرضه لذكر أصل البربر ، والحياة الإقتصادية عندهم .

٧- وكتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم

الحميرى، وهو معجم جغرافى مرتب على حروف الهجاء ، ليسهل الكشف عن اسم الموضوع الذى يريده الباحث ، وهو ليس معجماً جغرافياً، بل هو معجم جغرافى تاريخى يصف الأقطار ، وما بها من الأخبار ، والوقائع المتصلة بها وقد اعتمد على الإدريسى ، والبكرى ، واليعقوبى ، واعتمدت عليه فى تراجم بعض المدن التى لم يرد لها ذكر فى المصادر الأخرى .

٨- وكتاب الإستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول ،

عاش فى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى ، ومن مصادره

ابن عبد الحكم ، والمسعودى ، والبكرى ، والإستبصار من المصادر القيمة التى أفادت الباحث فى تناول الحياة الإقتصادية ، والإجتماعية لدى البربر ، والكتاب خليط من الجغرافيا ، والتاريخ ، والعمران ويحتوى على وصف مكة ، والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب ، والسودان.

كتب التراجم والطبقات:

تتبع كتب التراجم ، والطبقات منهجا قريب الشبه من بعض ، فهى تذكر اسم المترجم ، وكنيته ، ونسبته إلى بلده الذى ولد فيه ، أو الذى كان فيه أصله إذا ما هاجر من بلد مولده ، وتبين شيوخه ، ومن أخذ عنهم ، وعلومه ، ثم تختم الترجمة بتاريخ الوفاة ، ومكانها ، ما كان ذلك متيسرا ، بالإضافة إلى أن هذه المصادر لها أهمية كبرى فى دراسة الأحوال الإقتصادية ، والإجتماعية ، والثقافية، وقد اعتمدت على عدة كتب من أهمها:

١- طبقات علماء إفريقيا لأبى العرب محمد بن أحمد بن نميم

المتوفى سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م وهو من أهم الكتب الخاصة بطبقات رجال المغرب، والصحابية ، والتابعين من العباد ، والزهاد ، والصالحين ، وخاصة خلال العصر الأموى ، وغيره من الطبقات الأولى ، وقد استفدت منه فى الترجمة لكثير من الأسماء التى ورد ذكرها فى البحث.

٢- رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان ، وإفريقية ، وزهادهم ،

وعبادهم ونساکهم ، وسير من أخبارهم ، وفضائلهم ، وأوصافهم للمالكى ، المتوفى فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى ، وقد أمدنا بمعلومات عن الفتح العربى لإفريقية ، والعوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام بين البربر ، بالإضافة إلى التراجم لكثير من الشخصيات التى ورد ذكرها فى البحث.

٣- الحلة السبيرة لابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ/٢٥٩م الذى يضم تراجم

أعلام أهل الأندلس ، والمغرب اعتبارا من أهل المائة الأولى.

٤- معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان للدباغ المتوفى سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م أو سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م. والكتب الأربعة يكمل بعضها البعض ، رغم أنها جميعا تبدأ بطبقات الرجال من البداية.

وقد اعتمدت أيضا على كتاب **المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب** للونشريسى المتوفى سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م وهذا الكتاب يتعلق بقضايا إجتماعية ، وعلى الرغم من أنه يأتي بعد فترة البحث إلا أنه أمدنا بمعلومات أفادت فى دراسة أوضاع العاملين فى الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وفى بعض دراسة المناسبات الإجتماعية كالأحتفالات ، والأعياد لدى البربر ، واعتمدت على كتب الحسبة التى أفادتنا فى دراسة أحوال السوق مثل كتاب **النظر والأحكام فى جميع أحوال السوق ليجبى بن عمر** ، المتوفى سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م وهو كتاب يختص بشئون الأسواق ، وما يجرى فيها، هذا إلى جانب كتاب **الحسبة للسفطى ، وابن عبدون.**

كما اعتمدت على كتب ، ومخطوطات خاصة بالفلاحة مثل مخطوطة **الفلاحة للغزى ، والفلاحة الرومية ، لغسطوس ، والفلاحة المنتخبة للتمادتمرى**، وكتاب **الفلاحة لابن بصال** ، وكتاب **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول** ، وقد أفادت هذه المخطوطات الخاصة بالفلاحة الباحث فى التعرف على أنواع التربة ، وطرق الزراعة ، والتسميد ... إلخ.

كما اعتمدت على بعض كتب التفسير ، مثل كتاب **جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري** المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م للتأكد من واقعة رده عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، بالإضافة إلى كتب الفرق ، مثل **الفرق بين الفرق للبغدادى** المتوفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م و**الملل والنمل للشهرستانى** ، المتوفى ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، وتعد كتب الفرق ، والملل من الكتب المتخصصة فى التاريخ لعلماء أهل السنة ، إلا أنها تناولت أيضا تاريخ الإسلام ، ومذاهبه ، ونحله، ومنها الموجودة فى بلاد المغرب مثل الخوارج وغيرها من النحل الأخرى، كما استعنت ببعض قواميس اللغة لتوضيح بعض المفردات مثل قاموس **المنجد فى اللغة** للأب لويس معلوف.

كما أطلعت على كثير من المراجع الحديثة ، مثل كتاب **فتح العرب للمغرب** لحسين مؤنس ، و**تاريخ المغرب الكبير** د/السيد سالم ، محمد دبوز ، و**ورقات عن الحضارة العربية** حسن حسنى عبد الوهاب ، و**دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس** د/أحمد مختار العبادى و**تاريخ المغرب العربى** د/سعد زغلول وغيرهم. ولم نغفل الإطلاع على الدوريات التى أفادتنا فى البحث مثل **دائرة المعارف الإسلامية** ، و**مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمديرى** ، و**مجلة كلية العلوم الإجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود ... إلخ.**

وفى النهاية أتوجه بعظيم التقدير والإحترام إلى أستاذى المشرف

أ.د/ حسين يوسف دويدار أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الأزهر ، فقد استفدت بتوجيهاته ، ونفعتى كثيرا بملاحظاته ، واتسع صدره ، وقلبه ، ومكتبته للبحث والباحث ، وكان له فضل كبير فى ظهور هذا البحث أمام حضراتكم ، فله جزيل الشكر والإمتنان.

كما لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم معى فى إخراج هذا البحث كالأستاذ/ **عبد المعز على سعد حسين** أستاذ الجغرافيا بالأزهر ، والأستاذ/ **محمود أبو جريدة** أستاذ اللغة العربية بالأزهر ، كما أشكر من قام بإعداد هذا البحث كتابة ، وطبعا ، وتصويرا ، وتجليدا.

التمهيد

الباحث

شعب وقبائل البربر دراسة عامة

- تعريف البربر .
- أَسْمَاء البربر .
- الدين عند البربر .
- اللغة عند البربر .
- حركات البربر .

التمهيد

تعريف البربر:

البربر (١) شعب سكن الشمال الإفريقي منذ فترة كبيرة ، وعلى امتداد هذه الفترة كون له سمات خاصة به ، وانتشر في كل أنحاء المغرب.

(١) أصل كلمة بربر وما دار في تفسيرها ، هناك اختلاف كبير في تفسير هذه الكلمة: قيل: إنها مشتقة من كلمة البربر ، أى اختلاف الأصوات غير المفهومة ، كما يقال بربر الأسد إذا زار بأصوات غير مفهومة ، وقد أطلق العرب كلمة بربر في عهدهم على الأمة التى تسكن الساحل الإفريقي ، لأنهم يتكلمون بلغة ليست لهم ، والعرب يطلقون كلمة بربر على الأصوات المتجمعة غير المفهومة لهم [ابن خلدون العبر : ج ٦ ، ص ١٧٦ سنة ١٩٨١م، بيروت . د/السيد سالم : تاريخ المسلمين في المغرب والأندلس ، ص ١٨ اسكندرية بدون تاريخ. الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص ٦ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣م، دار المعارف ، مصر]

ومن ذلك قول الشاعر: بربرت كنعان سقتها: من بلاد الضنك للخصب العجيب
أى أرض سكنوها ولقد: فازت البربر بالعيش الخصيب

[ابن خلدون: مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٨٤ . الناصرى السلاوى: الإستقصا ، ج ١ ، ص ٥٣ سنة ١٩٥٤م الدار البيضاء]

وقيل : إن أفريقيش بن قيس بن صيفى لما فتح بلاد المغرب ، وسمع رطانه أهلها، تعجب من ذلك وقال "ما أكثر بربرتكم" [البلاذرى:فتوح البلدان ، ص ٢٧٠، مطبعة لجنة البيان العربى لاطوغلى ، بدون تاريخ-ابن خلدون:مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٧٥]

وقيل : إن البربر من أصل عربى ينتسبون إلى رجل من حمير يسمى بر بن قيس هاجر إلى المغرب فلم يفهم لغة أهلها ، فسمها بربره ، وسماهم البربر [ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٧٥]

وقيل : إن هذا الأسم أطلقه الرومان على سكان المغرب ، لأنهم كانوا يعتبرونهم غرباء على حضارتهم ، فسموهم بربر [د/السيد سالم : مرجع سابق ، ص ١٨]
وقيل : إنه لفظ إغريقي ، كان اليونان يطلقونه على كل من لا يتكلم الإغريقية فيسمونه بارباروى [د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م القاهرة]

وقيل : إن العرب لاحظوا ، أن لغة البربر يكثر فيها استعمال حرف الباء ، والراء فقالوا ما هذه البربرة (البارابار) Bor Bri [د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٨٠ اسكندرية]

وقيل : إن هذه الكلمة مصدر لكلمات ... مثل البربرى وهم لا يستعملون هذا التعبير بل يرونه مستهجنًا ، ويسمون أنفسهم "الرجال الأحرار" كما يسمون أنفسهم نسبة إلى قبائلهم كالمصامدة ، والزواوة .. إلخ [د/عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣٤ سنة ١٩٨٦م دار الكاتب العربى للطباعة ، والنشر القاهرة]

وفى هذا يقول ابن خلدون عنهم "هذا الجيل من الأدميين سكان المغرب القديم، ملئوا البسائط، والجبال من تلولة، وأريافه، وضواحيه، وأمصاره، وهم أمم لاتحصى، ينسب كل إلى موضع القبيل الذى تنزله" (١)

وكلمة البربر تطلق على جماعات مختلفة فى خصائصها، ولا علاقة لها بلون البشرة، وهم أجناس متعددة كونت شعبا متحدا منذ أقدم العصور، قدموا إلى هذه البلاد من منطقة البحر المتوسط، عن طريق مجموعتين، المجموعة الأولى استقرت فى شمال إفريقية، حيث مال لونها إلى البياض، والأخرى استقرت فى الجنوب حيث مال لونها إلى السواد.

والراجح أن كلمة البربر أطلقها اليونانيون على كل من لا يتكلم الإغريقية، وانتقلت إلى الرومان ثم أخذها العرب عنهم، أما البربر أنفسهم فلا يطلقون على أنفسهم هذه التسمية بل يعرفون أنفسهم بأسماء شعوبهم وقبائلهم.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الآراء اجتهادات من المؤرخين، أما القول الفصل فى هذه النقطة فلم يتضح، ولم يظهر بعد الدليل المؤكد لإثباتها، وتعتبر هذه الآراء محاولة لتسجيل التنوع الحالى، وتفسيره، وتحاول أن تسقطه على الأزمنة القديمة، وعلى هذا فالتسمية بالبربر لا علاقة لها بالجنس، وإنما علاقتها باللغة. (٢)

وذكر البعض أن معنى البربرى فى اللغة / المتوحش أو الهمجى [لويس معلوف : المنجد فى اللغة. ، ص ٢٢ الطبعة السابعة عشر، بدون تاريخ، بيروت] (١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٧٦ .

- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٦١ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ببيروت.

- د / عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣١ .

- محمد بركات البيلى : البربر فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى عصر الإمارة ٩٢هـ / ٣١٦هـ ٧١١ / ٩٢٩م ... رسالة دكتوراه غير منشورة بأداب القاهرة سنة ١٩٨٢م.

مكروفيلم رقم (c02-0649)

(٢) د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣ .

- د/أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، ج ٤ ، ص ١٢١ الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م القاهرة.

وكان استقرار البربر في بلاد المغرب (١) منذ عهد بعيد، "والمغرب إسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة الشرق".

(١) المغرب : عبارة عن إقليم مستعرض يسير من الشرق إلى الغرب دون أن يكون له عمق عمراني كبير، ويعتبر المغرب وحدة جغرافية متصلة بعضها ببعض ، تمتد من برقة شرقا إلى البحر المحيط "الأطلسي" غربا ، والبحر الرومي "المتوسط" الذي ينتهي إلى سواحل الشام شمالا ، والصحراء الكبرى بين السودان ، وبلاد البربر جنوبا هذا في الغالب .

ولكننا نجد من يدخل مصر ضمن تقسيم بلاد المغرب ، كابن خلدون ، وابن حوقل ، ومن يدخل جزيرة الأندلس ضمن هذا التقسيم كياقوت الحموي .

وبما أن المغرب وحده جغرافية كبيرة ، فقد قسم إلى ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : "المغرب الأدنى" وقاعدته القيروان ، وسمى أدنى لأنه أدنى إلى بلاد العرب ومركز الخلافة ، ويمتد من غرب مصر حتى تاهرت بالجزائر ، ويشمل الأن ، "برقة ، وطرابلس ، وتونس ، وعمالة قسنطينة".

القسم الثاني : "المغرب الأوسط" وقاعدته تلمسان ويمتد من تاهرت حتى جبل سبته ، ووادي مولديه ، ويشمل الأن جبال القبائل وعمالة الجزائر ووهران إلى ملوية .

القسم الثالث : "المغرب الأقصى" وقاعدته فاس في مراكش ، ويمتد حتى البحر المحيط ، ويشمل الآن من وادي ملوية إلى البحر المحيط .

[المحيط الأطلسي] ثانی أكبر المحيطات ٨٢٤٣٩٧٠٠ كم ٢ ، يقع بين الأمريكتين ، وقارتی أوربا ، وإفريقية ، يتصل بالمحيط الهادي عبر قناه بنما ، وبالبحر المتوسط بواسطة مضيق جبل طارق ، أهم أذرعة الغربية خليج هدسن بكندا ، وخليج المكسيك ، والبحر الكاريبي ، وأهم أذرعة الشرقية بحر الشمال ، خليج بسكاي ، والبحر المتوسط وخليج غينيا ، أقصى المسافات عبره دكار ، ومنبعج البرازيل . [محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١١٦٥ بدون تاريخ ، بيروت]

ومن الجدير بالذكر أن العرب في وقت لاحق لم يألفوا هذا التقسيم غير المحدد بمضامين جغرافية حيث أنه لا توجد حواجز طبيعية تحدد بين الأقالم الثلاثة ... هذا تعتبر بلاد المغرب مستقلة عن بقية أجزاء القارة ، وتنقسم إلى جزئين الأول من : برقة ، وطرابلس ليبياً ، وتعتبر امتداداً لمصر من الناحية الجغرافية .

الثاني : تونس ، والجزائر ، والمغرب هذه الأقسام الثلاثة عرفت بعده أسماء منها إفريقية الصغرى تميزا لها عن بقية القارة الإفريقية ، وأيضا : بلاد أطلس توكيدا لسطحها الجبلي ، وعلى الرغم من أن الجبال تعتبر عائقا ، أو مانعا طبيعيا إلا أن الوضع هنا يختلف ، فالجبال عملت على ارتباط دول المغرب بعضها ببعض .

- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٥٣ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .

- الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٥٣ =

كما يقول ابن خلدون (١) وبلاد المغرب تسمى "إفريقية" مع اختلاف الآراء فى تفسير هذه الكلمة (٢)

والبربر قدموا إلى بلاد المغرب من أماكن مختلفة (٣)

- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٤ ، بدون تاريخ ، بيروت .
- على بهجت : قاموس الأمكنة ، ص ١٣٢ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م القاهرة .
- الجزنائى : زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ، ص ٤ سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م الجزائر .
- الأنصارى : نخبة الدهر ، ص ٢٣٤ .
- جويستان لويون : حضارة العرب ، ص ٢٤٣ ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، بيروت.
- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٩١ سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م القاهرة .
- محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع القهرى ، ص ١٦ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١م القاهرة .
- د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠ .
- د/ يسرى الجوهري : جغرافيا العالم الإسلامى ، ص ٢٧٩ ، منشأة المعارف سنة ١٩٨١م اسكندرية .
- د/ محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية ، ص ١١٠ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م ، القاهرة .
- د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢١ ، سنة ١٩٦٦م .
- محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص ٥١ : ٥٤ ، سنة ١٩٦٠م ، مصر .
- (١) - ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٩٣ .
- (٢) بلاد المغرب تسمى إفريقية مع اختلاف الآراء:
- فهناك من يرى أنها "إفريقية" بمعنى ضاحية السماء [الأنصارى : مصدر سابق ، ص ٢٣٤] ومن يرى أنها ترجع الى "إفري" الفينيقية ثم حرفت إلى إفريقية وأخذها العرب عنهم [د/السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ١٧]
- ومن يرى أنها نسبت الى أفريقش بن صيفى الحميرى ، أو أفريقش بن أبرهه الرأس [ابن الفقيه : مختصر البلدان ، ص ٧٨ ، طبعة ليدن ، سنة ١٣٠٢هـ]
- ومن يرى أنها سميت إفريقية نسبة إلى الأفارقة قوم فاروق بن مصر بن حام بن نوح ، وهو أول من نزلها يولده [ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٧٥ . الأنصارى . مصدر سابق ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ . ابن الفقيه . مصدر سابق ، ص ٧٨]
- أما إفريقية ، أو أفريقيا الآن هى إحدى القارات الكبرى ، والثانية من حيث المساحة تمتد ما بين خطى عرض ٤٠ شمالا و ٤٠ جنوبا ، تبلغ مساحتها ٣٠,٣ مليون كيلو متر مربع ، أطلق العرب لفظ إفريقية على شمال القارة [أحمد عطيه الله: القاموس الإسلامى : ، ج ١ ، ص ١٤٠ ، سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٣م القاهرة]
- (٣) يورد ابن خلدون فى كتابة العبر من آراء لمجموعة من المؤرخين المسلمين مثل ابن الكلبي والجرجاني ، والطبرى ، والمسعودى ، والبكرى ، وخلصتها أن البربر من الشام ، وأنهم طردوا من فلسطين عندما قتل داود ملكهم جالوت .
- وقال بعضهم مثل ابن عبد البر القرطبي ، والصولى أنهم من مصر من أبناء مصرائيم بن حام ، مصريم ابن حام ، وأبناء قبط من حام . =

يقول جوستاف لوبون (١) إن المهاجرين السود الشعور أتوا من نهر الفرات ، ومن شبة الجزيرة العربية ، وهناك رأى آخر لجورج بارتون وخلصته : أن البربر هم خلاصة الحاميين ذوى البشرة الفاتحة اللون (٢) وأن موطنهم الأصلي شمال إفريقية على مر العصور ، ولم يهاجروا منه ، لكن أحد الباحثين (٣) يورد رأيا لجون جنتر يقول فيه: إن منشأ الجنس البربرى يعتبر سرا غامضا ، ومن الجدير بالذكر أن معظم روايات العرب ذات طابع أسطورى ، ولكنها تحمل فى ثناياها بعض الحقيقة التى تعبر عن هجرة البربر إلى الشمال الإفريقى ، وهى هجرات فينيقية (٤) إلى قرطاجنة(٥)

=وتذكر بعض الروايات أن طوائف البربر أدعت أن أصلهم جميعا من اليمن ، وأنهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ.

وأراد مالك بن المرجل فيما نقله ابن خلدون أن يوفق بين هذه الروايات ، فقال إنهم من أصول متعددة من قبط ، وعماليق ، وحمير ، وكنعانية ، ومصرية ، وقريشية اجتمعت فى الشام.

لكن ابن خلدون نفى معظم هذه الروايات ، وأثبت أن البربر أبناء كنعان بن حام بن نوح ، وهو ما تضمن رأى الطبرى ، وابن المرجل. [أنظر ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٨٢ ، ١٨٥ . ابن أعثم الكوفى الفتوح ، ج ٢ ، ص ١ الطبعة الأولى دار الندرة ، بدون تاريخ ، بيروت . ياقوت الحموى:معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ، ج ٥ ، ص ١٦١ . الأنصارى:نخبة الدهر، ص٦٧ . الجزنائى : زهرة الأوس ، ص ٦ . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٥ الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٢م ، دار المعارف ، القاهرة]

(١) جوستان لوبون: حضارة العرب ، ص ٢٤٤ .

(٢) الحاميون : هم أبناء حام بن نوح ، وينتمون إلى الجنس الأبيض شعرهم مسترسل لون بشرتهم أبيض [د/ عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣٦]

(٣) د/ عبد المنعم عبد العال : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٤) الفنيقيون : هم قوم يتكلمون اللغة السامية ، وقيما ، ومنذ فجر تاريخ الشرق الأوسط احتلوا الشاطئ الشرقى من البحر المتوسط ، واستقروا فى فينيقيا ، ثقافتهم تكاد تكون مماثلة لثقافة ولغة الكنعانيين فى فلسطين ، وفى سنة ١٢٥٠ ق.م استطاعوا السيطرة على التجارة ، وأعمال الملاحة فى البحر المتوسط ، وكانت لهم أسفار حول القارة الإفريقية وتجارة منها ، خشب الأرز اللبناى ، والأوانى الزجاجية ، والفخارى ، والأوانى النحاسية ، أسسوا عدة مدن منها طنجة ، وقرطاجنة فى القرن التاسع قبل الميلاد ، يرجع إليهم الفصل فى إختراع حروف الكتابة ، عبدوا آلهة ومنها اله الخصوبة ، وكانوا يسمونه "يعل" [محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٣٥٦ . د/كوثر عبد الرسول وآخر: إفريقية ، ص ٣١٠ ، سنة ١٩٦٦م، بيروت]

(٥) قرطاجنة : بالفتح ثم السكون ، وطاء مهملة ، وجيم ونون مشددة ، قيل إن اسم هذه المدينة عبارة عن جزءين : الأول من قرطا ، وأضيف إليها جنة لطيبها ، ونزهتها ، وحسنها ، وهى مدينة قديمة فينيقية من نواحي إفريقية ، كانت مدينة عظيمة شامخة البناء ، وأسوارها من الرخام الأبيض ، لها من العمد الرخام المتنوع الألوان مالا يحصى ، وقد بنى المسلمون من رخامها لما خربت عدة مدن ، ولم يزال الخراب منذ زمن عثمان بن عفان ، وهى تقع على ساحل البحر ، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا ، وعمرت تونس من أنقاضها ، وعندما ولى حسان بن النعمان إفريقية علم ٧٣هـ / ٦٩٢م قال أى مدينة بإفريقية أشد؟ قيل له ليس=

التي ظلت عاصمة المغرب إلى مجئ العرب (١) وهذا ينفي الرأى القائل بإفتراض وجود هجرات من البحر المتوسط (٢) عبر مضيق جبل طارق (٣)

والبربر يتمتعون بصفات ، وقدرات ترجع إلى الأصول الحامية الأولى حين حملتها الهجرات البشرية أصلا من اليمن ، وعمان إلى شرق ، وشمال إفريقيا ، منها القدرات البدنية القديمة التي تجعلهم قادرين على القيام بمهام حربية ، وتحمل المشاق. (٤) وقد احتفظ البربر بنزعتهم الحامية ، والسامية رغم محاولات الرومان المستمرة ، واستخدامهم الوسائل الحربية ، والمدنية المشروعة ، وغير المشروعة لطبع المغرب بالطابع الرومانى ، ولكنهم لم ينجحوا فى هذا ، حيث لم يكن لهم فاعلية فى تعديل هذا الإتجاه (٥)

وخلاصة القول: أن اتصال البربر الحضارى قد أوجد نوعا من الإختلاط فى جنس البربر بين فروق حامية ، وأخرى سامية ، وهذا لا يعنى أن جنس البربر كله كما يرى بعض الباحثين مجموعة عناصر طارئة على هذا الوطن، أتت بهم الهجرات البشرية من المشرق نتيجة لظروف سياسية خاصة (٦)

= مثل قرطاجنة ، فنازلها ، وقاتل أهلها فتنا لأشديدا ، ثم طلبوا الأمان فأعطاهم إياه ، ثم غدروا فرجع إليها حتى ملكها [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م بيروت . ابن أبى دینار : المؤنس ، ص ٢٩٠، سنة ١٣٥٠م تونس .

د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٠ . د/ كوثر عبد الرسول وآخر : إفريقيا ، ص ٣١٠]

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٢) البحر المتوسط : هو اسم قديم ، وله أسماء كثيرة منها : البحر المالح تميزا له عن بحر النيل، أو نهر النيل ذى الماء العذب ، ويطلق عليه البحر الأخضر تميزا له عن المحيط الأطلنطى الذى يسمى البحر المحيط أو البحر الأعظم أو بحر الظلمات [دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ ، سنة ١٩٣٣م، دار الشعب القاهرة]

(٣) مضيق جبل طارق : عبارة عن رأس صخرى يقع فى الطرف الجنوبى لشبة جزيرة أيبير لم يكن إتساعة قديما يزيد على أربعة أميال ، وعرضه ثلاثة أرباع الميل ، وأعلى ارتفاع له فى بعض الأجزاء منه يصل إلى ٤٢٠ متر ، عرف عند اليونانيين القدامى بإسم "أعمدة هرقل" ولما جاء الفتح الإسلامى عام ٩٢هـ / ٧١١م إلى هذه المنطقة أطلق عليه العرب أسماء عديدة منها مضيق المجاز ، أو خليج الزقاق أو بحر الزقاقى ، أو مضيق جبل طارق ، وهى التسمية المشهورة بها حاليا. [د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤ ، بدون تاريخ ، اسكندرية . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، ج ١ ، ص ٥٨٠ . ابراهيم زرقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٨١ ، مكتبة الآداب بالجماميز ، بدون تاريخ]

(٤) د/ رشيد الناصورى : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٨٦ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٦م، القاهرة.

(٥) د/ رشيد الناصورى : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

(٦) موسى لقيال : المغرب الإسلامى ، ص ٤٧ الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٩م، قسنطينة.

ومن الجدير بالذكر أن سكان المغرب العربي لم يعدموا على إمتداد تاريخهم هجرات سامية وافدة ، نجح أصحابها فى خلق ظروف التعايش والإندماج بالوسائل المختلفة مع البربر أبناء البلاد الأصليين لدرجة ذوبان هذه العناصر فى البربر. (١)

يقوى ذلك الموقع الجغرافى الذى لا تقوم فيه حواجز طبيعية كبرى تفصل بين مصر ، وبلاد الشام وشبة الجزيرة العربية وبين هذه البلاد ، يؤمد هذا ، النجاح الذى حققته هجرة القبائل العربية التى خرجت من مصر فى القرن الخامس الهجرى "الحادى عشر الميلادى" مثل قبائل بنى هلال ، وبنى سليم (٢) يؤكد إمكانية قيام وإندماج هذا النوع فضلا على أن الهجرات الفينيقية من ساحل الشام ، تلك التى أدت إلى إنشاء مستعمرات فينيقية تم فيها الإندماج بين سكان البلاد الأصليين ، والعناصر الطارئة من الفينيقيين تكاد تكون أمرا معترفا به لدى كثير من المؤرخين (٣)

أقسام البربر:

١- القسم الأول : البربر الحضر : وهم الذين يسكنون النواحي الخصيبة الشمالية ، يطلق عليهم "البرانس".

٢- القسم الثانى : البربر الوبر : وهم الذين يسكنون المناطق الصحراوية الجنوبية ، ويطلق عليهم "البتير" (٤) وقد نفى أحد الباحثين هذا التقسيم ، وكانت

(١) محمد على دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٣١ ، الطبعة الأولى، عيسى الحلبي سنة ١٩٦٣م ، القاهرة.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥٠٦ قبائل بنى هلال : قبائل بدوية يمنية إنتقلت إلى مصر فى ولاية عبید الله بن الحبحاب لم يستطيع اخضاعهم الأمويين ، ولا العباسيون ، ولا الفاطميون ، فكثرت فسادهم فى الأرض ، وبالعباد [الميلى : تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، ص ١١٥ سنة ٣٥٠هـ، المطبعة الجزائرية ، فسنطينة] خرجت من مصر متجة إلى بلاد المغرب فى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م دون أن تجد عوائق طبيعية تمنعها من مواصلة السير [دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥٠٦]

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥٠٢.

جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٤٤٧ .

(٤) البتير : نسبوا إلى ماذغيس بن بر ، والبرانس إلى برنس بن بر ، ويرجع البعض تقسيم البربر إلى برانس ، وبتير إلى إنقسام العرب إلى قحطانيين ، حيث كانت قحطان عاربة تسكن اليمن ، وتتمتع بنظام إجتماعى ، وسياسى فيه نوع من الإستقرار ، وإلى عدنانيين حيث كانت عدنان مستعربة تنتشر فى مكة إلى ما حولها من بادية الحجاز فى حياة بدائية تقتقد إلى=

حجته هي التداخل الواضح بين قبائل البربر المختلفة ، فمثلا نجد البربر الحضر مختلطون مع بربر البدو ، فبعض قبائل البرانس تعيش فى جوف الصحراء عيشة بدوية مثل صنهاجة الصحراء (١) وكذلك نجد قبيلة زنانة البترية التى يقول عنها ابن خلدون "إنها أكثر القبائل البربرية حضارة ، وعمرانا" ويمكن تحليل هذا النفى كالاتى:

أولا: قبيلة زناتة جعلها ابن خلدون فرعا قائما بذاته.

ثانيا: أن هناك قبائل كثيرة ينطبق عليها مصطلح بدو ، فالقياس هنا يكون بحسب الأكثرية ، أو الأغلبية.

ثالثا: إن الفروق بين القسمين هي فروق إجتماعية ، وثقافية توجد بين سكان الحضر ، وسكان البادية ، ولا يمنع من صحة هذا أن يكون بعض الحضر قد تبدوا ، أو يكون بعض البدو قد تحضروا (٢) ويرى المستشرق "وليم مارسية" أن تسمية البرانس والبتر إنما جاءت تبعا لنوع الثياب المعروف فى المغرب ، فالثوب الوطنى المشهور فى البلاد كان البرنس (٣) وهو غطاء الرأس المخروطى الشكل الذى مازال مستعملا إلى الآن ، ويطلق عليهم لفظ "البرانس" أما من كانوا يلبسون هذا الرداء قصيرا ، ودون غطاء الرأس فأطلقوا عليهم لفظ "البتر" بمعنى أبتتر أو ناقص. (٤) وهذا التفسير ليس صحيحا على إطلاقه ، إذ أن المثلثين ، وهم من الفرع الصنهاجى الذى يعتبر عمدة البرانس لم يعهد هذا فى ملابسهم ، وعلى الرغم من هذا فإن نوعية الثياب تخضع إلى حد كبير للظروف الطبيعية ، والإجتماعية ، والإقتصادية والثقافية،

= النظام ، والإستقرار ومن ثم فقد قسموا البربر عندما فتحوا بلادهم إلى قسمين مشابهيين لهم

[ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٩٩ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ،

ص ١٣٥ سنة ١٩٦٦م . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ٨٩]

(١) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٩٩ .

د/ حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١ سنة ١٩٥٧م ، القاهرة.

(٣) البرنس : هو كل ثوب يكون غطاء الرأس جزء منه متصلا به قلنسوه طويلة ، كانت تلبس

فى صدر الإسلام [لويس معلوف : المنجد فى اللغة ، ص ٣٦]

(٤) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٨ ، بتر - بتره بترًا : قطعة والأبتر هو

المقطوع [د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٤ ، لويس معلوف : مرجع سابق ،

ص ٢٥]

وبالتالى فإن هذا التحليل يرجع الأمر إلى مجموعة الظروف التى تتولد هى الأخرى عن التقسيم إلى حضر وبادية ، حيث يعتبر هذا التقسيم فى عمومه فاصلا بين بئتين مختلفتين من الناحية الثقافية ، والظروف الإجتماعية، والإقتصادية ، بالإضافة إلى أن تقسيم البربر تقسيم قبلى محض يقوم أساسا على الوشائج ، والروابط القبلية (١)

وعلى الجانب الآخر يشير الدكتور / حسن محمود إلى وجود خلاف عميق بين قبائل البربر البرانس ، والبتر (٢) ويرى البعض أن تقسيم البربر إلى برانس ، وبتر لا يعرف مصدره (٣) ويعتقد البعض الآخر أنه من إبتداع النسابة العرب (٤) إلا أنه يحتمل أن يكون هذا التقسيم قد جاء عن طريق البربر أنفسهم ثم تطور بعد اتصالهم بالعرب (٥) أو أنه جاء عن طريق العرب أنفسهم عندما قسموا شعب البربر على نمط تقسيمهم ، حيث إن العرب ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما : قحطان ، وعدنان ، كذلك جاء تقسيم البربر إلى قسمين رئيسيين أيضا هما البتر ، والبرانس.

ويذكر ابن خلدون ، وابن حزم (٦) أنه يوجد بين النسابين خلاف هل هما لأب واحد "برنس" ، "وما دغيس" فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبى يزيد

- (١) الببلى : البربر فى الأندلس ، ص ٩ .
- (٢) يعتبر البعض أن الخلاف بين البربر خلاف جنسى محض ، وأن هذا الخلاف باق إلى اليوم وأن القرية المغربية لازال فيها هذان العنصران المتباغضان أبدا ... بيد أن هذا التفسير ينطوى على كثير من المبالغة لأن البرانس ، والبتر قد إمتزجوا عبر التاريخ على نحو نماذج القبائل العربية ، على أنها فرعان لشجرة واحدة [د/حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٩٠]
- (٣) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، الطبعة الرابعة. بدون تاريخ.
- (٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٨٧ . د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ١٩ .
- (٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٧ .
- (٦) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩١ ، ٤٩٥ .
- ابن حزم ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ، أبو محمد على بن حزم القرطبى مؤرخ ، وفقهه ، ومحدث ، وأديب ، شغل عدة مناصب سياسية فى الأندلس ، مما يسر له فرصة الإطلاع على ما كتبه سابقوه من المغاربة من أمثال محمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، له مؤلفات عديدة منها ، فضل الأندلس ، رسالة فى أصول الفقه ... إلخ . ويعد كتاب جمهرة أنساب العرب أهم كتب الأنساب ، وهو المصدر الرئيسى الذى إعتد عليه ابن خلدون ، وغيره من المؤرخين فى تحقيق أنساب القبائل البربرية. =

صاحب الحمار أنهما لأب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق ، وقال سالم بن سليم المظماطي ، وهانئ سرور ، والكومي ، وكهلان بن أبي لوا ، وهم نسابه البربر ، إن البرانس بتر ، وهم من نسل مازيغ بن كنعان ، والبتر بنوبر بن قيس بن عيلان ، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد ، إلا أن رواية ابن حزم أصح لأنه أوثق" وكان من نتيجة هذا التطور ، أن ظهر تداخل كبير بين قبائل البربر سواء كانوا بترا ، أو برانس فمثلا قيل عن زواوة البترية إنها من كتامة البرنسية (١) بالإضافة إلى وزداجة البرنسية فهي من بطون زناتة البترية (٢) ونتيجة أخرى للتطور فقد وجدت قرابة قريبة بين الجماعتين (٣)

يقول ابن خلدون : "أما شعوب هذا الجيل ، وبتونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان ، وهما : برنس ، وماذغيس" (٤) ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه "البتر" ويقال لشعوب برنس البرانس (٥) فذهب بعضهم إلى أنهما لأب واحد ، وهو بر الذي يعتبر جد

= [محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٣ . د/ سنوسي يوسف : زناتة والخلافة الفاطمية ، ص ١٨ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦م ، مصر]

ابن خلدون ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤرخ ، وفيلسوف إجتماعي ينتهي نسبه إلى وائل من حجر من عرب اليمن ، أقامت أسرته في تونس حيث ولد، ونشأ ، وتعلم بها ، تنقل في بلاد المغرب والأندلس ، اشتغل بالسياسة ، وانتقل إلى مصر واتصل بسلطانها برفوق ، هذا المركز الإجتماعي ، والسياسي أتاح له الإطلاع على أمهات تاريخ المغرب ، فظهرت موهبته ، وعبقريته مما ساعده على الإستفادة من هذه المصادر ، ثم انقطع للتدريس ، والتأليف ، فأتم كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر ، وللمنهج التاريخي عند ابن خلدون ، قواعد للبحث في تلك الوقائع ، وأهمها إن الوقائع يرتبط بعضها ببعض إرتباط العلة بالمعلول. [محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ١٤ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ . د/ سنوسي يوسف : مرجع سابق ، ص ٢٤ ، ٢٥]

- (١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٢٦ .
 - (٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .
 - (٣) محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع القهري ، ص ٢٣ .
 - (٤) برنس ، وماذغيس ، وهما من نسل مازيغ بن كنعان بن حام نوح [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٢٨ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص ٤٩ ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، اسكندرية .
 - (٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٧٦ ، والبرانس نسبة إلى برنس ، وهو غطاء للرأس أبيض اللون ، وقد يكون أسود أو سماوي .
- والبتر نسبة إلى الرداء الأبتر الذي لا غطاء له [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٩ . البيلى : البربر في الأندلس ، ص ٨] =

البربر جميعا، وذهب آخرون إلى أن لكل من الجماعتين جدها الخاص بها (١)

وقد تشعب كل قسم من البرانس والبتري إلى قبائل عظيمة وشعوب عند النسابين "فالبرانس" يجمعهم سبعة أجدام هي:

صنهاجة ، ومصمودة ، وأوربة ، أزداجة ، وعجيسة ، وكتامة ، وأوريغة ، وأضاف إليهم سابق بن سليم وأصحابه ، لمطة ، وهسكورة ، وجزولة ، "كزولة".

ويتفرع من قبائل البرانس فروع كثيرة فمن أزداجة مسطاطة ، ومن مصمودة غمارة بنو غمار بن مصطفى بن مليل بن مصمود ، ومن أوريغة هوارة وولد ومغر. وقلدن ، فمن هوار بن أوريغ مليلة وبنوكهلان ، ومن ملس أوريغ سبط وورفل وأسيل ومسراته ، ويقال لهم جميعا لهانته بنو لهان ابن ملد ، ويقال إن مليلة منهم ، ومن مغر بن أوريغ ماواس وزمور وكبا ومصراي ، ومن قلدن بن أوريغ قمصانه ، وورسطيف ، وبيانه وقل مليلة (٢)

وتنتشر قبائل البرانس في معظم بلاد المغرب ، ولكن قبائلهم تتوغل في قلب قارة إفريقية حتى منحنى نهر النيجر ، ومصب نهر السنغال ، ومعظمهما ينزل في مواضع متحضرة (٣) فنجد قبيلة صنهاجة التي تعتبر أكبر قبائل البربر حتى يذكر أنها تحتوى على ثلث البربر ، وموطنها بين المغرب الأوسط وإفريقية (٤) وخاصة في المنطقة الجبلية الممتدة

= لكن الدكتور / السيد سالم يرى أن هذا تفسير لغوى لا يقوم على أساس متين ، فليس لزاما على البتري أن يكون عاريا من البرنس ، وليس شرطا أن يكون البرانسي مرتديا له [تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص ١٩]

(٣-١) ابن خلدون : العجب ، ج ٦ ، ص ١٧٦ : ١٧٨ .

(٢) د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٣٨ . دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٥٢ .

البربر جميعا، وذهب آخرون إلى أن لكز من الجماعتين جدها الخاص بها (١).

وقد تشعب كل قسم من البرانس والبتري إلى قبائل عظيمة وشعوب عند النسابين "فالبرانس" يجمعهم سبعة أجدام هي:

صنهاجة ، ومصمودة ، وأوربية ، أزداجة ، وعجيسة ، وكتامة ، وأوريغة ، وأضاف إليهم سابق بن سليم وأصحابه ، لمطة ، وهسكورة ، وجزولة ، "كزولة".

ويتفرع من قبائل البرانس فروع كثيرة فمن أزداجة مسطاطة ، ومن مصمودة غمارة بنو غمار بن مصطفى بن مليل بن مصمود ، ومن أوريغة هوارة وملك ومغر. وقلدن ، فمن هوار بن أوريغ مليلة وبنوكهلان ، ومن ملس أوريغ سبط وورفل وأسيل ومسراته ، ويقال لهم جميعا لهانه بنو لهان ابن ملد ، ويقال إن مليلة منهم ، ومن مغر بن أوريغ ماواس وزمور وكبا ومصراى ، ومن قلدن بن أوريغ قمصانه ، وورسطيف ، وبيانه وقل مليلة (٢)

وتنتشر قبائل البرانس في معظم بلاد المغرب ، ولكن قبائلهم تتوغل في قلب قارة إفريقية حتى منحني نهر النيجر ، ومصعب نهر السنغال ، ومعظمهما ينزل في مواضع متحضرة (٣) فنجد قبيلة صنهاجة التي تعتبر أكبر قبائل البربر حتى يذكر أنها تحتوى على ثلث البربر ، وموطنها بين المغرب الأوسط وإفريقية (٤) وخاصة في المنطقة الجبلية الممتدة

= لكن الدكتور / السيد سالم يرى أن هذا تفسير لغوى لا يقوم على أساس متين ، فليس لزاما على البتري أن يكون عاريا من البرنس ، وليس شرطا أن يكون البرانسي مرتديا له [تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٩]

(٣-١) ابن خلدون : العجم ، ج ٦ ، ص ١٧٦ : ١٧٨ .

(٣) د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٣٨ . دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٥٢ .

من بجاية (١) إلى جنوب مدينة الجزائر ، وإلى جوار قبيلة صنهاجة استوطنت قبيلة عجيسة البرنسية الجبال المشرفة على مدينة المسيلة (٢) ومنهم من سكن بالمغرب الأقصى حول تلمسان (٣) وسجلماسة (٤) ، والسوس الأقصى قرب سبتة (٥) ، وأيضا في الطريق من تاهرت (٦) إلى أودغست (٧)

- (١) بجاية : بكسر الباء ، وفتح الجيم تقع على ساحل البحر المتوسط بين إفريقية ، والمغرب الأقصى [ياقوت : معجم البلدان : ، ج ١ ، ص ٣٣٩]
- (٢) المسيلة : بكسر الميم ، وسكون المثناه من تحت هي مدينة المحمدية [أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٢٨ ، سنة ١٨٥٠م ، باريس]
- (٣) تلمسان : بكسر التاء ، واللام ، وسكون الميم وفتح السين ، وبعضهم يقول تلمسان بالنون عوضا عن اللام ، وهي عبارة عن مدينتان متجاورتان سورتان ، وبينهما رمية حجر ، إحداهما مدينة قديمة تسمى "أقادير" والأخرى حديثة تسمى تافرزت ، وتعتبر تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، ودار مملكة قبيلة زناتة ، لها خمسة أبواب ، فيها أنها رجارية ، ومزارع كثيرة ، تشتهر بأجود أنواع الخيول [ابن حوقل صورة الأرض ، ص ٨٨ . البكري : المغرب ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، سنة ١٩١١م ، الجزائر . ياقوت : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥١ ، ٥٢ . الباجي : الخلاصة النقية ، ص ٦ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٢٨٣هـ ، تونس]
- (٤) سجلماسة : بكسر السين ، والجيم ، وسكون اللام ، وفتح الميم ، تقع في جنوبي المغرب ، وطرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام من ناحية الجنوب ، وهي مدينة كثيرة الخضر ، والجنات ، وأهم غلاتها الكمون ، والحناء ، تسكن هذه المنطقة قبائل بربرية تنتسب إلى زناتة ، وصنهاجة ، وهوارة ، أهلها أغنياء بسبب التجارة مع السودان [أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٦ . ياقوت : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٩٢ . البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٨ ، حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٤٩٣ ، ١٣٩٩هـ ، الرياض]
- (٥) سبتة : بكسر السين ، أو فتحها ، وسكون الباء تقع على المحيط الأطلنطي ، وعند نهاية البحر المتوسط ، وهي مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء ، بها مرسى تحط به السفن وتقلع ، وهي داخلة من البر وفي البحر ، يسكن بها بربر من قبيلة مصمودة. [ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٩ . أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة حسن الوزان : مصدر سابق ، ص ٣١٩ . ياقوت : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٩]
- (٦) تاهرت أو تيهرت : بكسر التاء ، وهي اسم لمدينتين أحدهما على ربوه يحيط بها سور ، أسست قبل الإسلام ، افتتحها عقبة بن نافع ثم ضعف أمرها ، وخربت ، في قبيلتها لواتة ، وهوارة ، وفي غربها زواعة ، وبجنوبها مطماطة ، وزناتة ، ومكناسة ، وأسس مكانها تيهرت الفرنسية المدعوة اليوم "تيارت"
- الثانية تيهرت الحديثة أسسها عبد الرحمن بن رستم ١٤٤هـ ، ٧٦١م غربي المدينة القديمة بخمسة أميال. [البكري : مصدر سابق ، ص ٦٧ ، ياقوت : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٨ . القلقشندي صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١١١ ، ١١٢ . ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٨٦ . الملي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨]
- (٧) أودغست : بفتح الألف ، وسكون الواو ، وفتح الدال ، والغين ، تقع منحرفة محازاة للسوس الأقصى ، كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست ، وهي في صحراء بلاد المغرب يسير منها المسافرون إلى سجلماسة ، وغانة ، وهي مدينة صعبة الحياة قليلة الماء ، أمطارها صيفية يزرعون القمح ، والذرة ، وبها النخل. [ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩١ . ياقوت : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ، ٢٧٨ ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٧]

مساكن كثيرة لصنهاجة ، كما سكنوا مع بربر جبل الورن (١) وأكبر بطون صنهاجة قبيلة زناجة التي تعيش في جبال أطلس جنوبى تازة . (٢)

قبيلة مصمودة : وموطنهم فى المغرب الأقصى ، وجبال درن ، ويحتلون المسافة من سبتة إلى طنجة (٣) ومن بطونها قبيلة برغواطة ، وغمارة . (٤)

قبيلة أوربة : سكنت فى جنوب الريف فى منطقة ولى القديمة ، وهى منطقة فاس الحالية، ومنهم من كان إزاء تاهرت ، ومنهم جماعة بجبال نفوسة ، ولهم منازل فى طرابلس (٥) إلى ما يقارب مدينة سرت الواقعة على الساحل بليبيا بالإضافة إلى بجاية (٦) قبيلة مصمودة ، وبرغواطة ، وغمارة ، ومعهم عوالم من صنهاجة ، ومطغرة ، وأوربة ، فديارهم تقع جنوبى المغرب الأقصى وجنوبى مدينة مراكش ، وهو ما بين وادى ملوية من جهة الشرق ، وجبال درن من جهة الغرب (٧)

(١) جبل الورن : عبارة عن سلسلة جبال فى المغرب تبدأ من البحر المحيط فى أقصى السوس حتى يصل جبل نفوسة ، وتعرف هذه الجبال بأطلس العليا [الإدريسى : صفة المغرب ، ص ٢٢٦ سنة ١٨٩٤م ليدن . ياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٢]

(٢) د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .

(٣) طنجة : لفتح الطاء ، وسكون النون ، وفتح الجيم ، مدينة فينيقية قديمة مبنية من الحجارة ، تعرف بالبربرية " ولى " تقع على ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلنطى) يعمل أهلها بالزراعة ، وخاصة الحبوب ، والحنطة ، وبها الفواكهة ، كالعنب ، والكمثرى ، وهى دار مملكة ملوك المغرب ، بينهما وبين القيروان مسيرة ألف ميل بها ساكن قبيلة صنهاجة وهى محط للسفن [البكرى : المغرب ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ . ياقوت : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٣ . ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٦ ، سنة ١٩٤٨م ، بيروت ، لبنان . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٠ ، سنة ١٩١٥م ، القاهرة . الذهبى : دول الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٦ ، سنة ١٩٨٨م ، قطر . الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج ٢ ، ص ٥٢٩]

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١١ .

(٥) طرابلس : بفتح أوله ، وباء ولام مضمومتان ، يقال طرابلس وطرابلس ، وهى مدينة فينيقية ، ومعناها بالرومية ، أو الإغريقية ، ثلاث مدن عليها سور جليل النيان ، وهى على شاطئ البحر بها جامع ، وأسواق حافلة [ياقوت : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٨ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٠]

(٦) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٤٦ .

الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٢١ ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م ، دار المعارف ، مصر .

(٧) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

- د/ سعد زغلول : تاريخ العربى ، ج ١ ، ص ٩٧ .

أما عن القسم الثاني من أقسام البربر "البتر" فيجمعهم أربعة أجدام هلى أداسة ، ونفوسة ، وضريسة ، وبنولوا الأكبر ، كلهم بنو زحيك بن ما ذغيس، أما أداسة بنو أداس بن زحيك ، فبطونهم معظمها فى هواراة فكان أداس أخالهواراة ، وداخل نسب بنيه كلهم فى هواراة ، وهم سقارة وأندارة وهنزولة وضريسة ، وهيداغة ، وأوطيطة ، ومعظم هؤلاء كلهم بنوا أداس بن زحيك بن ما ذغيس ، وهم اليوم فى هواراة (١)

أمالوا الأكبر فمنه بطنان عظيمان ، وهما نفزاوه بنوا نفزاو بن لوا الأكبر ، ولواته بنولوا الأصغر بن لوا الأكبر فخلفه أبوه حملا قسمى به فمن لواته أكوزة ، وعتروزة ، وبنو فاصلة بن لوا الأصغر ، ودخل نسب سدراته فى مغراوة (٢)

وتوجد هذه القبائل فى السهول المرتفعة ، والمنخفضة ، وعلى الهضاب التى تمتد من طرابلس إلى تازة ، كما أنهم ينتشرون بكثرة فى إقليم النخيل ، الممتد من غدامس إلى السوس الأقصى ، كما أنهم ينتشرون داخل سهول إفريقية ، وعلى سفوح جبال أوراس ، وإقليم التل قرب طرابلس (٣)

ومن الجدير بالذكر أن قبائل البربر البتر الرئيسية أربعة منها :

قبيلة لواته أو لوا ، وبطونها نفزاوه ، ومنها قبيلة ورفجومه ، وكانت تسكن المناطق الجنوبية من بلاد تونس ، وفى جبال أوراس (٤) وفى زمن الفتح كانت تسكن مدينة برقة (٥)

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٧٩ .

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٦٦ . ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٧٩ .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٩٣ : ٢٠٤ .

- د/ حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٩٣ : ٢٠٤ .

- محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب ، بدون تاريخ . د / حسن محمود : مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(٥) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٢١ .

برقة: بفتح الباء ، وسكون الراء ، وفتح القاف ، وهى تقع بين الأسكندرية ، وإفريقية "القيروان" ، كانت تسمى قبل الفتح الإسلامى انطابلس ، وهى كلمة رومية ، معناها بالعربية خمس مدن ، دمر العرب أسوارها لأغراض حربية ، عاصمته برقة ، الآن بنى غازى ، =

ومنها قبيلة طريسة ، ولها بطون منها مطغرة ، ومديونة ، ولماية ، ومغيلة ، ومكناسة ، وزناتة ، وزواغة ، كانت بالمغرب الأوسط ، ومنهم أيضا في المغرب الأقصى مما يلي ديار غمارة مع صنهاجة ، وغيرهم (١) ومنها قبيلة نفوسة ، من أكبر بطون البربر البتر ، وتسكن بجهات طرابلس إلى قرب القيروان ، ويسكنون أيضا في الجبل المعروف باسم "جبل نفوسة" الواقع جنوبي طرابلس (٢) ، ويسكن بعضهم في مدينة قابس (٣) مع قبائل شتى (٤)

الرابعة قبيلة أداسة يقال أنهم من هوارة ، وهوارة معظمهم من الخوارج (٥)

الدين عند البربر:

لم يكن للبربر عقيدة ثابتة ، أورسالة سماوية ، كما كان لليهود والنصارى ، نظرا لأنهم أمة واحدة مختلفة الأصول متسعة الأماكن ، فقد كانت لهم معتقدات شتى ، سواء كانت مجوسية ، أو يهودية ، أو مسيحية ،

وتعرف بالجبل الأخضر وهي مدينة برية ، بحرية ، جبلية ، وبها تربة حمراء ، وهي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان ، وبها من التجارة ، وكثرة الغرائب لما فيها من التجارة ، وأهم سلعها الجلود ، والصوف ، والعسل ، والزيت هذا إلى جانب أنها متلقى التجارة الواردة من المشرق ، والمغرب ، وتعتبر برقة الإقليم الوحيد الذي ظل من سنة ٢٣ - ٢٧ هـ / ٦٤٧-٦٤٣ م داخل سيادة العرب لأن عمرو بن العاص ترك عقبة بن نافع مع حامية من المسلمين ، وقد عرف عقبة خبر الحرب في هذه المناطق ، وعرف أيضا طرقها ، ومسالكها ، فكان دائم التردد على القبائل البربرية يراقبها ، مما جعل برقة نقطة انطلاق للجيش في مسيرته الطويلة إلى طرابلس. [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ . الأدريسى : صفة المغرب ، ص ٣١١ . نقولا زيادة : ليبيا في العصور الحديثة ، ص ٣٤ سنة ١٩٦٦ ، القاهرة . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٧ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، ج ٢ ، ص ٦١٠]

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢٠١ . الطاهر الزاوي : تاريخ الضمخ ، ص ٢٢

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٩٣ ، ١١١ .

(٣) محمود ناجي : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

قابس : بفتح القاف ، وألف وباء موحدة ، مدينة من مدن إفريقية ، تقع بين طرابلس ، وسفاس على ساحل بحر الروم ، على مسافة ثلاثة أميال منه ، وهي مدينة مسورة بها بساتين ، ومزارع اشتهرت بالحناء ، والموز ، والحريز ، وقصب السكر ، بها أجود أنواع التمور ، أهلها لهم زى خاص بهم [ابن خلدون : ص ٦ ، ص ٢١٩ . القلقشندي :

صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٤ . محمد زيتون : مرجع سابق ، ص ٥٩]

(٤) البكري : المغرب ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٥) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٣ .

أما الديانة اليهودية : فقد دخلت إلى البربر منذ زمن مبكر مع الفينيقيين ، ثم مع المهاجرين اليهود أيام الإضطهاد الرومانى (١) وإن لم يكن لهم من المنزلة التي أراد نسبتهم إليها (٢).

وأما الديانة المسيحية : دخل البربر فى الدين المسيحى فى أواخر القرن الثانى للمسيح إلى القرن السابع (٣) وانتشرت عن طريق الرومان الذين احتلوا الساحل الشمالى لبلاد البربر، بالإضافة إلى رهبان من مصر ، ومن الجدير بالذكر أن انتشار المسيحية بين قبائل البربر فى الشمال كان كبيرا ، نظرا لإتصالهم ، واحتكاكهم بالرومان ، هذا ولم تتغلغل الديانة المسيحية فى هذه المناطق التى انتشرت بها، بسبب سياسة الظلم ، والتعسف الذى أعطى الفرصة للبربر للقيام ضد الحكم الرومانى ، بل أكثر من هذا ، فقد أقبلوا على اعتناق آراء مخالفة تتعارض مع عقيدة الكنيسة فى روما ، مما أدى إلى عدم وحدتهم ، واستمر هذا الأمر نفسه بعد الفتح الإسلامى (٤) ... ويعد انتشار الديانة المسيحية قليلا كلما اتجهنا داخل الصحراء لأن معظم قبائل البربر فى هذه المنطقة بدو رحل ينتقلون وراء المراعى ، والغذاء ، والماء ، ولم يتمكن الرومان من السيطرة عليهم ، أو الإتصال بهم ، ولم يكتب للجماعات النصرانية فى إفريقية الشمالية أن تعيش طويلا بعد دخول البلاد فى الإسلام (٥) ، على الرغم من بقاء المسيحية فى مصر (٦)

- (١) حسن الوزان : صف إفريقية ، ص ٧٧ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١١٦ . عثمان الكعاك : البربر ، ص ٤٨ ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ.
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥١٤ .
- (٣) عثمان الكعاك : مرجع سابق ، ص ٥٠ .
- (٤) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥١٤ .
- (٥) حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٧٧ . د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨ ، مكتبة الآداب بالجماميز ، بدون تاريخ.
- (٦) انتونى سلاوى : الجغرافية الإجتماعية لإفريقية ، ص ٤٥ ، دار النهضة العربية ، بدون تاريخ ، مصر .

اللغة عند البربر :

البربر شعب له لغته التي تنسب إليه ، ويتخاطب بها الكثير من أفرادهم ، ويستعملونها في حياتهم اليومية يسمونها "أوال أما زيع" أى اللغة النبيلة ، ويطلق عليها العرب اللغة البربرية ، وهى عبارة عن لغة قائمة بذاتها بها الحروف ، والمفردات ، والقواعد الخاصة بها ، وقد أصبحت اللغة البربرية ممزوجة بكثير من الألفاظ العربية مثل كلمة الجمل (١) هذا فضلا عن الذين نسوا لغتهم، وصاروا لا يعرفون إلا اللغة العربية (٢)

وقد حدد جوستاف لوبون (٣) المناطق التي توجد فيها لغة البربر ولهجاتها بقوله "لا يتكلم أحد بالبربرية فى غير الجبال أو البقاع البعيدة من المدن ، حتى إن الجبال بها لهجات عربية محرفة عن أصولها باستثناء مراكش حيث تسودها اللغة البربرية (٤)

ولغة البربر كانت تكتب فى العصور القديمة ، ولا يزال هناك نوع من الكتابة ، أو النقش البربرى موجود عند قبائل الطوارق (٥) فى الصحراء الغربية (٦) ، وهذا يدل على أن للبربر لغة خاصة بهم ، على عكس ما ذهب

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢) حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٤٧ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤٧ .

(٤) حسن الوزان : مصدر سابق ، ص ٤٨ .

(٥) الطوارق : شعب مسلم يطلق عليهم أحيانا لفظ "الملثمين" ، لأن الرجال منهم يضعون على وجوههم لثاما أزرق ، أو أسود معظم الوقت ، بينما يذهب النساء بغير لثام ، أو حجاب ، يسكنون غربى الصحراء الكبرى بين الجزائر والمغرب جنوبا ، يشتغلون بتربية الإبل بالإضافة إلى قليل من الغنم ، والماعز ، يعتمدون فى معاشهم على ألبان ماشيتهم ، واللحم ، والحبوب ، يحتقرون الزراعة ، ويتركونها للعبيد ، أما نظام القبيلة فيتكون من طبقتين : الأولى البنلاء ، والثانية العبيد ، يعرفون نظام الرياسة فكل قبيلة شيخها ، والنظام القبلى عندهم يعكس بعض ملامح النظام الإجتماعى ، فمركز الرجل تحدده الام ، فابن الأمة يعتبر عبدا ولو كان أبوه نبيلًا ، ومع إن الرياسة غير وراثية فإنها تنتقل فى العادة من الشيخ إلى ابن أخته ، وتتمتع المرأة بشأن لا بأس به عند الطوارق ، وتكاد تكون مطلقة الحرية فى مخالطة الرجال ، والإشترال أحيانا فى مجالس القبيلة ، كما أن لها حق اختيار الزوج [محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١١٦٥]

(٦) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١١٠ .

إليه أحد الباحثين (١) ، وبأنها لم تشتق من الفينيقية (٢) بل هي لغة حامية قريبة من لغة المصريين القدماء التي لا تزال موجودة في بلاد النوبة ، وفي بعض الكنائس القبطية في مصر (٣) وتقبل لغة البربر معظم الألفاظ الدخيلة فتربرها، ولها عدة خصائص منها ... الإبتداء بالساكن وهذه غير موجودة بالعربية مثل كلمة "تزاليت" بمعنى للصلاة "تمارت" للحية "تفويت" للشمس "وتفاوت" للنار ، ومن خصائصها أيضا إجتماع ساكنين.

من جانب آخر يبدأ الإسم بتاء التأنيث لا في آخره ، مثل "تيزيويين" ، تيوحديين" بمعنى الفتيات الحسان ، وقد يكون المؤنث مختوما بتاء ، ولكن لا بد من تاء في أوله ، لأنها علامة التأنيث فيها كقولهم "تاقطون" للمرأة "تامروت" للبنديقية. وتضم اللغة البربرية معظم العناصر التي تتركب منها اللغة العربية ، فيها الإسم ، والفعل ، والحرف ، فالأسماء مثل "أجنا" للسماء ، و"إتري" للنجم وتثنيها "إيتران" ومعناه اثنان من النجوم. أما الفعل فينقسم إلى ماضى ، ومضارع ، وأمر فالماضى يبتدئ بالياء مثل "يسوء" بمعنى شرب المضارع يبدأ بالهمزة مثل "أديسو" ، والمصدر "أسوا" بمعنى يشرب الأمر قد يبدأ بالهمزة ، أو بدونها مثل "أش" يعنى كل (٤)

والحروف البربرية عبارة عن نقط ترسم مع بعض الحروف لتأكيدھا ، والحروف نوعان : مفردة ، ومركبة ، فالمركبة عبارة عن حرفين متداخلين فينطق الحرف المركب في حرفين ، والحرف الأصلي يوضع بداخله الثاني ، وهو الذى يرسم فى وسطه ، والحرف الموجود فى الوسط ينطق بعد الأول فمثلا يرسم داخل حرف الباء ، حرف التاء ، فيكون حرف مركب ، وهذا الرسم يقرأ بت ، من جانب آخر تبتدأ الكتابة من اليمين حتى إذا انتهى السطر كتبوا تحته سطرا آخر مبتدئا من اليسار فيختم فى اليمين ، ويبدأون السطر الثالث من اليمين إلى أن تتم الكتابة وهكذا.

(١) ذهب "نقو لزيادة" إلى أن البربر لا يملكون لغة مكتوبة يستطيعون التخاطب بها واستعمالها ["ليبيا فى العصور الحديثة ، ص ٣٦"]

(٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤٧ .

(٣) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٤٩ .

د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، ج ٦ ، ص ٥٨١ .

(٤) دبور : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

وقد تأثر البربر بالعرب ، وبالكتابية العربية التي تعلموها فصاروا يلتزمون اتجاهها واحد فى الكتابة ، وهو الإتجاه العربى من اليمين إلى اليسار (١) أما عن سبب بقاء لغة البربر فى بعض المناطق المختلفة ، فهو ارتباطها باللغة العربية ، لأن كثير من الكلمات البربرية مشتقة من أصول عربية كالجمل (٢)

وقد أدى تفرق قبائل البربر فى السهول ، والجبال ، والواحات إلى تعدد لهجاتهم (٣) فنجد أن لصنهاجة لهجة ، ولكتامة ، ونفوسة ، وغيرها من قبائلهم العديدة لهجاتهم الخاصة بهم فى الوقت الحاضر (٤)

وقد حافظ البربر على لغتهم خارج المدن على الأقل ، ومع كثرة فتوح الأجانب لها (٥) وخاصة الوندال ، والإغريق ، والرومان ، فكانوا يطوعون الكلمات الغربية على لغتهم بحث يكون وجودها أمرا مقبولا ، فكانت عملية بربرة الكلمات عند البربر سهلة ، بحيث إذا أرادوا أن يبربروا كلمة مقتبسة زادوا لها تاء مفتوحة فى أولها ، وتاء ساكنة فى آخرها ، فمثلا إذا أرادوا بربرة كلمة الدار قالوا "تدارت" وكلمة الحانوت قالوا تاحنوت وهكذا (٦)

- (١) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ولسوء الحظ لم نعثر على نموذج لمثل هذه الكتابة فى المخطوطات التى إطلعنا عليها أو المصادر والمراجع.
- (٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١١٢.
- (٣) ذكر البعض أن اللهجات البربرية كثيرة ، ومتعددة ، منها ... اللهجة الميزابية ، وتوجد فى الصحراء بجنوب الجزائر ، ومنها ... لهجة الشاوية فى جبال أوراس ، ومنها ... لهجة القبائل فى جبال جرجرة بالجزائر هذا إلى جانب اللهجة الزناتية المنتشرة فى ليبيا وتونس والجزائر بإستثناء منطقة القبائل ، بالإضافة إلى اللهجة المصمودية ، وهى موجودة ببلاد السوس بالمغرب ، وأخيرا ، اللهجة الصنهاجية المنتشرة فى معظم بلاد القبائل [دبور : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٠ ، ٦٠ . د/ محبى الدين عيمور : البعض يسعى لتجميع شظايا لغوية ، ص ٦ ، مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٩/٢٦م]
- (٤) د/ محبى الدين عيمور : البربرية والأمازيغية بين الحقائق والمغالطات ، ص ٦ مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٦/٣٠.
- (٥) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤٤.
- (٦) دبور : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦١.

مفردات الحروف البربرية ومايقابلها في العربية (١)

الحروف المفردة البربرية	مقابلها في العربية	الحروف المركبة البربرية	مقابلها في العربية
• ا	الهمزة		
⊠ ⊙	يب	⊠	بيت
+ ÷	يت	#	يزت
∧ ∨ ⊔	يد	□	
⊢ ∞	يج	⊠	يرت
#	يض	+ □	يست
X ∞	يز	+	يفت
□ ○	ير	+	
□ ○	بس	∞	يجت
∴ ∴	يث	⊢	يلت
⊢	يق	⊢	
⊢ ∥	يف	⊢	يمت
∥	يل	+	ينت
]	يم	⊢	
	ين	⊢	يشت
∴ ∴	يك	∴	
∴ ∴	يخ	∴	ينك
∴ ∴	يش	∴	
∴ ∴	يه	⊢ ⊢	يضت
∴ ∴	يط	⊢ ⊢	
∴ ∴	ينخ	⊢ ⊢	
∴ ∴	يو	⊢ ⊢	
∴ ∴	يى	⊢ ⊢	يفت

ومن الجدير بالذكر أن الإستعمار الفرنسى أراد إحياء اللغة البربرية كلغة ثانية فى الجزائر ، وفى سبيل ذلك ، بدأت فرنسا الإهتمام باللغات البربرية ، وخاصة فى معهد الدراسات الشرقية بباريس فى عام ١٣٣٢هـ ، ١٩١٣م ، فأنشئت الأكاديمية البربرية ، هذا إلى جانب إرسالها البعثات التنصيرية التى إتخذت من التخفى ، والتموية طريقا لها ، فتخلى رجال الكنيسة عن ملابسهم السوداء ليلبسوا ملابس البربر المحلية ، وقد وجهوا عناية خاصة لمنطقة شرق الجزائر ، حيث توجد لهجة القبائل ، ويرجع سبب اختيارهم لهذه المنطقة ، أن هذه المنطقة بها رجال علم ، وفضل ووطنية كانوا سباقين للعمل على حماية الدين الإسلامى ، واللغة العربية مثل الشيخ "حداد" والسيدة "فاطمة نسومر" التى دوخت الجيش الفرنسى ، وكان هدف السلطات الفرنسية منذ احتلال الجزائر عام ١٢٤٦هـ ، ١٨٣٠م هو عزل اللغة العربية عن الحياة العامة فى التعليم والإدارة ، فأنشئت ثمانية وعشرين بيتا ثقافيا (قصر ثقافة) منتشرة على نطاق واسع فى المدن الجزائرية الثانوية الأهمية ، وفى أعماق الريف ، وعلى حدود الصحراء الكبرى (١) كما أنشأ الإستعمار الفرنسى المدارس البربرية ، وحرّم فيها دراسة اللغة العربية ، هذا إلى جانب تشجيع اللهجات المحلية الدارجة ، وهذه سياسة تهدف إلى تحطيم اللغة العربية الفصحى التى تشكل عامل الوحدة الرئيسى للوطن العربى ، ومما يزيد الأمر خطورة ، أن سكان الجزائر موزعين على مساحة كبيرة تتجاوز المليون والربع مليون كم ٢ ، وأن هناك عدد من اللهجات العربية التى تختلف فيما بينهما ، كما تختلف لهجة القاهرة عن لهجة صعيد مصر الجوانى ، وقد استعملت فرنسا بعض من وقف صراحة ضد الإسلام مثل "كاتب ياسين" فهو أديب ، ومفكر ، وكاتب جزائرى "مفرنس" أى مرتبط ، ومؤمن بالفكر ، والثقافة الفرنسية ، فأعدت له ندوات تليفزيونية ، وأخذت تقدم على لسانه صورة للمشاهدين يتم إرسالها إلى الرأى العام بالجزائر ، بهدف إنقاذ الأقليات المسحوقة "أى البربر" من إرهاب المتطرفين ، بالإضافة إلى استعداد العالم على الإسلام ، والمسلمين. وتعتبر فرنسا أن اللغة العربية منافسة للغتها الفرنسية ، وتعوق تحويل الجزائر من دولة وطنية إلى دولة تابعة لهم ،

(١) د/ نازلى معوض أحمد : العلاقات بين فرنسا والجزائر ، ص ٢١٠ سنة ١٩٧٨ ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر.

بحكومة تكون مجرد سوق للنفايات ، والتجارب الفرنسية (١) على الجانب الآخر كان الشمال الإفريقي يفتقد للغة قوية كاللغة العربية ، لأن الحياة القبلية متعددة اللهجات ، وقبل الإسلام لم تكن توجد صلة قوية بين القبائل ، فأدى ذلك إلى عزل القبائل بعضها عن بعض ، وكل منها قانعة بلهجاتها ، فلما جاء الإسلام انتشرت اللغة العربية بسبب الدعاة ، والمعلمين ، فخلق ذلك رباطا قويا بين القبائل (٢)

سمات البربر:

للبربر سمات مختلفة ، فكل منطقة لها سمات خاصة بها ، وبصفة عامة ، يمتاز البربر بطول القامة ، وقوة الأبدان ، والوجه الطويل ، والأنف المقعرة . ، أما البشرة فهي بصفة عامة تميل إلى اللون الفاتح (٣)

وإجمالاً توجد بين البربر البشرة البيضاء ، وشبه البيضاء ، والسمراء التي تميل إلى اللون البني ، أو البني المائل للحمرة ، ونستطيع القول أنه توجد ثلاثة أقسام نستطيع أن تميز بها سكان شمال إفريقية:

القسم الأول : طويل القامة ، ويمتاز بتناسق الملاح في الوجه ، والأنف بالإضافة إلى طول الرأس ، ويوجد بالمنطقة من وسط تونس ، ويمتد انتشاره حتى غرب الجزائر (٤)

القسم الثاني : متوسط القامة ويمتاز بالرأس الطويل ، والشفاه الممتلئة ، والأنف المتوسطة وهذا النوع ينتشر بصفة عامة بين قبائل البربر ، وليس له

(١) د/ محيي الدين عميمور : سياسة الاستعمار أثارت الأحقاد ، ص ٦ .

(٢) د/ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

(٣) انتوى سلاوى : الجغرافيا الاجتماعية الإفريقية ، ص ٣٩ .

- أحمد صقر : مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج ١ ، ص ٦٢ سنة ١٩٥٩م ، تونس .

(٤) د/ يسرى الجوهرى : جغرافيا العالم العربى ، ص ١٣٠ سنة ١٩٨١م ، منشأة المعارف اسكندرية .

مناطق محددة (١)

القسم الثالث : قصير القامة ، ويمتاز هذا النوع بأنه عريض الأكتاف ، والرأس، والوجه وضيق الخصر ، وقصير الأنف نسبيا (٢) ويوجد بين جماعات بنى مزاب بالجزائر ، وسكان جزيرة جربة ، أما عن لون البشرة فتوجد ثلاثة أنواع من لون البشرة لدى البربر:

النوع الأول : البشرة البيضاء ، وتوجد بين البربر من أصحاب الشعور ، الشقراء ، والعيون الزرقاء ، ولكن هذا النوع قليل الوجود ، ونجده بصوره جلية بين أهل الجبال ، وفي المغرب الأقصى ، وخاصة بين قبائل الريفيين (٣)

النوع الثاني : البشرة شبه البيضاء ، وتوجد بصفة عامة بين سكان الشريط الساحلي الشمالي لبلاد البربر، وبصفة خاصة في الجزائر ، والسفوح الشمالية لجبال أطلس ، ويميل هذا النوع بصفة عامة إلى اللون البني أو البني المائل للحمرة ، وبصفة خاصة يكون اللون أبيض مشربا بحمرة ، والنمش نادر الوجود ، والشعر مجعد ، أو مموج ، أما اللحية فهي أقل كثافة من شعر الرأس ، أما لون العين فأخضر ، أو بني فاتح ، ويعتبر هذا النوع من البربر ، البرانس السائد بين بعض سكان منطقة البحر المتوسط ، ويشبهون في ملامحهم سكان البحر المتوسط (٤)

النوع الثالث : البشرة السمراء ، وتنتشر بين بربر الجنوب "البتري" ، وخاصة في شرق تونس ، وشرق الجزائر في قسنطينة ، وحول مدينة الجزائر ، وقد أقبل هؤلاء البربر من الجنوب من قلب القارة الإفريقية ، ويتميزون بسمره

(١) د/ يسرى الجوهري : جغرافيا العالم الإسلامي ، ص ١٣٠.

(٢) مبارك الملي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج ١ ، ص ٥٠ .

- د/ يسرى الجوهري : مرجع سابق ، ص ١٣١.

(٣) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤.

(٤) د/ يسرى الجوهري : مرجع سابق، ص ١٣٠.

- د/ حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ٢٤.

ملاح سكان البحر المتوسط: الشعر أسود ، ويكون أحيانا مموج أو مجعد ، والبشرة تميل إلى السواد ، القامة متوسطة الطول والجيبة أيضا ، والأنف عريض أحيانا ، وعظام الخدود عريضة بعض الشيء ، وأحيانا يكون بارز الفكين قليلا. [د/ ابراهيم زرقانه : العائلة البشرية،

البشرة ، وقد امتزجوا بالسكان الأصليين في المغرب ومن امنزاجهم نشأ
الجنس البربرى (١)

(١) ديبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٧٦ .
د/ يسرى الجوهري : جغرافية العالم الإسلامى ، ص ١٣٠ .
د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤ .

الفصل الأول

بسم الله

فتح العرب للمغرب

- عمرو بن العاص وفتح العرب لإفريقية.
- دور عبد الله بن سعد في فتح إفريقية.
- حملة معاوية بن عبد منجوع على إفريقية.
- دور عقبة بن نافع في الفتوحات.
- دور أبو المهاجر في الفتح.
- ولاية عقبة الثانية وفتح المغرب الأقصى.
- زهير بن نيس البلوي ووقفه من البربر.
- جهود عثمان بن النعمان في الفتح.

الفصل الأول

فتح العرب للمغرب

بعد أن أخذ الإسلام في الإنتشار ، والإستقرار في شبه الجزيرة العربية، بدأ المسلمون الأوائل يفكرون في خطة طموحه لفتح الأمصار المجاورة لهم ، لنشر الدين الإسلامي ، وإدخال أهل هذه البلاد الجديدة فيه ، وتعليمهم اللغة العربية. فبدأوا بفتح العراق ، وفارس ، وبلاد الشام ، ثم كان الإمتداد الطبيعي للفتوحات أن نتجه صوب مصر ، لسببين : الأول تأمين فتوح المسلمين في بلاد الشام ، أما الثاني : فهو تتبع فلول الروم ، وطردهم من مصر ، ومن الساحل الشمالي أيضا.

توجه عمرو بن العاص (١) من الشام إلى مصر ، فاستولى عليها ثم كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه (٢) في الزحف إلى عاصمة

(١) عمرو بن العاص : هو أبو عبد الله ، عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أحد عظماء العرب ودهاتهم ، كان يسكن مكة مدة ، أسلم في هدنة الحديبية ، هاجر ، وكان من أمراء الجيوش في الجهاد في الشام زمن عمر بن الخطاب الذي ولاه فلسطين ، ثم مصر فافتحها ، عزله عثمان بن عفان عن مصر سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م ، ولما كانت الفتنة بين علي ابن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان كان عمرو مع معاوية فولاه على مصر سنة ٢٨هـ / ٦٥٨م واستوطنها إلى أن مات بها ليلة عيد الفطر سنة ٦١هـ / ٦٨١م [أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي : مشاهير علماء الأمصار والأعلام فقهاء الأقطار ، ص ٩٣ تحقيق مرزوق علي ابراهيم ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م المنصورة . ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٦٠ ، ٦١ تحقيق عادل نوينهض . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧١م بيروت ، البلاذري يذكر وفاة عمرو بن العاص سنة ٤٢ ، ٤٣هـ / ٦٦٣م يوم عيد الفطر بمصر ، "فتوح البلدان ، ص ٢٦٩" ، مطبعة لجنة البيان العربي ، بدون تاريخ . ويذكر د/ السيد سالم أن عمرو بن العاص توفي سنة ٤٤هـ / ٦٦٤م تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص ٣٢ . محمود شيت خطاب : قادة فتح سوريا ومصر ، ص ١٢٣ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

دار الفتح بيروت]

(٢) الإذن هنا معناه : وقوف الخليفة على ما وصل إليه قواده من حركة الفتوح ، وللخليفة وجه نظر في حركة هذه الفتوح من حيث استمرارها أم لا؟ إذا رأى الخليفة استمرار الفتوح فلا بد من إرسال إمدادات لمواصلة حركة الفتح ، فكان جنود عمرو بن العاص عند وصوله إلى مصر حوالي ٣٥٠٠ ، ٤٠٠٠ ، فلما أذن الخليفة لعمرو بمواصلة الفتح ، وصل عدد جنوده بعد الإمدادات التي وصلتته حوالي ١٢٠٠٠ جندي [د/حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، الطبعة الثالثة عشر، سنة ١٩٩١م بيروت والقاهرة]

مصر الإسكندرية ، ففتحها في ذو القعدة سنة ٢١هـ / سبتمبر سنة ٦٤٢م (١)

أخذ عمرو بن العاص يفكر في المدن المجاورة لمدينة الإسكندرية بعد التغلب عليها ، لأنه كان يدرك من وجهه نظره الحربية ، أن بقاء هذه المناطق في أيدي الروم تشكل تهديدا لمصر ، فأراد أن تكون مصر في مأمّن من غارات الروم ، فأرسل بعثة استكشافية إلى برقة ، وكان قائدها عقبة بن نافع عام ٢٢هـ / ٦٤٢م (٢) لاكتشاف المناطق المجهولة ، فلا تبدأ الحرب بتوجيه جيش كبير ، وإنما يحتاج الأمر إلى أن تتقدم الطلائع حتى يسير في الطريق المستهدف (٣) وكانت نتيجة هذه البعثة ، أن تشجع عمرو بن العاص على العمل السريع للسير إلى برقة (٤)

فتح برقة وطرابلس:

بعد أن فرغ عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية سار بنفسه على رأس الجيش لفتح برقة التي لم يجد صعوبة في فتحها ، حيث صالحه البربر على ثلاثة عشر ألف دينار يدفعونها إليه جزية في كل سنة (٥) وترجع سهولة فتح برقة لعدة عوامل:

أولاً: أن البربر قد أرهقتم كثرة الضرائب التي فرضها عليهم الرومان ، ورغبوا في التخلص منهم.

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٥٢ تحقيق د/ أكرم العمري ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، بيروت .

الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٣٠ ، ٣١ .

نقولا زيادة : ليبيا في العصور الحديثة ، ص ٣٢ .

(٢) عبّيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ١٩٧ : ٢٠١ .

- نقولا زيادة المرجع السابق ، ص ٣٢ .

- على عبد السلام : عقبة بن نافع ، ص ٥٣ ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة الأزهر ، تحت

رقم ٧٢٤ ، ٩٥٣ .

(٣) على عبد السلام : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٤) نقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٥) الزاوي : مرجع سابق ، ص ٣١ .

ثانياً: أن البربر عندما سمعوا عن المبادئ ، والقيم التي يتمتع بها هؤلاء الفاتحون الجدد ، والتي جاء بها دينهم ، كان هذا باعثاً لهم على التخلص من حكم الرومان (١)

ثالثاً : إدراك البربر أن هؤلاء الفاتحين الجدد قد قهروا دولتي الفرس والروم فما كان للبربر أن يقفوا في وجههم (٢)

رابعاً : خبرة العرب بفنون القتال في الصحراء ، هذا إلى جانب الجيش الكبير الذي صحب عمرو بن العاص ، وبساطة تجهيزه للحرب ، بالإضافة إلى الطريق الساحلي بين مصر وبرقة ، والذي استطاع عمرو اجتيازه بسهولة مع جيشه ، ويعتبر هذا الطريق حلقة وصل بين المدن المصرية وبرقة (٣)

وقد رحبت قبائل لواته البترية بقدوم المسلمين إليها على الرغم مما عرف عن هذه القبائل من شدة البأس ، والمقاومة الشديدة لأي محتل أجنبي ، يرجع ذلك إلى أن قبائل برقة ، وطرابلس لم تظل على قوتها حتى نهاية العصر البيزنطي (٤) بسبب الظلم الواقع من حكام الروم المتمثل في الضرائب الكبيرة التي أفقرتهم ، فأدى هذا إلى إضعاف قبائل لواته ، ونفوسة، وهوارة آخر الأمر فاستكانت إلى الهدوء (٥)

كما يرجع أيضا إلى أن العرب لم يكونوا غزاة محتلين ، وإنما ناشرين للإسلام ، وقيمة من العدالة ، والحرية ، والمساواة ، وغير ذلك من مبادئ ، وإلى رغبة هذه القبائل في التخلص من مظالم الرومان.

(١) روى أن البربر اتصلوا بعمرو وهو على الأسكندرية يعرضون عليه طاعتهم. [نقولا زيادة :

ليبيا في العصور الحديثة ، ص ٣٣]

(٢) نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

— الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٣٠ .

(٣) مصطفى عبد الله : المجلد في تاريخ ليبيا ، ص ٦٢ ، بدون تاريخ ، سكندرية .

(٤) د/ عبد المنعم عبد العال : لهجة شمال المغرب ، ص ٣٤ .

(٥) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥١ .

— د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٨ ، ١٩ .

— د/ عبد المنعم عبد العال : مرجع سابق ، ص ٣٩ .

وقد فتح عمرو بن العاص برقة صلحا باستسلام أهلها للمسلمين فى أواخر سنة ٢٢هـ / أوائل ٦٤٣م وهى أول ما استولى عليه من بلاد المغرب (١)

وقد صالح عمرو أهل برقة على دينار لكل حالم (٢) فبلغت قيمة الجزية التى فرضت على أهلها ثلاثة عشر ألف دينار كانت تدفع عن طيب خاطر ، وطوعية (٣) على أن برقة لم يدخلها جاب من قبل العرب ، وقد تعهد البربر أن يبيعوا أولادهم وفاء لدفع الجزية (٤)

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام لا يجبر أهل الذمة على بيع الأبناء نظير دفع الجزية ، ويبدو لى أن عمرو بن العاص كان أعلم الناس بذلك ، ويوضح لنا د/ محمد زيتون (٥) هذه الظاهرة بقوله "الظاهر أن هذه كانت عادتهم فى أداء ما عليهم من ضرائب بالنسبة للروم فوافق عليها عمرو بن العاص" ، ويؤيد ذلك د/ حسين مؤنس (٦) حيث يشير إلى أن البربر اقترحوا ذلك أى بيع الأولاد لدفع الجزية - مبالغة منهم فى إظهار حسن نيتهم ، وأن بيع الذراى للوفاء بالجزية كان أمرا شائعا عند البربر فى ذلك الحين ، وعليه فإن عمرو لم يفرض عليهم ذلك من تلقاء نفسه ، وإنما الأغلب أن البربر هم الذين أشاروا بذلك عليه فوافقهم ، حيث لم يكن لدى أكثرهم من المال ما يستطيعون منه دفع الجزية.

واتبع هذه الطريقة أيضا عقبة بن نافع عند مسيرة فى بلاد البربر ، يأخذ جزية من مال ، وأخرى من العبيد ، وقد ظل العمل بهذا الأمر إلى أن أبطله عمر بن عبد العزيز ٩٩ - ١٠١هـ / ٧١٨ - ٧٢٠م فى نهاية القرن

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٤ ، الطبعة السادسة ، سنة ١٩٨٦م ، بيروت .

- د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٨ .

(٣) الناصرى السلاوى: الإستقصا ، ج ١ ، ص ٦٥ ، لكن هناك من يقول إن قيمتها ثلاثة عشر

ألف درهم [نقولا زيادة : ليبيا فى العصور الحديثة ، ص ٣٣]

(٤) الناصرى السلاوى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٥) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٩ .

(٦) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٥٦ .

الأول الهجرى ، عندما كتب فى أمر اللواتيات "أن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيه ، أو فليردها إلى أهلها (١)

ومما هو جدير بالذكر أن فتح برقة قد حرم الروم من قاعدة أمنية قد يهددون منها مصر فى الوقت المناسب (٢) باعتبارها أقرب مكان لهم من مصر يستطرون عليه فخرب العرب أسوار هذه المدينة لأغراض حربية (٣)

وقبل أن يتوجه عمرو بن العاص إلى طرابلس ، أرسل جيشا من المسلمين إلى زويلة (٤) بقيادة عقبة بن نافع ، فسار إلى الجنوب الغربى حتى وصلها ، وتم فتحها صلحا على يديه فى أواخر عام ٢٢هـ / ٦٤٣م (٥)

وفى أثناء مرور المسلمين ببلدة (٦) ، لم تحدث مناوشات مع سكانها ، لما كانوا فيه من ضعف ، وفقر واستكانه (٧) وبعد أن تم عمرو بن العاص فتح برقة ، اتجه ببصره إلى طرابلس ، وخاصة بعد أن استعد الروم بها ، واستعانوا بقليل من البربر ، وخاصة قبائل نفوسه الذين دخلوا مع أهل طرابلس فى دين النصرانية (٨)

- (١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ . يوضح لنا أحد الدارسين أهمية أخذ صغار لواته من البنين والبنات لتربيتهم فى كنف العرب بأنه يحقق عدة أهداف :-
الهدف الأول : دينى حيث يتم تنشئهم على العقيدة الإسلامية.
الهدف الثانى: إجتماعى فيتم تربيتهم على العادات ، والتقاليد العربية ، والتزاوج معهم ، ونشر مبادئ الإسلام ، بينهم .
- الهدف الثالث: سياسى نتيجة طبيعية للهدف الأول ، والثانى يعنى هذا توثيق أوامر الصلوة والمحبة بين العرب والبربر ، وفى ذلك توحيد لدولة العرب [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، ج ١ ، ص ٨٢]
- (٢) محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع الفهري ، ص ٧٦ .
- (٣) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٣٢ .
- (٤) زويلة : مدينة من مدن فزان القديمة ، وتقع إلى الجنوب الشرقى من مدينة مرزق بحوالى ١٥٠ كم ، وتبعد عن طرابلس إلى الجنوب الشرقى بحوالى ٧٧٠ كم [الزاوى : المرجع السابق، ص ٣٥]
- (٥) الزاوى : المرجع السابق ، ص ٣٥ .
- (٦) لبة : مدينة عظيمة بناها الفينيقيون أوائل القرن العاشر قبل الميلاد ، وتقع شرق مدينة طرابلس بنحو ٩٠ كم وقد أكل البحر جزء كبير منها ، لم تكن مصورة من ناحية البحر [الزاوى : المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ٤٤]
- (٧) الزاوى : المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ٤٤ .
- (٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٨ .

سار عمرو إلى طرابلس ، وافتتحها عام ٢٣هـ / ٦٤٣م (١) ، وتعتبر حصون طرابلس أقوى من حصون برقة ، وحاميتها أكثر عددا ، لذلك امتنعت على العرب ، والمسلمين شهرا ، فحاصروها ثم اقتحموها ، ودخلوها ، ولم يفلت الروم إلا بما خف في المراكب (٢)

وعند محاصرة عمرو لمدينة طرابلس بعث إلى ودان (٣) جيشا بقيادة بشر بن أبي أرطاة الفزاري (٤) ففتحها عام ٢٣هـ / ٦٤٣م ، وبعد أن غادرها بشر إرتد أهلها ، لأنه لم يترك بها أحد من المسلمين ، حيث كان يستطلع المنطقة في بداية الفتح ، وبقوا على ردتهم ، إلى أن تم فتحها على يد عقبة بن نافع سنة ٤٦هـ / ٦٦٦م. (٥)

وبعد أن انتهى عمرو من فتح طرابلس ، وما حولها ، وطرد حاميات الروم ، وإخضاع معظم قبائل البربر ، كهوارة ، ولواتة ، ونفوسه (٦) أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في مواصلة الفتح ، والتقدم إلى بقية بلاد إفريقية قائلا "إنا قد بلغنا طرابلس ، وبينها وبين إفريقية - تونس -- تسعة أيام"

(١) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١ .

(٢) الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٦١ .

- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٢ .

(٣) ودان : بفتح الدال ، وهي مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبي ، تقع على بعد ٧٦٩ كم إلى الجنوب الشرقي لطرابلس ، وإلى الجنوب من سرت بحوالي ٢٨٠ كم ، بها قلعة حصينة ، لها دروب ، يعتمد أهلها في غذائهم على التمر ، ولهم زرع يسير [ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، البكري : مصدر سابق ، ص ٤٢ ، الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٦٠]

(٤) بشر بن أبي أرطاة القرشي الفزاري "العامري" ، يقال بسر ، وبشر ، ويقال ابن أبي أرطاة أو ابن أرطاة بدون أبي ، هو أبو عبد الرحمن بشر بن أبي أرطاة ، صحب النبي (ص) روى عنه ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، ودخل إفريقية غازيا شهد فتحها مع عبد الله بن سعد وأقام بها ، كان من شيعة معاوية ، توجه في أيامه ، وبأمر منه إلى الحجاز ، واليمن سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م ، حدث له وسواس في آخر عمره بعد مقتل عثمان بن عفان (ض) حزنا عليه ، توفي بالشام ، وقيل ببرقة ، سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م . [المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٥٥ ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥١م ، القاهرة . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٦ ، تحقيق علي الشابي ، ونعيم حسين اليافي ، سنة ١٩٨٦م ، طبعة تونس . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، ج ٢ ص ٦١٠]

(٥) الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٦١ .

- البكري : مصدر سابق ، ص ١٢ .

- الزاوي : مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٦) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا فى نزولها فعل" (١) فرد عليه فيها عن فتح إفريقية ، ويأمره بالوقوف عند طرابلس ، وقال "إنها المفرقة الغادرة" أى التى تغدر بغزاتها ، فإمتثل ، وعاد إلى مصر مكرها ، بعد أن استخلف عليها عقبة بن نافع عام ٢٥هـ / ٦٤٥م. (٢) "إنظر شكل رقم (١)

أما عن سبب رفض الخليفة عمر بن الخطاب طلب عمرو بن العاص باستكمال فتوحه ، فإنه يرجع إلى إنشغال الخليفة بالفتوح فى المشرق ، ورغبته فى عدم تفريق قوة المسلمين ، وخشيته عليهم من الفتح فى بلاد بعيدة لا يعرفون عنها الكثير .

وكان الهدف من فتح برقة ، وطرابلس ، تأمين حدود مصر من غارات الروم ، بالإضافة إلى خوف الخليفة عمر على المسلمين عندما علم أن ملوك البربر كثيرون ، وأهلها فى عدد عظيم ، وأكثر ركبهم الخيل. (٣)

والواقع أن فتح مصر سهل الطريق أمام العرب لفتح برقة ، وطرابلس، فقد اتخذ عمرو بن العاص طريقتين لهذا الفتح ، الطريق الأول : ساحلى من برقة إلى صبراته (٤) .

الطريق الثانى : صحراوى متجه إلى الجنوب ويضم شروس (٥) ، وزويلة ، وودان ، وسواكن (٦) وإستغرقت مدة الفتح فيها ثلاث سنوات

(١) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٦٥ .

- د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٢) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب بالأندلس ، ص ٣١ .

- محمود شيت خطاب : عقبة بن نافع الفهري ، ص ٧٨ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٨ .

(٤) صبراته : مدينة قديمة ذات آثار كبيرة تقع غربى مدينة طرابلس بحوالى ٦٧ كم على ساحل

البحر المتوسط [الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٥٢]

(٥) شروس: ذكر أنها مدينة جليلة قديمة ، أهلها أباضية ، ليس بها جوامع ، تضم حوالى ٣٠٠

قرية ليس لهم أمراء يرجعون إليه ، وإنما لهم شيوخ. [مجهول: الإستبصار ، ص ١٣٣ ،

تحقيق د/ سعد زغلول ، سنة ١٩٥٨م ، جامعة الأسكندرية]

(٦) سواكن : بفتح السين والواو ، وكسر الكاف ، بلد مشهور على ساحل البحر الأحمر قرب

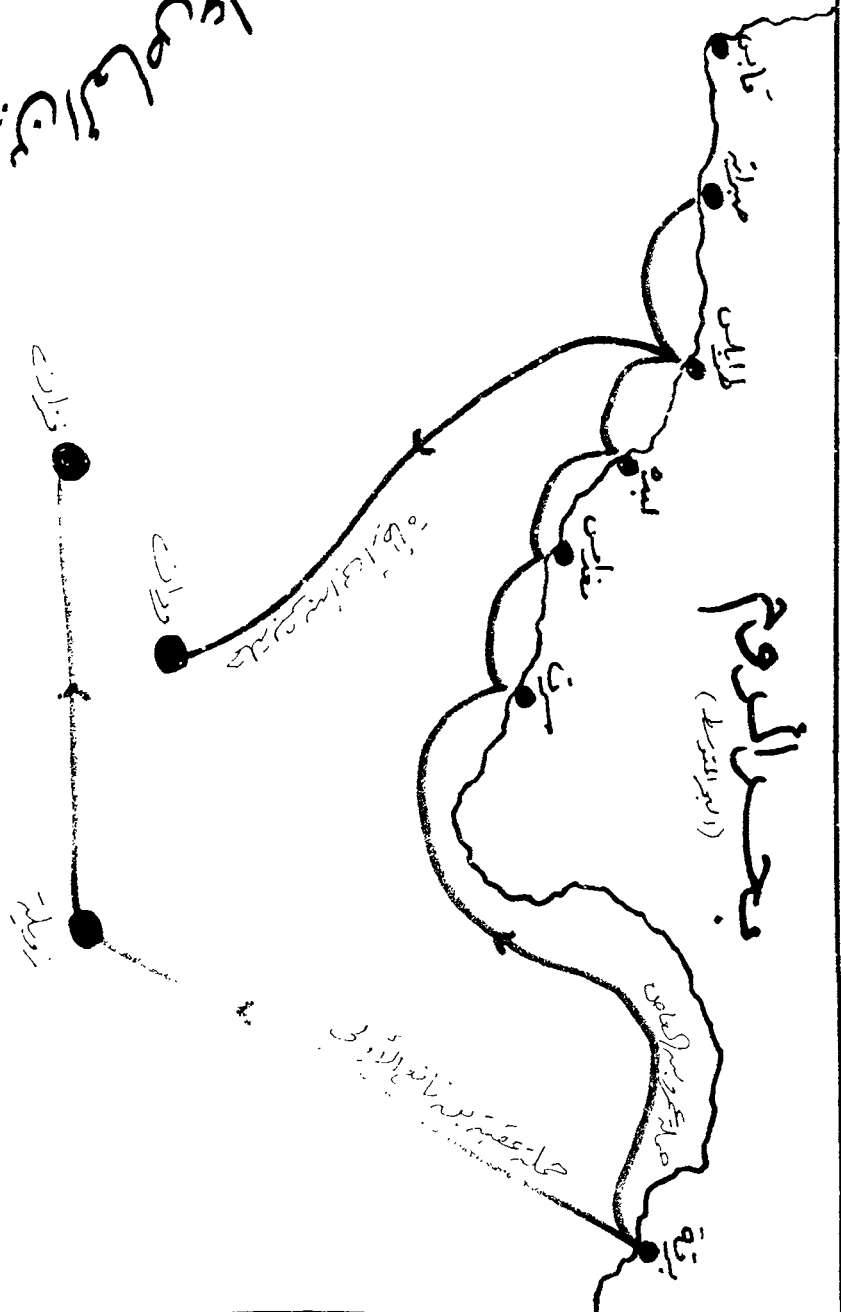
عيزاب ، وهى مرفأ للسفن التى تقدم من جده وأهلها بجاه سود نصارى ، وهى مدينة عامرة

فى ساحل بلاد البجاه ، وبلاد الحبشة ، فيها متاجر ، ويخرج منها رقيق البجاه والحبشة ،

ويخرج منها أيضا اللؤلؤ الجيد. [ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣١٤]

يذكرها الأستاذ / الزاوى سوكن بدون ألف بين الواو ، والكاف [مرجع سابق ، ص ٦١]

أنت تفتية ويعونها الفزعية
 ص ٢٦٤٢ / ١٤٢٢ هـ



وهذا هو رأي الفتحية بالبحر الأحمر...
 [في تاريخ الإسلام تأليف ابن الأثير الأندلسي]
 وقد عرفت بالبحر الأحمر: من من البحر الأحمر
 إذا جاهد من البحر الأحمر...]

من ٢٢ - ٢٥هـ / ٦٤٢ - ٦٤٥م وكل هذه البلاد تم فتحها عنوه بالحرب ، إلا برقة ، وزويلة فقد فتحنا صلحا (١)

دور عبد الله بن سعد بن أبي سرح فى فتح إفريقية:

بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة ، أراد أن يضع سياسة جديدة تهدف إلى مزيد من الفتوح الجديدة لنشر كلمة الإسلام ، ومن هذه المناطق "بلاد البربر" فولى أخاه من الرضاع عبد الله بن سعد أبى سرح سنة ٢٥ / ٦٤٥ (٢) على مصر بعد عزل عمرو بن العاص عنها.

وقد أمر عثمان بن عفان عبد الله بن سعد بغزو إفريقية فى هذه السنة، ولدفع عملية الفتوح بعث الخليفة عثمان لابن سعد جيشا كبيرا ، وعلى الرغم من هذا الجيش الكبير الموجود مع ابن سعد ، إلا أنه لم يستطيع التوغل فى إفريقية لكثرة أهلها (٣) ولعل طلب عبد الله بن سعد بن أبى سرح الإذن من عثمان فى غزوا إفريقية ليكفر عن ماضيه عندما غير فى القرآن الكريم عند كتابة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم (٤)

(١) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦١.

(٢) عبد الله بن سعد أبى سرح : هو أبو يحيى الحسام بن الحرث بن حبيب بن جذيمة بن نضر ابن مالك بن حسن بن عامر بن لؤى القرشى ، كان أخو عثمان فى الرضاعة ، وكاتب الوحي للنبي (، ص) ، ارتد عن الإسلام ، يوم فتح مكة أمنه عثمان بعد أن أهدر الرسول (ص) دمه ، أسلم ، وحسن اسلامه ، شهد فتح مصر ، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص فى فتحها ، ولاء عثمان ولاية مصر عام ٢٧هـ / ٦٤٧م ، وفيها غزا إفريقية وأسس مسجدا بالقيروان يعرف باسمه ، اختلف فى مكان وفاته ، قيل بإفريقية ، والرماة ، وعسقلان واختلف فى زمن وفاته فقيل سنة ٣٦ ، ٣٧هـ / ٦٥٦ - ٦٥٧م وقيل تأخر إلى أيام معاوية ومات عام ٥٩هـ / ٦٧٨م [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٨ . ابن تَعزى بردى: النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، الجزء الأول ، ص ٧٩ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨م / ١٩٢٩م ، القاهرة . محمد الباجى : الخلاصة النقية فى إمراء إفريقية ، ص ٣ ، المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ٥٥ . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٥ . المقرئ : نفع الطبيب : ج ٣ ، ص ٦٢ ، ٦٣ سنة ١٩٣٦م مطبعة عيسى الحلبي.مصر .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٥ .

(٤) كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكتب الوحي للرسول (ص) فكان إذا أملى عليه الرسول (ص) "سميعة عليما" كتب ابن سعد "عليما حكيمًا" وإذا قال الرسول (ص) "عليما حكيمًا" كتب ابن سعد "سميعة عليما" وإدعى ابن سعد أن الوحي ينزل عليه ، وقال إن كان محمد يوحى إليه ، فقد أوحى إلى ، وإن كان الله ينزل القرآن ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ، ولحق=

ومن الجدير بالذكر أن عثمان بن عفان كان أمام موقفين من طلب ابن سعد ، الموقف الأول وهو الرفض ، والثاني : الموافقة على طلبه ، وفى الحقيقة نجد أن عثمان رضى الله عنه كان مترددا فى البداية لأن عمر بن الخطاب رفض هذا الفتح ، ومن الصعب على عثمان أن تغيير هذا الموقف بسهولة ، ولكنه كان يميل إلى إجابة ابن سعد إلى طلبه كى يعزز موقف أخيه فى الرضاع (١)

بالإضافة إلى مواصلة الفتوح لنشر الإسلام فى مناطق أخرى غير التى فتحت قبل ذلك ويتضح لنا عزم عبد الله بن سعد على غزو إفريقية ، أنه لما ولى أمر مصر كان يبعث المسلمون فى جرائد الخيل يغيرون على أطراف إفريقية فيصبون كثيرا من الأنفس ، والأموال.(٢)

بالإضافة إلى قرب الروم من حوز (٣) المسلمين ، فكتب بذلك ابن سعد إلى الخليفة عثمان يستأنه فى غزوها كما يشير ابن عبد الحكم ، وابن عذارى (٤)

ولا أعتقد أن سبب غزو ابن سعد لإفريقية هو الحصول على الأموال والغنائم فقط ، وإنما هو نشر الإسلام ، وإدخال أهل هذه البلاد - البربر - فى هذا الدين ، فى المقام الأول ، ونظرا لأهمية هذه البلاد لدى الخليفة ، فقد عقد لها المشورة فيمن عنده من الصحابة (٥) ثم أرسل جيشا يضم كثير من

بالمشركين ، ولما دخل الرسول (ص) مكة ، وأمر بقتله وأباح دمه ، ولم ينجيه من القتل إلا عثمان بن عفان أخاه فى الرضاعة ، وقد أنزل المولى عز وجل فى شأنه عبد الله بن سعد قوله "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ" إلى قوله "تجزون عذاب الهون" (سورة الأنعام آية ٩٣) [الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن ، ج ١١ ، ص ٥٢٤ ، ٥٣٥ ، تحقيق محمود ومحمد شاكر ، وأحمد محمد شاكر ، سنة ٩٥٧م، دار المعارف ، مصر. ابن عطية : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ : ٢٨٧ ، تحقيق عبد الله الأنصارى ، السيد عبد العال السيد ابراهيم ، محمد العناني ، الطبعة الأولى ، رجب سنة ١٤٠٣هـ / ابريل ١٩٨٣م ، الدوحة . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٩ . وعبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٥٦]

- (١) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٧٩ .
- (٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٩ .
- (٣) الحوز : معناها مطلق التصرف فى الشئ دون مشاركة الغير [أبو العرب طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٦٥]
- (٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٨٣-طبعة ليدن .
- ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٩ .
- (٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٥ .

الصحابة حتى قدموا أرض مصر على عبد الله بن سعد (١) ومما هو جدير بالذكر أن هذا الجيش كان يقدر بحوالي عشرين ألفا يريدون إفريقية (٢) فلما انتهى بهم المطاف إلى برقة لقيهم عقبة بن نافع ، ومن معه من المسلمين ، وتوجهوا إلى طرابلس ، فانتصروا على من بها من الروم والبربر ، ثم توجه ابن سعد بجيشه نحو إفريقية - تونس - وبث السرايا في كل أفاقها.

كان أول صدام مباشر بين المسلمين ، وبين الروم والبربر ، عندما التقى ابن سعد قائد جيش المسلمين مع "جرجير" (٣) وكان صاحب إفريقية من طرابلس إلى طنجة قبل الإسلام ، وكان مستقر ملكه في قرطاجنة ، وكان هرقل ملك الروم قد ولاه إفريقية ، وكان يحمل إليه الخراج كل سنة ، وعندما سمع جرجير بخبر المسلمين استعد لملاقاتهم فجمع جموعة حتى بلغ عسكره حوالي مائة وعشرين ألف (٤) .

والتقوا بمكان يسمى "عقوبة" (٥) بينه وبين "سيبطة" (٦) يوم وليلة ، ولعل اختيار هذا المكان للقتال دون قرطاجنة ، يرجع إلى أن الروم أرادوا إيقاع العرب بين القاعدتين حتى لا يهاجم العرب عاصمتهم "قرطاجنة".

(١) استخلف عبد الله بن سعد على مصر : عقبة بن عامر الجهمي سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م [الكندى : الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٣ ، ١٤ تحقيق رفن كست سنة ١٩٠٨م بيروت . التميمي : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٩٤]

(٢) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٩ . الباجي : الخلاصة النقية ، ص ٩ .

(٣) جرجير "جرجور يوس" حاكم إفريقية البيزنطي "بطريق الروم" من قبل الإمبراطور هرقل ، ثم قسطنطين الثاني من بعده ، وعمد جرجور يوس إلى الانفصال عن الدولة البيزنطية سنة ٦٤٧م ونقل عاصمته من قرطاجنة إلى سيبطة في سنة ٦٤٨م وهو العام الذي غلبه فيه عبد الله بن سعد [د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٠ . يسميه ابن أعثم الكوفي جرجين : الفتوح ، ج ١ ، ص ١٣٥]

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٥ . الباجي : مصدر سابق ، ص ٤ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٨٨ .

(٦) سيبطة : بضم السين ، والطاء ، وفتح الباء ، وسكون الباء ، مدينة من مدن إفريقية ، كانت دار الملك بها اتخذها جرجير عاصمة له بعد خروجه عن طاعة الرومان بدلا من قرطاجنة بينها وبين القيروان سبعون ميلا [ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ، ص ٣٣ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٨ . د/ السيد سالم : مرجع سابق ، ص ٣٠ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٨]

استعد الطرفان لبدء القتال ، وفي أثناء ذلك أرسل عبد الله بن سعد يدعوا جرجير إلى الإسلام ، أو الجزية ، فتكبر ، وامتنع عن قبول أيهما ، فدارت معركة شديدة بين الطرفين حتى جاء المدد من عند الخليفة عثمان ، وعندما انقطع خبر المسلمين عنه ، أرسل عبد الله بن الزبير ، وبعض أفراد البيت الأموي (١) فلما وصل هذا المدد إليهم كثر التسييح ، والتكبير بين المسلمين فهاجموا سبيطة ، ودمروها ففت ذلك في عضد جرجير ، وكان ابن الزبير عندما ما وصل إلى إفريقية لم ترقه الخطة التي تحرك بها ابن سعد لملاقاه الأعداء ، لأنه رأى فيها من إتاحة الفرصة لأخذ الراحة الكافية لمقاومة المسلمين ، إذا كان يقاتلهم كل يوم إلى وقت الظهر ، ثم يعود الجيشان إلى أماكنهم حتى مجئ اليوم التالي ، فأشار ابن الزبير على ابن سعد ، بتقسيم جيش المسلمين إلى مجموعتين .. الأولى تسير لمحاربة العدو أول النهار .. أما الأخرى فتستعد لمواصلة الحرب ، ومباغته العدو عندما يأوى في الليل للراحة. عند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحا من جنود المسلمين وقصد الروم ، فلم يشعروا بهم ، حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد ، وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون (٢)

نجحت خطة ابن الزبير ، وقتل جرجير ، وانهزم الروم (٣) وفروا إلى حصون إفريقية (٤) وواصل المسلمون زحفهم حتى بلغوا سفوح الجبال ، وغنموا غنائم كثيرة ، فكان نصيب الفارس ثلاثة آلاف دينار ، ونصيب الراجل ألف دينار (٥) على ضوء ذلك طلب الروم والبربر الصلح مع المسلمين ، وشرطوا لابن سعد ثلاثمائة قنطار من الذهب ، على أن يذهب ويخرج من بلادهم (٦) فقبل منهم ذلك ، ولم يول عليهم أحد ولم يتخذوا قبروانا (٧) إنظر الشكل رقم (٢)

(١) ومنهم مروان بن الحكم وبعض المهاجرين [ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٨]

- د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٥٦

(٢) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٦ .

(٤) الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٨٤ .

(٦) الناصري السلاوي : مصدر سابق ج ١ ، ص ٦٨ .

(٧) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٨٤ .

وبمقتل جرجير يكون العرب قد وجهوا ضربة قوية أذلت الروم فى إفريقيا ، وأدت إلى انتهاء المقاومة الرئيسية لعبد الله بن سعد الذى فتح بلادا كثيرة فى إفريقيا حتى سهلها ، وجبلها كما يقول ابن تغرى بردى (١)

لكن فى سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م نقص أهل إفريقيا العهد ، فأعاد عبد الله ابن سعد الكرة مرة أخرى ، وفرض النظام فى ربوعهم ، وأقرهم على الإسلام أو الجزية (٢) ثم عاد إلى مصر ، وكان مقامة بأفريقية سنة وثلاثة أشهر (٣) وبعد أن أتم ابن سعد فتح طرابلس لم يترك فيها حامية قوية تستطيع أن تدافع عن المدينة ، واكتفى آنذاك بفرض الجزية على أهلها (٤)

حملة معاوية بن حديج على إفريقيا سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م

وعندما علم هرقل بذلك أراد أن يأخذ منهم مثلما أعطوا للمسلمين ، ولكنهم رفضوا إعطاء الجزية مرة أخرى لهرقل ، وقالوا نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا ، وينبغى عليه أن يسامحنا لما ناله المسلمون منا (٥) فحاربهم البطريق "أوليمة" الذى أرسله هرقل ليجمع له المال (٦) وهزم الملك الذى تولى عليهم بعد جرجير ويسمى جناها أو هياها (٧) وطرده البطريق إلى الشام فذهب إلى معاوية بن أبى سفيان ، ووصف له بلاد البربر ، وطلب منه أن يرسل معه جيشا من العرب ، فأرسل معه معاوية بن حديج السكونى (٨) فى جيش

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٨٠.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٥٣.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٦.

(٤) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، بيروت .

(٥) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٦ .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧.

(٧) الناصرى السلاوى : *البربر* ، ج ١ ، ص ٦٨.

(٨) معاوية بن حديج السكونى ، وقيل الخولانى : شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وفتح بالفتح على عمر بن الخطاب ، ذهبت عينه فى غزوه النوبة مع ابن سعد ، اختط مدينة عند القرن ، وسماها قيروان قبل تأسيس عقبة مدينة القيروان ، ولى إمارة مصر لمعاوية ، وليزيد ، من بعده أقام بها مدة إقامته بأفريقية ، حفر آبار عند باب تونس من ناحية الجبل بالقرب من مصلى الجنائز . تسمى آبار خديج ، قيل صحب النبى (ص) وروى عنه ، وقيل ليست له صحبه ، حدث عن عمر بن الخطاب وعن أهل مصر ، وبها توفى سنة ٥٢هـ / ٦٧٢م قبل ابن عمر [ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٦ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٧ : ١٩ . الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، =

ضخم سنة ٤٥هـ/٦٦٥م (١) ، فلما وصل إلى الأسكندرية توفى جناها (٢) ومضى ابن حديج ، إلى إفريقية في جيش كبير قوامه عشرة آلاف جندي .

فنزل عند قمونية (٣) على الجانب الآخر ، أرسل قيصر الروم جيشا كبيرا بقيادة البطريق أوليمه (٤) في ثلاثين ألف مقاتل (٥) عن طريق البحر للدفاع عن إفريقية ضد المسلمين الذين استطاعوا هزيمته ، وتم محاصرة حصن جلولاء (٦) ، وهدم سور ه ، وغنم المسلمون ما فيه (٧) ثم بث ابن حديج

-
- ج ١ ، ص ٦٨ المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٦٠ ، الباجي : الخلاصة النقية ، ص ٤ ، أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٦ • الزاوي : تاريخ الفتح العربي : فى ليبيا ، ص ٧٤ . د/محمد زيتون: القيروان ، ص ٣٣ • أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى ، ج ٢ ، ص ٥٥]
- (١) تاريخ ابن خياط ، ص ٢٠٧ . الناصرى السلاوى : الإستصقا ، ج ١ ، ص ٦٨ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧ .
- (٢) يذكر البعض سبب قدوم ابن حديج إلى إفريقية ، فيقول "استغل البربر الخلاف الذى نشأ بين على ومعاوية ، بسبب الخلافة ، ورفعوا راية العصيان بإعلان استقلالهم ، وقد أمر معاوية بن أبى سفيان ، معاوية بن خديج بتسكين هذه الثورة ، لكن هذا الرأى ضعيف لأن الخلاف بين على ومعاوية كان قد انتهى سنة ٤١هـ/٦٦١م ، تتنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة ومدة أربع سنوات تعتبر كافية لإستتباب الأمر لمعاوية . (انظر : محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٢٧)
- (٣) قمونية : بالفتح وبعد الواو نون ثم ياء خفيفة : مدينة بإفريقية ، كانت تقع موضع القيروان قبل أن تمصر ، حدها من الجنوب قسطنطية ، والشمال سوسة ، ومتصلين بالبحر ، وهى المدينة المعروفة بسوس المغرب ، وتعتبر قلب أفريقية البيزنطية [ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٦ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٥٢ . الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ص ٤٥]
- (٤) ذكر الأستاذ محمود ناجى أن هذا البطريق اسمه "سيسه فورو" ولا أدرى من ابن أتى بهذا الإسم [طرابلس الغرب ، ص ١٢٧]
- (٥) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٦ ، ٤٧ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٧ .
- الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ص ٤٥]
- (٦) جلولاء : أو جلو لا مدينة قديمة بالمغرب تبعد عن القيروان بأربعة وعشرون ميلا منها تحمل الفواكه إلى القيروان فى كل وقت فتحها عبد الملك بن مروان ، وهى مدينة حصينة عيها سور [البكرى : المغرب ، ص ٣٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ ، ياقوت : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٥٦]
- (٧) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٧ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٧ .

السرايا في مختلف البلاد ، ومنها بعثه عبد الله بن الزبير إلى سوسه (١) ، على الرغم من إرسال ملك الروم بطريقا يقال له (نجفور) في ثلاثين ألف مقاتل للدفاع عن سوسه ، لكن ابن الزبير تمكن من فتحها ، وهزم الروم (٢) فعادت طرابلس وملحقاتها للمسلمين ، وفقد الروم الأمل في هذه الأرجاء ، فانسحبوا تاركين البربر لحالهم ، ولم يتمكنوا بعد ذلك من استعادة السيطرة على هذه الجهات مرة أخرى (٣)

من ناحية أخرى بعث ابن حديج رويغ بن ثابت الأنصاري (٤) ، فقام بحملة قصيرة عبر بها البحر إلى جزيرة "جربة" (٥) ففتحها ، ثم عاد إلى طرابلس التي كان أميراً عليها.

استقر معاوية بن حديج في منطقة جبل القرن ، وجعلها مقراً له ، وبنى بها مساكن سماها قيروانا ، وبها أبار تسمى باسمه ، ثم عاد ابن حديج بعد ذلك إلى مصر بعد أن ترك آثار حسنة (٦)

- (١) سوسة : بضم السين ، وسكون الواو ، ثم فتح السين ، وهاء ، وهي من مدن إفريقية على الساحل جنوبى تونس لها سور حصين ، وماء عذب ، وفيها أسواق حسنة ، وغلات واسعة. أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب الرقيقة ، وتنسب إليها العمائم وهي جيدة المتاع [أبو القداء: تقويم البلدان ، ص ١٤٥ . ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٧٤ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨١] لكن صاحب الاستقصا: يذكر أن الروم هزمت عن حصن الأجم ، والذي افتتح جلولا هو عبد الملك بن مروان [الناصرى السلاوى ، ج ١ ، ص ٦٨]
- (٢) الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨.
- (٣) محمود ناجى : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٢٨.
- (٤) رويغ بن ثابت الأنصاري بن السكن بن عدى بن حارثة ، وقيل ابن خارجة الأنصاري بن مالك بن النجار ، صحابى جليل ، شارك في فتح مصر ، وسكنها ، ولاءه ابن حديج على طرابلس سنة ٦٤٦هـ/٦٦٦م غزا جزيرة جربة من طرابلس ، وفتحها سنة ٦٤٧هـ/٦٦٧م توفى ببرقة ، وهو أمير عليها سنة ٦٥٣هـ/٦٧٣م فى ولاية مسلمة بن مخلد على إفريقية من قبل معاوية بن سفيان [الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٨ ، ٧٩]
- (٥) جربه : بالفتح ، ثم السكون ، والباء موحد خفيفة ، وقيل بكسر الجيم ، وهي جزيرة مجاورة للسان قرب قابس يسكنها البربر ، غزاها رويغ من ثابت ، ويبدو أنها كانت مأهولة بالسكان ، لأن المسامين غنموا منها كثيرا [ياقوت : معجم السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٨ . د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٢٦]
- (٦) من آثار ابن حديج الحسنة أنه استطاع فتح جلولا ، وسوسه ، وبنزرت ، وإن لم يخض معارك فاصلة ، كما كان هو صاحب فكرة إنشاء قاعدة ينطلق منها الجيش الإسلامى لتحقيق أهدافه ، بدون أن تكون هناك مسافات شائعة تستنفذ جهده وتضعف من قوته [د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٢ ، ٤٣]

فى إفريقية (١) ويذكر المؤرخون أن معاوية بن حديج غزا إفريقية ثلاث مرات، الأولى سنة ٣٤هـ/٦٥٤م وأوغل فيها حتى مشارف صقلية (٢) والثانية كانت سنة ٤١هـ/٦٦١م ، والثالثة سنة ٤٥هـ/٦٦٥م وكانت حربا كلها (٣)

ومما هو جدير بالذكر أن ضعف الناحية الدفاعية عند الروم فى إفريقية، يرجع إلى شغل معاوية بن أبى سفيان لهم فى آسيا الصغرى بالدفاع عن أنفسهم (٤) مما أتاح الفرصة لابن حديج للعمل على فتح هذه البلاد.

عقبة بن نافع ودوره فى الفتوح ونشر الإسلام ٥٠هـ/٦٧٠م

وفق معاوية بن أبى سفيان فى اختيار عقبة بن نافع لولاية إفريقية عام ٥٠هـ/٦٧٠م (٥) حيث كان عقبة من أوائل المسلمين الذين دخلوا إفريقية مع ابن خالته عمرو بن العاص من سنة ٢٣ : ٤٣هـ/٦٤٣ - ٦٦٣م ، وظل مقيما

(١) الناصرى السلاوى : الإستصفا ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٢) صقلية : بثلاث كسرات ، وتشديد اللام ، والياء أيضا والبعض يقول بالسين ، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام : وهى من جزائر بحر الروم ، مقابلة لإفريقية ، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى ، مسيرة سبعة أيام ، بين الجزيرة وبر إفريقية مائة وأربعون ميلا إلى أقرب مواضع إفريقية المسمى إقليبية ، وهى جزيرة كثيرة البلدان ، والقرى ، والأمصار [ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٧٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ٣٥]

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٤ ، ١٦ .

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢٧ .

(٤) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٥) عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر ، ولد قبل وفاة الرسول (ص) بسنة واحدة ، صحابى بالمولد ، وهو آخر من ولى المغرب من الصحابة ذهب إلى إفريقية تحت قيادة عمرو بن العاص ، أمير مصر ، وفى صحبه والده ، ونافع بن عبد القيس ، سار لحرب النوبة مع عبد الله بن سعد ، وهو فى بداية حياته ، تولى قيادة جيش من جيوش المسلمين فى فتح زويلة عام ٢١ ، ٢٢هـ/٦٤٢م وفى سنة ٤١هـ/٦٦١م أرسله عمرو بن العاص إلى إفريقية ، فانتهى إلى قبيلة لواتة ، ومزاته ، فأطاعوا ، ولكنهم مالبثوا أن شقوا عصا الطاعة فغزاهم فى نفس العام ، فقتل منهم الكثير - ثم سار إلى غدامس ففتحها فى سنة ٤٢هـ/٦٦٢م ، وفى عام ٤٣هـ/٦٦٣م افتتح كورا من بلاد السودان ، وودان ، تولى قيادة إفريقية بعد معاوية بن حديج ، ثم عزله معاوية بن أبى سفيان ، وردّه إليها ابنه يزيد عام ٦٢هـ/٦٨٢م أقام برقة ثم بنى القيروان ، كان حريصا على الجهاد والمغازى ، وصل بها إلى المحيط ، وفى طريق عودته قتل ٦٣هـ/٦٨٣م وجميع أصحابه عند الزاب بتهوده. [تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٤ ، ٢١٠ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٩ . ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ، كتاب الشعب ، بدون تاريخ . الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٩ . د/ عبد المنعم عبد العال :

لهجة شمال المغرب ، ص ٤٠ . بروكلمان : مرجع سابق ، ص ١٢٧]

بها حوالى ربع قرن من الزمان ، مما جعله من أعلم الناس ببلاد البربر التى تم فتحها ، فقد عمل تحت قيادة أكثر من قائد من قواد المسلمين (١) حتى اختاره معاوية بن أبى سفيان ليبدأ مرحلة جديدة فى الفتوحات وتثبيت أقدام المسلمين فى بلاد البربر ، وإخضاع القبائل البربرية التى جبلت على المكابذ، والحرب والصراع (٢) وكان معاوية يعد الحملات الناجحة التى شنّها المسلمون فى المرحلة الأولى على إفريقية ، والتى كانت تهدف إلى العمل على نشر الإسلام، ومعرفة طبيعة هذه البلاد ، والحصول على المغنم والسبى ، وقد أراد أن يكون وجود المسلمين دائما ، وثابتا فى هذه المنطقة ، فأسند إلى عقبة بن نافع هذه المهمة لما عرف عنه من شجاعة ، وقوة ، وجلد فى حرب البربر ، وقد رسم عقبة لنفسه خطة سعى إلى تحقيقها ، وكانت تختلف عن الذين سبقوه وأمه معاوية بجيش كبير يقدر بحوالى عشرة آلاف فارس (٣)

اتخذ عقبة طريقة داخل البلاد مباعدا الساحل ليخضع بعض القبائل الثائرة مثل مزاته ، وهى من فرع لواته (٤)

كما أعاد سيطرة المسلمين على المدن الساحلية مثل طرابلس ، وفزان (٥) وأسلم على يديه كثير من البربر ، وقد عمل على إدخالهم فى جيوشه حتى تتاح لهم الفرصة لتعليهم مبادئ الإسلام ، وقد أصبح هؤلاء البربر بعد أن حسن اسلامهم ، نواه للجيش الذى حمل على عاتقه القضاء على الحكم الرومانى فى شمال إفريقية جملة واحدة (٦) ولما كان البربر قوما شديدي المراس ، قد جبلوا على التمرد ، والثورة ، وليس هناك أمان على المسلمين

(١) منهم عمرو بن العاص ، عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، معاوية بن حديج الكندى.

(٢) د/ أحمد السيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٥٥، دار المعارف-مصر، بدون تاريخ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٥ .

(٤) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٥) فزان : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه وأخره نون : ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ،

قيل سميت بفزان بن حام بن نوح عليه السلام ، بها نخل ، وتمر كثير ، ومدينتها زويلة

السودان والغالب على أهلها السواد [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٥]

(٦) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢٧ .

أن ينزلوا بين أظهرهم (١) فقد رأى عقبة بعد انتصاراته على البربر أن يقيم للمسلمين قاعده دائمة يتمركزون بها ، وينطلقون منها للفتح ويأمنوا على أهليهم ، وأموالهم من ثورة أهل البلاد "البربر" فقال لجنده "إن إفريقية إذا دخلها أمام أجاويه إلى الإسلام ، فإذا خرج منها رجع من كان استجاب منهم لدين الله إلى الكفر ، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عز الإسلام إلى آخر الدهر (٢)

اختار عقبة مكان هذه القاعدة ، بحيث تكون بعيدة عن الساحل ، حتى لا تدرکها مراكب الروم فتهلكها (٣) وغير متوغلة في الداخل حتى يستطيع الإبل والدواب الوصول إليها ، والرعى فيها بسهولة ، وتكون في مأمن من خطر الروم والبربر (٤)

وبدأ عقبة في بناء مدينة القيروان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م (٥) لتكون قاعدة أمامية للفتوح العربية في المغرب ، وذلك جريا على السياسة التي بدأها المسلمون في الفتوحات في المشرق ، فقد أنشأوا عدة مدن مثل البصرة والكوفة في العراق ، وكان موقع القيروان يساعدها على الإتصال بمختلف البلاد ، وأن تتلقى المدد من مصر ، فالمدينة بموقعها الإستراتيجي تختلف عن غيرها من المدن لأنها لا تختلف في نهاية الطريق الممتد من مصر إلى إفريقية ، مما جعل منها مدينة شبة اصطناعية (٦) اختار عقبة مكانا قريبا من

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ : ٤٧٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٣) ياقوت : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .

- ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠ .

- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٥) تاريخ ابن خياط ، ج ١ ، ص ٢١٠ ، الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٦٩ ،

ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٠ ، الباجي : الخلاصة النقية ، ص ٥ .

القيروان معناه : معسكر أو مدينة وقيل موضع اجتماع الجيش والناس ، وقيل محط أتقال الجيش ، أو الجيش نفسه والقيروان بفتح القاف وسكون الباء ، وفتح الراء مدينة من مدن إفريقية ، وهي بعيدة عن الساحل على مسافة ستة وثلاثين ميلا عن البحر ، وحوالي مائة ميل عن تونس ، ثم وصف القيروان بأنها أكثر مدن المغرب تجارة وأسواقا ، وأحسنها منازل ، كان فيها ديوان جميع المغرب وإليها تجبي أموالها وبها دار السلطان ، وهي مدينة مسورة هدمت عدة مرات ، وأعيد تشييدها [ياقوت : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ :

٤٧٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ . الباجي : مصدر سابق ، ص ٥]

(٦) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

السبخة (١) لبناء مدينته الجديدة ، فنظف المسلمون المكان من الأشجار الكثيرة، والحشائش ، والأشواك ، وبدأ عقبة فى بناء مقر دار الإمارة ، ثم أخذ فى بناء المسجد الجامع يقول ابن عذارى (٢) "فاختط عقبة أولا دار الإمارة ، ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم فاخطه" وهذا يأتى على خلاف الطريقة التى اتبعت فى بناء المدن العربية فى صدر الإسلام من بناء المسجد أولا ثم دار الإمارة ، ويرجع هذا إلى الخلاف الذى حدث بين الناس فى تحديد القبلة مما دفع عقبة إلى أن يبدأ بدار الإمارة أولا.

وقد بلغت مساحة مدينة القيروان كما قدرها ابن عذارى (٣) نحو ١٣,٦٠٠ ذراع أى حوالى ٧٠٠٠ متر ، أما ابن الأثير (٤) فيقدرها بحوالى ٣٦٠٠ باع أى ٥٨٠٠ متر ، فالمساحة على الرأى الأول تشمل مسكان العسكر والقبائل ، أما المساحة على الرأى الثانى فتشمل دار الإمارة والمسجد الجامع ، ومكان حفظ الذخائر فقط ، وبنى لها سورا كبيرا بلغ مقداره اثنى عشر ميلا (٥)

استغرق بناء مدينة القيروان حوالى أربع سنوات (٦) وبعد أن أكمل عقبة بنائها عزل عنها سنة ٥٥٥هـ/٦٧٥م (٧) حيث استعمل معاوية بن أبى سفيان مسلمة بن مخلد الأنصارى (٨) على مصر وإفريقية ، وهو أول من جمع له المغرب كله (٩)

(١) السبخة : تقع فى مكان متوسط بين الساحل ، والهضبة القريبة من السفوح الصالحة للرعى، [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٦. د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص

[١٤٣

(٢-٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ٢١.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٥.

(٥) الناصرى السلاوى : الأستقصا ، ج ١ ، ص ٦٩ ، الميل يساوى ثلاثة ، أو أربعة آلاف ذراع [أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص ١٥]

(٦) لكن ابن خياط يذكر أن عقبة أقام بها ثلاث سنوات ، تاريخ ابن خياط ، ص ٢١٠.

(٧) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢١.

(٨) مسلمة بن مخلد بن الصامت "الزرقى" الأنصارى ، ولد فى السنة الأولى للهجرة ، وولاه معاوية بن أبى سفيان مصر ، وهو أحد قتله محمد بن أبى بكر ، قتل أبوه يوم بعث ، سكن مصر ، ومات بها وهو وال عليها سنة ٦٢٢هـ/٦٨٢م [ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ،

ص ٣٦٦ ، ٤٣٥]

(٩) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢١.

ويرجع المؤرخون سبب عزل عقبة إلى الشدة التي استخدمها في معاملة البربر ، بدليل أن أبا المهاجر دينار الوالي الجديد لإفريقية من قبل مسلمة ، سار على سياسة مغايرة لها تماما (١) ، لكن يرى البعض ، أن اعتناء عقبة ببناء مدينة القيروان قد جعله يهمل في جمع الضرائب ، الأمر الذي دعا معاوية بن أبي سفيان إلى عزله (٢) ويبدو أن هذا الرأي فيه تজন كبير على عقبة ، لأن بناء المدينة لم يتم دفعة واحدة ، فقد استغرق بناؤها حوالي أربع سنوات ، كانت المدينة تعمر ، وتتسع شيئا فشيئا خلال تلك الفترة ، ولم يوجد كل نشاطه للبناء فقط ، لكنه كان يوجه السرايا لحفظ الأمن فتأتى بالمغانم ، والأسلاب (٣) بل على العكس فإن بناء المدن يحتاج إلى كثير من الأموال ، وهو ما يجعل الكثيرين يضطرون إلى فرض الكثير من الضرائب مما ينفى هذا الرأي ، والراجع أن معاوية ولي مسلمة على إفريقية بعد أن كان واليا على مصر فقط حتى تكون الصلة وثيقة ، والأمر واحد بالنسبة للفتوحات ، والإهتمام بها في بلاد المغرب ، وحتى لا يكون هناك تلكؤ ، أو تنازع في الإختصاصات ، أو تقاعس في تلبية الأوامر .

وقد هيا تأسيس مدينة القيروان في إفريقية على يد عقبة بن نافع مركزا حصينا اتخذه المسلمون قاعده لنشر الإسلام في المغرب ، وقد تدفقت قواتهم منها إلى الجهات الأخرى ، لكن عقبة لم يستطع اتمام فتح إفريقية نظرا لطبيعتها الجبلية التي تتحصن فيها القبائل البربرية من البرانس ، وتتخذها معاقل تحميهم من غارات العرب (٤) أنظر الشكل رقم (٣)

دور أبي المهاجر دينار في الفتوحات ٥٥-٦٢٢هـ/٦٧٥-٦٨٢م

ولى مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر وإفريقية ، أبو المهاجر دينار (١) بعد أن عزل عقبة عن إفريقية ، فقد كافأه بولاية إفريقية ، حيث جعله نائبا له فى المغرب ، لأنه كان شديد القرب منه ، كما ذكر ابن عذارى (٢) حيث قال : "أبو المهاجر كواحد منا صبر علينا فى غير ولاية ، فنحن نحب أن نكافئه ، ونصطنعه" إلا أن الرواة يملون سريعا على أعماله ، ولا يذكرون إلا ما فعله بعقبة ، لكننا نجد أن أبا المهاجر قد قام بأعمال تجدر الإشارة إليها منها:

أنه أول مسلم وطئت خيله أرض المغرب الأوسط "الجزائر" ، معنى هذا ، أنه ضم مناطق جديدة إلى دولة الإسلام ، وتدفق أهل هذه المناطق فى الإسلام ، وكان نشر الإسلام يسير جنبا إلى جنب مع الفتوح ، ومن هذه الأعمال أيضا ، دخول كسيلة زعيم قبيلة أوربة البربرية (٣) فى الإسلام مما حقق مكاسب كبيرة ، لأن كسيلة لم يسلم بمفرده ، لأنه زعيم فى قومه ، فقد دخل معظم قومه فى الإسلام ، بالإضافة إلى رغبته القوية فى الفتوح ، ونشر الإسلام التى جعلته لا يعقد معاهدة مع الروم على أن يتركهم وشأنهم ، على الرغم من عجزه من الإستيلاء على قرطاجنة ، فما كان منه إلا أن ساومهم على أن يأخذ جزءا من بلادهم ، وهذا يدل على أن أبا المهاجر كانت لديه النية الصادقة فى الإستيلاء على عاصمتهم ، وهزيمتهم ، وطردهم من المغرب.

(١) أبو المهاجر دينار ... لا يعرف عن ماضيه إلا أنه كان مولى لمسلمة بن مخلد ، اشتهر بكنيته وهى "أبو المهاجر" أكثر من اسمه وهو "دينار" تولى إفريقية سبع سنوات من سنة ٥٥ - ٦٢٢هـ/٦٧٥ - ٦٨٢م [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢ ، الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٧٧ ، د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٨]

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٣) كسيلة : بضم ، أو فتح الكاف ، يبدو أن اسم كسيلة بصيغة التصغير من اختراع النساخ ، أما الأصح أن يقرأ كسيلة على وزن كبيرة [عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٠] ويسمى قسيلة (Koceila) بالقاف [أحمد فكرى : مسجد القيروان ، ص ٧ ، سنة ١٣٣٥هـ/١٩٣٦م ، مطبعة المعارف ، مصر] كان نصرانيا [تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٢٥١] ويدعى كسيلة بن لمرم ، ويضبطه "ابن الأثير" ، بفتح الكاف ، وكسر السين ، لمرم بفتح اللام ، والراء [أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٦٠]

ويرجع مرور الرواة السريع على أعمال أبي المهاجر إلى مكانه الفهريين من أقارب عقبة ، حيث كان لهم مركز ممتاز في مصر ، والمغرب ، والأندلس ، وكان منهم رواه ، وإخباريون أغفلوا ذكر أعمال أبي المهاجر ، ومكانه بنى أبي المهاجر ، لم تكن ترقى إلى مرتبة الفهريين (١)

خرج أبو المهاجر سنة ٥٥٥هـ/٦٧٥م من مصر قاصدا إفريقيا ، فعزل عقبة بن نافع ، ولم يكتف بهذا ، ولكنه استخف به ، وكره النزول ، والإقامة في مدينة عقبة القيروان ، بل أخلاها وتركها ، ونزل على بعد ميلين منها وجعل تيكروان (٢) عاصمة للمسلمين بدلا من قيروان عقبة (٣)

- (١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٨٩ .
- (٢) تيكروان : تعرف بدكرور أو تكرور ، وهي تقع شمال القيروان بميلين [المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٢٠ . أبو العرب: طبقات علماء إفريقيا ، ص ٥٧]
- (٣) هناك تهمة ملصقة بأبي المهاجر ضد عقبة منها :
... أنه أساء عزل عقبة ، ووضعها في الحديد مكبلا .
... وكره أن ينزل الموضع الذي اختلطه عقبه .
... وبنى مدينة له ، وعمل على عمرانها ، وأمر الناس أن تحرق القيروان ، ويعمروا مدينته .
[ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٣١ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢ .
الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٧١]
- وثبت براءة أبي المهاجر من هذه التهمة كالآتي:
بالنسبة للإساءة ، فلم يكن أبو المهاجر إلا منفذا لسياسة قانه مسلمة بن مخلد ، فماذا يكون بين مولى صغير كدينار ، وفتاح عظيم كعقبة من الأمور ، إنما تكون هذه الأمور بين مسلمة وعقبة ، وكلاهما وال وبينهما من التنافس إلى السبق والشرف على الولاية ، والغنيمة ، والخطوة لدى الخليفة ، هذا بالإضافة إلى موقف أبي المهاجر طوال حملة عقبة بعد ولايته الثانية فمعظم المصادر تؤكد أن أبا المهاجر لم يدخل بتقديم النصيح ، وتحذير عقبة من كسيلة ، فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على الأخلاق التي كان يتمتع بها أبو المهاجر ، مما يجعله بريئا من هذه التهمة .
- أما تخريب القيروان ، فلو صح هذا الرأي لمكث عقبة في إصلاحها وردّها إلى ما كانت عليه وقتا طويلا ، وما حدث هو أن أبا المهاجر نقل الناس والمصالح الهامة في المدينة إلى جهة قريبة منها ، بالإضافة إلى أن أبا المهاجر لم يكن لديه الوقت لبناء مدينة جديدة ، وإنما نزل في قرية بربرية على مقربة من القيروان ، وبما أنها قرية بربرية فإنه لم يترك عليها من يحميها من العرب ، لأن سياسته كانت تعتمد على المزج ، والتقريب بين العرب والبربر ، فترك عليها من يحميها من أهلها البربر الذين دخلوا في الإسلام ، ووكّل لهم هذه المهمة ، ولو كان قد أقام مدينة جديدة كالقيروان لترك عليها من يحميها من المسلمين [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، د/ حسن مؤنس: فتح العرب للمغرب ، ص ١٧١ ، ١٩٨ .
- د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٠] من جانب آخر نجد أن مسلمة بن مخلد الأنصاري هو الذي سعى في عزل عقبة ، لكي تصبح ولاية إفريقية تابعة له ، وتم له ذلك في سنة ٦٧٤هـ/٦٧٥م فولى عليها مولاة [المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢١]

علم أبو المهاجر بوجود جموع من الروم وبربر أوربة (١) وزحفهم نحو المسلمين لطردهم من هذه المناطق ، فجمع جموعة وزحف إليهم ، وتمكن من الإنتصار عليهم قرب تلمسان.

وظل أبو المهاجر يفتح كل ما يمر عليه حتى انتهى إلى منطقة العيون المعروفة بإسمه (٢) وتم حفر هذه العيون من أجل إصراره على استكمال الفتح لمنطقة تلمسان ، وإزالة خطر التحالف بين الروم والبربر .

وكان لتباين سياسة أبي المهاجر عن سياسة عقبة ، تأثير كبير لدى البربر ، فنجد في سياسة أبو المهاجر المرونة ، والملاطفة ، والملائية ، فقد صالح كسيلة زعيم قبيلة أوربة ، بل إنه أحسن إليه وأكرمه حتى تمكن من أن يبرم معه صداقة قوية كانت نتيجتها دخوله في الإسلام ، وكذلك قبيلته ومساندته ، فتمكن أبو المهاجر من الإستيلاء على تلمسان

ومن الجدير بالذكر أن أبا المهاجر إتجه لفتح أكبر معاقل الروم "قرطاجنة" ٥٩هـ/٦٧٩م (٣) وضرب الحصار عليها حتى صالحه الروم على أن يجعلوا للمسلمين جزيرة شريك (٤) مقابل رفع الحصار عن قرطاجنة ، ثم رجع أبو المهاجر إلى المكان الذي اتخذ مقرأ له قرب القيروان ، فأقام به حتى عزل (٥)

وهكذا نجد أن سياسة أبي المهاجر قد أدت إلى انضمام عدد كبير من البربر إليه ، وكسب تأييدهم له ، مما فتح مناطق جديدة في المغرب ، وضمها إلى رقعة الدولة الإسلامية ، بالإضافة إلى فتح الطريق أمام قبائل البربر

(١) بربر أوربة : هم فرع من قبائل البربر البرنسية ، زعيمهم كسيلة كان نصرانيا استطاع أبو

المهاجر ضمه إلى الإسلام [الناصرى السلاوى: الإستيلاء ، ج ١ ، ص ٧١]

(٢) منطقة العيون : توجد بالقرب من تلمسان [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٨ ،

الناصرى السلاوى : مسرّاج ، ج ١ ، ص ٧٢]

(٣) الذهبى : دول الإسلام ، ج ١ ، ٢ ، ص ٤٢ .

(٤) جزيرة شريك : بفتح الشين ، وكسر الراء ، وياء ساكنة ، وكاف : كورة بأفريقية بين سوسه ،

وتونس تنسب إلى شريك بن قرّة العيسى ، كان عاملا عليها ، وقصبه هذه الكورة ، بلد يقال

لها باشو ، وهى مدينة كبيرة أهله ، بها جامع ، وحمامات ، وأسواق عامرة ، بحذاء جزيرة

شريك فى البر نحو جهة الجنوب جبل زغوان [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ،

[١٥٩]

(٥) ابن تَعْرَى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

الأخرى للدخول فى الإسلام ، لما جاء من مبادئ سامية ، وقيم نبيلة ، كان لها أكبر الأثر فى نفوس البربر ، فأيقنوا أن العرب جادون فى نشر دينهم ، وتخليص هذه البقعة من سيطرة الروم. من ناحية أخرى أدى إحتكاك العرب بالبربر إلى وجود نوع من العلاقة التى ساعدت على دخول كثير منهم فى الإسلام وقد بدأت العلاقة بين العرب والبربر منذ زمن مبكر ، فمنذ اختطاط مدينة القيروان ، والإقبال على الإسلام مستمر من ذلك الحين ، ولا شك فى إن اسلام الزعيم البربرى كسيلة بعد بناء القيروان بثمان سنوات ، كان له أثر كبير حيث أن هذا الزعيم لم يسلم بمفرده ، وإنما تبعه قومه ، وهذا مما جعل البربر ، والعرب يسرون جنبا إلى جنب لفتح البلاد ، ونشر الإسلام (١)

وما كان لأبى المهاجر أن يحتاج المغرب الأوسط (الجزائر) دون

مساعدة كسيلة وقومه (٢) انظر الشكل رقم (٤)

ولاية عقبة الثانية وفتح المغرب الأقصى (٦٢: ٦٤هـ/٦٨٢: ٦٨٤م)

توجه عقبة بن نافع إلى عاصمة الخلافة في الشام لمقابلة معاوية بن أبي سفيان فوجده قد توفي عام ٦٠هـ/٦٨٠م ، وتولى بعده ابنه يزيد ، فدخل عليه عقبة ، وأخبره بما صنع أبو المهاجر معه ، وقال له ، افتتحت إفريقية وبنيت مسجدا للجماعة ، ثم بعثتم عبد الأنصار ، فأهانني وأساء عزلي (١) فغضب يزيد وقال : أدركوها قبل ان يخرجها" وسمح له باسترجاع إفريقية من والى مصر ، وأعادها إليها سنة ٦٢هـ/٦٨٢م وهي ولايته الثانية على إفريقية (٢)

(١) هناك اتهامات موجهة إلى عقبة بن نافع ضد أبي المهاجر دينار ، وخاصة عند ابن عذارى "ومن تبعه ، فإن عذارى يذكر عدة أقوال متضاربة في كتابة البيان المغرب: الأول في ، ج ١ ، ص ٢٣ ... حيث يقول "مضى - عقبة - حنقا على أبي المهاجر حتى قدم إفريقية فأوثق أبا المهاجر في الحديد" .
الثاني ، ج ١ ، ص ٢٩ ... حيث يقول : "فلما قدم عقبة ، وعزل أبا المهاجر عرفه بحال كسيلة ، وأنه من ملوك البربر ، ولم يستحكم الإسلام بقلبه".
الثالث ، ج ١ ، ص ٢٩ ... أيضا فعندما أهان عقبة كسيلة كان رد أبي المهاجر على عقبة "بئس ما صنعت كان رسول الله (ص) يتألف جبابرة العرب ، وأنت تأتي إلى رجل جبار في قومه ، وفي دار عزه ، قريب العهد بالشرك فتتهينه".
ويعد اتهام ابن عذارى لعقبة في القول الأول مشكوكا في صحته لعدة أسباب:
أولا: لم يوضح ، ويفصل كيف كانت معاملة عقبة لأبي المهاجر بعد أن عاد إلى ولاية إفريقية مرة أخرى.

ثانيا: يعتبر استشهاد أبي المهاجر مع عقبة دليلا على أنه لم يعامله معاملة سيئة ، لأنه إن صح ذلك كما يذكر ابن عذارى لما قام أبو المهاجر بحمل سلاحه ، والحرب مع عقبة ، ودليلنا في هذا قول عبيد الله بن صالح في : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٠٧ ، ٢١٠ "واستشهد عقبة ، وأبو المهاجر ، وسيفاهما بيدهما" حتى على فرض أن عقبة قد أطلق سراحه للمحاربة معه فقد كان يستطيع ألا يفعل ويتركه. أما القول الثاني ، والثالث يناقض القول الأول عند ابن عذارى...

أولا: كيف يحبس عقبة أبا المهاجر ، ويقيده بالحديد ، ويعرفه أبو المهاجر بحال كسيلة.
ثانيا: يعد تحذير أبي المهاجر لعقبة ، عندما أهان كسيلة وهو حديث عهد بالإسلام ، وضربه له المثل بسيدنا رسول الله (ص) وما كان يفعله مع أكابر العرب دليلا على إخلاصه في النصيح له مع عقبة يجعلنا نطلق عليه لفظ "مستشار عقبة" وليس خصمه أو عدوه.

ثالثا: إن سلمنا يقول ابن عذارى بأن عقبة قيد أبا المهاجر في الحديد ، فكيف يكون أبا المهاجر دليل عقبة في هذه البلاد ، وهل يخلص له النصيح ، أيضا هل نصف أبا المهاجر بأنه يتمتع بالروح ، والأخلاق الإسلامية المرتفعة ، وهو من الموالى ، ونصف عقبة بعكس ذلك ، وهو أحد صحابة الرسول (ص) تربي ، وتعلم من أخلاق الرسول (ص) وصحابته الكرام.

وفي النهاية يرى الباحث أن هذه التهم التي تمس عقبة غير صحيحة ولا تتماشى مع منطوق الأحداث ، ولا مع أخلاق هذا الرعيل من المسلمين الأوائل.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٣.

توجه عقبة بن نافع من دمشق مارا بمصر فاعتذر له صاحبها - مسلمه بن مخلد - عما فعله أبو المهاجر به ، فقبل منه عقبة الإعتذار ، ثم واصل عقبة مسيرته إلى القيروان بعشرة آلاف فارس (١) وعندما وصل عقبة إلى القيروان ابتداء عمله بتغييرها وإعادتها إلى سابق عهدها ورد الناس إليها (٢) واستخلف عليها زهير بن قيس البلوى (٣) وسلك عقبة الطريق الصحراوي الذي يخترق المغرب الأوسط في اتجاه تاهرت ، والسوس الأدنى ، حتى قدم الأطراف الشمالية لبلاد الجريد (٤) عند مدينة باغاية والتي توجد بها حامية رومية كبيرة تصدى لها عقبة ، لكنهم تراجعوا بعد أن تركوا وراءهم عددا من القتلى ، فضرب عليهم عقبة الحصار، ولكنه اكتفى بما حصل عليه من الخيل الكثير ، والغنائم الأخرى (٥)

ثم واصل عقبة تقدمة حتى انتهى إلى المسيلة وهي عاصمة بلاد الزاب الواسعة التي شهدت صداما عنيفا بين العرب والروم ، انتهى بهزيمة الروم ، ومقتل بعض فرسانهم ففروا من أمام العرب ، ولجأوا إلى الحصون ، والقلاع، مما أدى إلى ضياع هيبة الروم أمام البربر ، وذهب ملكهم من الزاب (٦) التي انتقلت إلى المسلمين.

(٢-١) المالكي : رياض النفوس ، ج١ ، ص ٢٢ .

(٣) الباجي : الخلاصة النقية ، ص ٦ .

زهير بن قيس البلوى : يقال له صحبه ، روى عنه علقمة بن رمثة البلوى ، غزا إفريقية وله فيها مواقف ، ومشاهد محمودة ، ولها من قبل عبد الملك بن مروان ، ثم رجع كراهة في الإمارة وزهدا وورعا ، وفي طريق عودته قابله الروم بجمع غفير يقرب برقة ، وكان قد تفرق عنه الكثيرون من الجند فاستشهد مع كثيرين عام ٦٧ ، ٦٩ هـ / ٦٨٧ - ٦٨٩ م [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٠ . المالكي : مصدر سابق : ج ١ ، ص ٦٠ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، ج ٣ ، ص ١١٩]

(٤) بلاد الجريد : أو "بلاد التمر" ، أو "جزائر التمر" لكثرة نخيله ، وهي بلاد واسعة تمتد من جنوب تونس ، وطرابلس ، والجزائر ، وتعرف الآن بقسطيلية ، ومن مدنها تورز والحمة وتقيوس [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ . الكرى : المغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ . الحميري: الروض المعطار ، ص ٤٨٠ ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الثانية، سنة ٩٨٤ م، لبنان]

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٣ .

ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

(٦) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٤ .

واصل عقبة زحفه حتى وصل إلى إقليم تاهرت حيث واجه تحالفا يضم عددا كبيرا من الروم والبربر ، فهياً جنوده للقتال ، وحثهم على الجهاد فى سبيل الله ، وبدأت المعركة ، وقد شكلت كثرة جنود العدو صعوبة للمسلمين مما جعلهم يبذلون جهدا كبيرا ، انتهى بهزيمة الروم والبربر ، وقضى على آمالهم فى الدفاع عن المغرب الأوسط ، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة.

واصل عقبة مسيرته بعد أن ترك الروم ، والبربر يلتجئون إلى القلاع والحصون ، وسار نحو الساحل ، وعبر ممر تازة ثم اتجه إلى طنجة ، وكان ملكها يعرف باسم جوليان (١) ، والذي باذر بملاطفة عقبة عندما أدرك قوة المسلمين ، وأنه لا يستطيع الوقوف فى وجه المسلمين ، فقدم لعقبة الهدايا ، وأعلن عن رغبته فى الإستعداد للنزول على حكمه ، ثم رغب فى عقد صلح مع عقبة ، وأراد عقبة أن يستفيد من هذا الحاكم ، فوافق على الصلح ، وأصبح جوليان بمثابة المستشار السياسى والعسكرى لعقبة (٢)

أمد جوليان عقبة بمعلومات عن البربر فى المغرب الأقصى ، وعن القوط فى الأندلس ، نظرا لأنه كان حاكما لهذه المنطقة ، وحذره من عدم ترك الروم خلف ظهره ، وأن قبائل البربر كثيرة لا يعلم عددها إلا الله "وهم كالبهائم لم يدخلوا فى دين النصرانية ولا غيرها (٣)

واصل عقبة تقدمه تجاه المغرب الأقصى ، فدنا من بلاد تامسنا ووصل مدينة ولبلى القديمة (طنجة) والتقى بجموع البربر ، وهزمهم ، وقتل منهم

(١) جوليان : هناك اختلاف بين فى جنسية جوليان ، أوليان هل هو رومى أو قوطى أو بربرى؟ فعندما استفسر عقبة من جوليان عن البربر كان رده يدل على عدم معرفته جيدا بهذا الجنس عندما قال : هم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله ، بالإضافة إلى إصاقة التهم بهم ، ووصفهم بالبهايم ، فلو أنه كان من البربر لما وصفهم بهذا الوصف فنستبعد أن يكون بربريا ، أوروميا لأنه عندما سأله عن الروم قال : قد تركت الروم خلفك ، ولو أنه روميا لكان معه مايكفيه ، يبقى الأخير ، وهو قوطى لأنه حذر عقبة من العبور إلى الأندلس ، لعلمه بقوة المسلمين أراد أن يجنب الأندلس تقدمهم نحوها [ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٦ • د/حسن مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٩٢]

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٩ .

عددا كبيرا ، ثم طاردهم جنوبا حتى وادى درعة التي بنى بها مسجدا (١) وتوغل في بلاد صنهاجة "بلاد السوس" وكانوا على المجوسية ، حيث أطاعة أهلها دون صدام ، واستمر في جهاده حتى وصل إلى مدينة أغمات (٢) حيث سكن هذه المدينة قبائل من بربر هوارة ، وهم نصارى لهم علاقة بالروم ، اعتصموا بمدينتهم ، ولم يخرجوا للقاء عقبة ، فضرب عليهم الحصار فنزلوا على حكمة بعد فترة قصيرة ، ثم توجه إلى وادى السوس الأقصى ، واستولى على عاصمتها بجلى (٣) وبنى به مسجدا ، ثم دخلت عدة قبائل أخرى في الإسلام مثل جزولة ، وواصل عقبة زحفه حتى وصل إلى البحر المحيط "الأطلنطى" وكان ساحته آخر ما وصل إليه عقبة بن نافع، عندما رأى البحر أمامه فقرر العودة ، وقال "يارب لولا أن البحر منعنى لمضيت فى البلاد إلى ملك ذى القرنين مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك" (٤) أراد عقبة الرجوع إلى القيروان مارا بالمغرب الأوسط ، وفى أثناء عودته

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٢) أغمات : بفتح الألف ، وسكون الغين ، وفتح الميم .. هى مدينة كبيرة من مدن بلاد المغرب، وفى أقصاها قرب مراكش على مسافة أربعة وعشرين ميلا فى شمال جبل درن ، كانت عاصمة بلاد المغرب ، قبل مراكش ، وهى مدينتان متقابلتان سهليتان ، وتمتاز مدينة أغمات بخيراتها الكثيرة من زروع تضم حبوب، وفواكه ، وتعتبر هذه المدينة من أجمل بلاد المغرب ، حيث أصناف الخيرات الكثير ، بالإضافة إلى خطها الوافر فى خصب أرضها ، وكثرة النبات ، والأعشاب ، والمياه حولها ، بها جنات ، وبساتين ، وأشجار كبيرة حسنة المقام صحيحة الهواء ، بها الجوز ، والموز ، والنخل ، وقصب السكر ، والسمس ، والعنب، يوصف أهلها بالجفاء والقسوة ، وعدم الرقة على الرغم من أنهم أغنياء لهم نخوة وإعتزاز [البكرى : المغرب ، ص ١٥٣ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٦ : ٢٢٧]

(٣) بجلى : هى قلعة حصينة فى بلاد المصامدة بالمغرب فى منطقة جبل درن [ياقوت : مصدر

سابق ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨]

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٧ .

أخضع بعض القبائل ، ثم ترك واحدا من أصحابه لتعليم البربر أصول الإسلام (١)

في هذه المنطقة لم يجد عقبة مقاومة جديّة ، ولكنه عندما أراد دخول بلاد دكالة (٢) امتنعوا عليه فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوا ، فقاتلهم ، وهزمهم في معركة سميت "بمقبرة الشهداء" (٣) نظرا للعدد الكبير الذي قتل من أصحاب عقبة ثم توجه بعدها ، شمالا بغرب نحو ، وطنجة فوجد فيها قبائل من البربر فدعاهم إلى الإسلام ، ولكنهم أبوا عليه فحاربهم ، ثم سار بعد ذلك حتى وصل إلى بلاد الزاب (٤)

كان لهذه الإنتصارات الضخمة التي حققها عقبة على البربر أثرها في ازدياد ثقته بنفسه إلى درجة كبيرة مما جعله يصرف القوات الموجودة معه في طريق عودته إلى إفريقية في غير حذر ، وسار عقبة في طريق السهل المتوسط حتى وصل إلى جبال أوراس على رأس فرقة صغيرة ، ومن ناحية أخرى فقد عامل عقبة بن نافع شيخ قبيلة أوربة "كسيلة" عند بداية ولايته معاملة سيئة بعد أن عامله أبو المهاجر معاملة حسنة ، وأكرمه حتى نجح في ضمه إلى الإسلام ، فنجد أن عقبة قد قبض عليه وأهانته (٥) وذلك أمام قومه من البربر الداخلين حديثا في الإسلام ، مما نتج عنه غضبهم من تعرض زعيمهم لهذه الإهانة ، مما دفعهم إلى التفكير في الثأر من عقبة ، وجيشه ، في الوقت نفسه حذر أبو المهاجر عقبة من عاقبة المعاملة السيئة لكسيلة ، ولكن عقبة لم يضع في اعتباره هذه النصيحة ، لكونه قائد عسكري له خبرة كبيرة بالبربر ، فربما شك في إسلام كسيلة ، أو أنه يتظاهر بالإسلام حتى يعرف

(١) ترك عقبة صاحبا له يدعى "شاكر" بن عبد الله الأزدي عند وادي تنسيفت بجوار مراکش ، بالمغرب وهو حاليا يعرف بسيدى شيكر أو سيد شاكر ، أو ثيكر [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٧ . التادلي : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ٢٦ .

د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٠٢ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٢٦]

(٢) دكالة : فتح أوله ، وتشديد ثانية ، بلد بالمغرب شمالي وادي نفيس بين وادي تنسيفت ووادي أم الربيع [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ . د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٠٢]

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٤-٥) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

الكثير عن المسلمين ، أو أنه ربما شك فى وجود علاقة ، أو ميل تجاه الروم حلفائه السابقين حتى يفقوا معه ضد المسلمين ، فقد أراد الروم الإنتقام من عقبة فاستغلوا الفرصة ، وسهلوا لكسيلة طريق الهرب إلى قبيلته ، فاستعد للإنتقام من عقبة ، وراسل بنى عمومته من هذه القبيلة ، وغيرها من قبائل البربر ، وكان عقبة يعرف ما يضره له كسيلة من حقد ، وكرهية ، بسبب المعاملة التى لاقاها منه ، وفى طريق عودته أراد عقبة الإستيلاء على مدينة تهوذه (١) ولم يكن معه من أصحابه إلا عدد قليلا يقدر بحوالى ثلاثمائة من الصحابة والتابعين ، استشهدوا جميعا فى موقعة تهوذه ، ومعهم عقبة وأبو المهاجر دينار عام ٦٤هـ/٦٨٤م (٢) انظر الشكل رقم (٥)

ومن الجدير بالذكر أن الإنتصارات التى حققها عقبة قد أثارَت حفيظة الروم مما جعلهم يساعدون البربر فى تكوين حلف مشترك بينهم للإيقاع بعقبة والتخلص منه (٣) من جانب آخر نجد أن عقبة قد سمح لرجالها بالإسراع إلى أهليم ، وذاريهم بعد ما أنجزوه من الأعمال فى تلك الحملة الكبرى التى استمرت أكثر من عام ، وخاصة عندما رأى أن الإستيلاء على مدينة تهوذه لا يتطلب منه إلا الإبقاء على بضع مئات من رجاله (٤) أما سبب هزيمة عقبة فيرجع إلى عدم الحذر حتى بعد الإنتصار ، مما مكن الروم البربر من إغتنام الفرصة للقضاء على عقبة ، وحمل الجيش الإسلامى على مغادرة القيروان (٥)

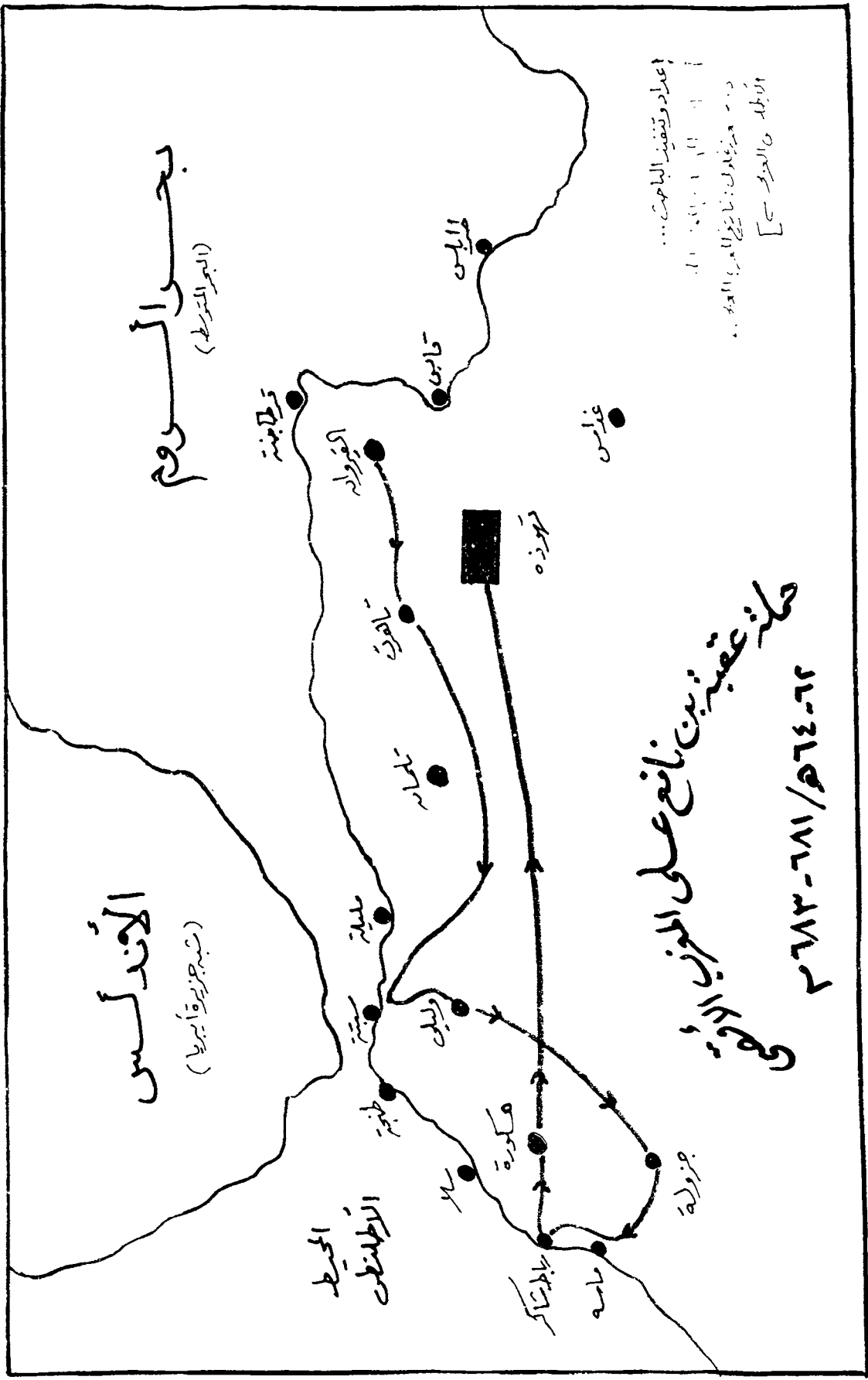
(١) تهوذه : بالفتح ثم الضم ، وسكون الواو ، والذال ، وقيل تهوذا بالألف اسم لقبيلة من البربر ، وهى مدينة قديمة بناحية إفريقية بنياتها بالحجارة ، لها أسواق كثيرة ، بها مساجد ، ويسكنها قوم من البربر لهم أرض تعرف بهم أهلها على مذهب أهل العراق ، فيها قبر عقبة بن نافع ، ولا يزال هذا الموضوع يعرف اليوم بسيدى عقبة ، وهو عبارة عن واحة جميلة من النخيل بالقرب من مدينة بسكرة فى جنوب قسنطينة فى جبال أوراس ، وفى الجنوب الشرقى لمدينة طنجة [البكرى : المغرب ، ص ٧٢ : ٧٣ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ٢٨ : ٣٠ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٧ . د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٤ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٤٥]

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٢٥١ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٦ .

(٣) على عبد السلام : عقبة بن نافع ، ص ١١ ، ٤١٢ .

(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٥) د/ محمد زيتون : مرجع سابق ، ص ٤٦ .



إعداد وتنفيذ الباحث...
 [الأبلة والعرض...]
 من إعداد: تاريخ المرسى...
 [الأبلة والعرض...]

الأندلس
 (سنة جزيرة أيبيريا)

البحر المتوسط
 (البحر المتوسط)

مكتبة عقبة بن نافع على المغرب الأوسط
 ٦٢-٦٤-١٧١/هـ-٦٨٣-٦٤٤

ويعرف الآن المكان الذى استشهد فيه عقبة عند تهوذه باسم "سيدي عقبة" وهذا الإسم هو الذى غلب مدينة تهوذه" ويعتبر قبره مزار لجميع المغاربة ، يفدون إليه من كل مكان لزيارته ، ويعتبر هذا المكان من أقدم نماذج العمارة الإسلامية (١)

هذا ولم تحقق حمله عقبة على بلاد السوس فى المغرب كسبا حربى كبيرا ، إلا أنها مهدت الطريق ونهت الأذهان لهذا الدين الجديد (٢)

بعد انتصار كسيلة زحف إلى القيروان بعد أن اجتمعت إليه قبائل البربر من كل اتجاه ، وقد سبب مقتل عقبة على يد البربر الفوضى ، والإضطراب فى مدينة القيروان ، وكان عقبة قد ترك أت زهير بن قيس البلوى نائبا له على القيروان فلما علم بمقتل عقبة أراد أن يأخذ ثأره ، ويتصدى لقبائل البربر ، وقائدهم كسيلة ، واستعد للدفاع عن مدينة القيروان ، ولكنه فشل فى إقناع المسلمين بالدفاع عن المدينة ، وانقسم المسلمون على أنفسهم ، فقد خالف زهير حنش بن عبد الله الصنعائى (٣) عندما قال (لا والله ما نقبل قولك ولا لك علينا ولاية ، ولاعمل أفضل من النجاه بهذه العصابة من المسلمين إلى مشرفهم ، (٤) ثم نادى فى الناس من أراد أن ينجوا بنفسه ، وبأهله منكم فليتبغنى إلى المشرق فاتبعوه إلا قليلا منهم فاضطر زهير إلى الإنسحاب إلى إقليم برقة منتظرا المدد من الخلفاء (٥)

زحف كسيلة بجنوده إلى القيروان ، وعندما وصل إليها فر من كان بها إلا قليلا منهم خوفا على حياتهم ، وبذلك تمكن كسيلة من السيطرة على

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العزى، ج ١ ، ص ٢٠٥.

(٢) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٤ .

(٣) حنش الصنعائى : أبو رشيد حنش بن عبد الله السبائى الصنعائى ، ولد بصنعاء ، غزا المغرب مع رويغ بن ثابت ، شهد غزو الأندلس مع مرسى بن نصير ، تابعى روى عن جماعة من الصحابة منهم على بن أبى طالب ، وابن عباس ، سكن القيروان ، واختلط بها مسجدا ودارا ينسب إليه الآن ، توفى بإفريقية سنة ١٠٠ هـ / ٧١٩ م [المالكى : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ٩٧ . الجربى : مؤنس الأحبة ، ص ٣٤ . د/ زيتون : القيروان، ص ٤٧]

(٤) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٧٤ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٦ ،

ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٧٥ . الباجى : مصدر سابق ، ص ٦ .

القيروان ، وأنشأ مملكة بربرية تشمل جبال أوراس ، والجزء الجنوبي من قسنطينة ، والجانب الأكبر من "تونس الحالية" (١)

انتهت ولاية عقبة الثانية من حيث بدأت ، حيث فقد المسلمون معظم الفتوحات التي تمت لهم في إفريقية والمغرب ، بل أكثر من هذا فقد استشهد عقبة وأصحابه ، ودخل كسيلة القيروان في شهر المحرم سنة ٦٤هـ/٦٨٣ (٢)

وبعد أن استقرت الأمور في المشرق لعبد الملك بن مروان (٣) بدأ يمد بصره مرة أخرى إلى بلاد المغرب لاستردادها من أيدي البربر ، والأخذ بثأر عقبة بن نافع فاجتمع الرأي على تولية زهير بن قيس البلوى لماله من صحبة طويلة لعقبة ، ولأنه أعلم الناس بسيرته ، وأولاهم بطلب دمه (٤)

أمر عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوى ، وهو مقيم ببرقة بالخروج إلى إفريقية لإسترداد القيروان ، ومن بها من المسلمين لكن زهير كان ينقصه كثير من الإستعدادات والإمدادات ، وكان يعلم أن ما تحت يده لا يكفي لهذه المهمة فبعث إلى الخليفة بذلك وخصوصا أن لدى كسيلة كثيرا من الجنود ممن اجتمع من البربر والروم ، لذلك طلب زهير من عبد الملك إرسال المؤن اللازمة لهذه الحرب فأمده عبد الملك بالخيول ، والرجال والأموال (٥) وعندما علم كسيلة بهذه الإستعدادات التي يقوم بها زهير حشد له جيشا عظيما من الروم ، والبربر فكانوا أضعاف جيش زهير (٦)

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣١ . دائر المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥٠٤.

(٢) الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٧٥ . الباجي : مؤنس الأحبة ، ص ٦ .

(٣) عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٦٨٥هـ/٦٨٥ - ٧٠٦م ...

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ولد في المدينة سنة ٢٦هـ/٦٤٦م في خلافة عثمان بن عفان ، قضى عبد الملك معظم حياته قبل أن يلي الخلافة في المدينة لتلقى العلم ، اشتراك في غزو إفريقية مع معاوية بن حديج في عهد معاوية بن أبي سفيان ، ولسنا بصدد سيرة عبد الملك ، ولكنه كان بارعا في إدارة الدولة في الخارج ، والداخل ، وصان حدود الدولة ، وتركها لأبنائه موطدة الأركان سليمة البنيان ، توفي عبد الملك في النصف من شوال عام ٨٦هـ/٧٠٥م [السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٤٢ : ٢٦٠ سنة ١٤٠٩هـ/٩٨٩م بيروت . د/عبد الشافي عبد اللطيف : العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص ١٤٦ : ١٥٦ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٤م ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة]

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ =

لم يرد كسيلة لقاء زهير بالقيروان ، وأراد الخروج من المدينة ، حيث خشى من انضمام المسلمين الذين لهم عهد إلى جيش زهير ، وأفهم جنده أن هذا تكتيك عسكري ، وهو فى الحقيقة كان يخشى المسلمين رغم كثرة أعداد جيشه حتى يغطى انسحابه من القيروان ، فرأى أن يختار مكان يكون قريبا من الجبل يسمى "ممس" (١) فإن كان النصر تعقبهم ، وطردهم إلى طرابلس ، وإن هزم كان الجبل له مأوى يحميه فكان له نعم الملجأ (٢)

خرج كسيلة من القيروان ، ونزل بممس ، وتحص بها ، وعلى الجانب الآخر ، خرج زهير من برقة تجاه إفريقية فى سنة ٦٩هـ/٦٨٨م ، ونزل بجوار القيروان ، ولم يدخلها ، واستراح هو ورجاله ، ودوابه بعض الوقت استعدادا للمعركة الفاصلة ، ودارت المعركة بين الفريقين ، وبعد قتال شديد انهزم كسيلة ، وقتل أثناء المعركة (٣) وهرب الروم والبربر ، وتتبعهم جنود المسلمين ، وطاردوهم حتى وصلوا إلى وادى ملوية (٤) ثم عاد زهير إلى القيروان فنظم أحوالها ، وترك بها كثيرا من أصحابه ، ثم عاد إلى برقة مرة أخرى ، لأنه كان يخشى على نفسه من الملك ، عند ما وجده عظيما فى إفريقية، فخاف أن تجرفه الدنيا بزينتها ، وهو ما جاء إلى إفريقية إلا للجهاد فعندما انتهى من المهمة التى كلفه بها الخليفة قرر العودة إلى برقة ، وفى طريق عودته حاول صد الروم ، عندما كانوا يدخلون السبايا من نساء العرب فى مراكزهم فتوجه إليهم ، وحاول إرجاع من وقع من المسلمين فى أسرهم ،

=ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(١) ممس ، ممش ، سميمس ، أو مسميس : وهى تقع بين القيروان ، وتبسا ، وهى على مسيرة يوم من القيروان، ويتوفر بها الماء [عبيد الله صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٢١. د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٠٩ : ٢١٠ .

د/السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثرهم فى الأندلس ، ص ٤١]

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

- ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٤) وادى ملوية : من أنهار المغرب الأقصى ، ينبع من الجبال الجنوبية ، فيما وراء تازا ، ويخترق مكناسة ، ويصب فى البحر المتوسط ، قرب جراوة [ابن حوقل : صورة الأرض ،

لكن الروم تكاثروا على زهير ، وأصحابه ، فاستشهدوا عن آخرهم (١) وما تزال قبورهم معروفة ، وتدعى قبورا الشهداء (٢)

حزن الخليفة عبد الملك بن مروان لمقتل زهير وأصحابه ، وبدأ يفكر فى والى جديد ، يبدأ به مرحلة جديدة من الفتوحات فى بلاد المغرب.

حسان بن النعمان ودوره فى الفتوحات ٦٩٢هـ/٧٣م

اختار عبد الملك بن مروان بعد مقتل زهير ، حسان بن النعمان عام ٦٩٢هـ/٧٣م على الراجح ، واليا على إفريقية وكان يلقب بالشيخ الأمين (٣) وجهاز له الخليفة جيشا كبيرا يقدر بنحو أربعين ألف رجل (٤) وانضم إليه بطرابلس من كان هناك من العرب. ، وقد أطلق عبد الملك يد حسان فى أموال مصر لإعداد الجيش إعدادا قويا يستطيع به أن يتقدم إلى بلاد إفريقية ، لمقاتلة الروم والبربر ، فاتجه إلى القيروان. وبدأ يعد نفسه لحرب البربر والروم.

بدأ حسان نشاطه بمحاصرة الروم فى قرطاجنة عاصمة إفريقية القديمة الحصينة وكان بها مجموعة كبيرة من الروم حاولت الفرار فى المراكب إلى جزائر البحر ، وخاصة تجاه صقلية القريبة ، نظرا لشدة وطأه العرب عليهم حتى فقدوا الأمل فى الصمود ، فتمكن حسان من دخول المدينة عنوة ، فسبى

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣١٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٣ .

- الباجى : الخلاصة النقية ، ص ١٠ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٧٠ ، تقع قبور الشهداء فى مدينة درنه ، ومازال تحى

ذكرى اسشهاد زهير وأصحابه [د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢١٣]

(٣) حسان بن النعمان : حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مرقيا بن

عامر بن الأزد ، اختلف فى توقيت دخوله المغرب ، فرأى يقول : إنه دخل المغرب عام

٦٩٦هـ/٦٨٩م أى مكان مقتل زهير ، ورأى آخر يقول إنه دخل المغرب عام ٦٧٨هـ/٦٨٩م

[ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣١ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ،

ص ٣٤ ، الناصرى السلاوى:الإستقصا ، ج ١ ، ص ٨٢] أما سبب تلقيه "بالشيخ الأمين" ،

فيبدو أنه كان من رجال بنى أمية المقربين الموثوق فيهم ، وأدى واجبه بصدق ، وإخلاص ،

وأمانه ، مما جعله جديرا بهذا اللقب [د/حسين مؤنس فتح العرب للمغرب ، ص ٢٣٦ .

د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٦١ ، سنة ١٩٨٣م ،

دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر]

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٤ .

وقتل منهم كثيرا ، وهدم من المدينة ما استطاع أن يهدمه (١) وخاصة الأسوار التي كانت في ذلك الوقت أكثر الموانع صعوبة في إقتحامها.

ترك حسان قرطاجنة ، واتجه إلى سطفورة (٢) ، وبنزرت (٣) وعندما علم بتجمع عدد كبير من الروم ، وبعض قبائل البربر ، وتوجه إليهم وأنزل بهم الهزيمة وقتل منهم الكثير ، حتى لجأ الروم إلى مدينة إلى مدينة باجة (٤) مار بين وتحصن البربر في بونه (٥) وأخذ حسان يوجه سراياه في كل أنحاء أفريقية ثم عاد إلى القيروان لتضديد جراح الجنود ولإصلاح شئون أصحابه(٦)

كان النجاح الذي حققه حسان بالإستيلاء على قرطاجنة عام ٦٧٤/٦٩٣م دافعا له لكي يواصل بسط نفوذه ، ويقضى على أى مقاومة من جانب البربر بعد أن أضعف مقاومة الروم ، وقد كانت المقاومة البربرية تتمثل في قبائل من البربر البتر "البدو" التي سكنت جبال أوراس ، وكانت تحكّمهم امرأة تدعى "الكاهنة" وسأل حسان عنها فذكروا له "إن جميع من

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣١ .

(٢) سطفورة أو صطفورة : هي مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط ، لها ثلاث مدائن ، أقربهم إلى تونس ، مدينة أنبلونه ، ومتيجة [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ . الباجي : الخلاصة النقية ، ص ١٠]

(٣) بنزرت : تقع على البحر ، خصبة الأرض ، بها ثمار كثيرة ، أصغر من سوسه ، أهلها ذو بأس في البر والبحر ، [ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٥ ، ٧٦]

(٤) باجة : بفتح الباء وتخفيف الجيم وهي من مدن إفريقية تقع على جبل يسمى عين الشمس على مسيرة يوم من البحر المتوسط ، بينها وبين مدينة القيروان خمس مراحل ، وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلا من البحر ، وحوالي ثمانين ميلا من مدينة تونس ، أمطارها كثيرة ، والتي أدت إلى كثرة القمح حتى تعرف "بباجة القمح" ، أما التجارة فهي من بين المدن التجارية الهامة ، يرد إليها كل يوم آلاف من الإبل ، والدواب لتتقل منها البضائع المختلفة ، وأسعارها ثابتة ، لكثرة سلعها ، وبها بساتين ، وعيون ، وماء عذب صالح للزراعة ، وهي مدينة حصينة وذات أسوار [البكري : المغرب ، ص ٥٦ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣١٤]

(٥) بونه : بضم الباء ، وسكون الواو ، وتعتبر هي أول سلطنة إفريقية ، وآخر سلطنة بجاية تقع على بحر الروم "البحر المتوسط" ، ليست بالصغيرة ، ولا الكبيرة ، ذات أسوار متينة ، غنية بالأسواق الحسنة ، والتجارة الكثيرة ، بها فواكه معظمها من باديتها ، وبساتين جميلة ، وبها معادن كالحديد ، أما أهلها فيعملون بتجارة الأصواف ، والأغنام ، والماشية . [ياقوت : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥١٢ . البكري : مصدر سابق ، ص ٥٤ . ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٧]

(٦) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣١ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٥ .

بأفريقية منها خائفون ، وجميع البربر لها مطيعون ، فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضاد ولا معاند" (١)

عندما تم شفاء جنود حسان مما قد أصابهم من الجراح ، وأصلح أحوالهم لم يتردد في الخروج مرة ثانية إلى البربر الذين تجمعوا حول زعيمتهم الكاهنة ، فلما اقترب المسلمون توجهت إلى حصن باغاية ، وأخرجت من كان فيه من الروم ، وخربته ظنا منها أن حسان يريد أن يستولى على الحصون ، ويعتصم به ، أما حسان فنزل بجنوده في وادي مسيكيانه أنه المعروف بوادي العذارى نظرا لمقتل زهرة شباب العرب فيه.(٢)

التقى الفريقان على نهر نيني (٣) وكثر القتل ، وانهزم المسلمون ، وأسر منهم ثمانون رجلا أطلقت سراحهم الكاهنة إلا واحدا ، وهو خالد بن يزيد القيسي (٤) الذي تبنته واتخذته مستشارا لها وتراجع حسان إلى منطقة الجريد(٥) ولكن رجالها تتبعه حتى تجاوزت فلول المسلمين مدينة قابس فتوجه حسان خلف مدينة طرابلس ، حيث استقر به المقام في هذه المنطقة ، وبنى بها قصورا تسمى "قصور حسان" (٦) إنظر الشكل رقم (٦).

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦ . ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .

- الرقيق : تاريخ إفريقية المغرب ، ص ٥٧ ، طبعة الكويت ، سنة ١٩٦٠م ، الكويت .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٧ . ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٢

وقد اختار الكاهنة خالد مستشارا لها من بين ثمانين رجلا من أصحاب حسان ، لما رأت فيه من الشجاعة ، والجمال فجعلته أبا لولديها ، عندما أحست بنهايتها ، فأرادت أن لا يلقى والديها نفس المصير ، على الجانب الأخر نجد أن حسان قد عهد إلى ولديها بقياه قواته البربرية ، وأوكل بهما من يحفظها ، وقدم خالدًا على أعنه الخيل [ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٨]

(٥) البكري : المغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ .

(٦) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٢ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٦ .

الرقيق القيرواني : مصدر سابق ، ص ٥٦ . د/ محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٥٤ . "بالتحديد في منطقة برقة" . د/ أحمد مختار العبادي : دراسات

في تاريخ المغرب بالأندلس ، ص ٤٦ .

ظل حسان مقيما فى برقة ينتظر الإمدادات ، فكتب إلى الخليفة عبد الملك يعلمه بالأمر ، فسير إليه الخليفة أموالا كثيرة ، وجيشا ضخما قدر بأربعين ألف مقاتل بعد إنضمام فرسان العرب فى المغرب إلى جيشه (١)

من ناحية أخرى لم تتعرض الكاهنة لمدينة القيروان بأى سوء ، لم تدخلها وإنما رجعت إلى منطقة جبال أوراس ، وأكثر من هذا ، فإنها أحسنت للأسرى المسلمين ، وأعادتهم إلى حسان مرة أخرى (٢)

ملك الكاهنة بلاد المغرب بعد أن هزمت حسان حوالى خمس سنوات (٣) وفى هذه الفترة ، أيقنت أن العرب راجعون مرة أخرى ، اعتقادا منها أنها يسعون وراء المدن ، حيث الذهب ، والفضة ، فرأت أن تخرب هذه المدن ، وتهدم الحصون ، فوجهت قومها إلى كل مكان يقطعون الشجر ، يدمرون كل شئ أمامهم حتى المدن ، والضياع من طرابلس إلى طنجة ، وهى مدن متصلة بعضها ببعض ، فتم تخريب هذه المدن من بلاد المغرب على يد الكاهنة (٤) التى ارتكبت خطأ كبيرا عندما أساءت السيرة فى أهلها (٥) وظلمتهم ظلما كبيرا (٦) مما جعل الكثير من أنصارها يثورون عليها ، ويتصلون بحسان ، لينقذهم منها ، من ناحية أخرى كان حسان على معرفة بأخبار الكاهنة عن طريق خالد بن يزيد القيسى الذى انتهز فرصة عناية

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٦ .

- الناصرى السلاوى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٤) الناصرى السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٥) ارتكبت الكاهنة خطأ أدى إلى تفريق البربر من حولها بعد أن كان يلتفون حولها ، ظنت الكاهنة خطأ أن العرب ما قدموا إلى هذه البلاد إلا للذهب والفضة ، والاستيلاء على

الحصون [ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٢]

(٦) من مظاهر ظلم الكاهنة لأهلها ، التخريب بصفة عامة ، وبصفة خاصة هدم الحصون ، وتدمير المدن ، وتقطيع الشجر ، بالإضافة إلى تدمير المراعى ، مما جعل البربر يستغيثون

بحسان مما نزل بهم من الكاهنة ، وقد أدت سياسة الكاهنة هذه إلى فرار كثير من البربر من

بلادهم إلى صقلية ، وإيطاليا بينما حاول البعض الدفاع عن أرضه مستنجدا بالقائد العربى ،

حسان بن النعمان الذى كان يراقب هذا الصراع عن قرب ، وسرة بطبيعة الحال هذا

الصراع الذى من شأنه اضعاف قوة البربر [ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٢ . د/ أحمد مختار العبادى :

دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٦]

وبذلك قضى حسان على المقاومة البربرية فى المغرب الأدنى ، واستنقام أمر البلاد ، وحسن اسلام أهلها ، ثم توجه حسان للقضاء على المقاومة الباقية من الحكم الرومانى فى المنطقة (١) فقد انتهزوا فرصة هزيمة المسلمين ، وانتصار الكاهنة على حسان فى البداية ، وأعادوا سيطرتهم على عاصمتهم "قرطاجنة" عندما أرسلوا حملة عن طريق البحر بقيادة يوحنا سنة ٥٧٨هـ/٦٩٧م وأطلقوا يدهم فى المدينة بالسلب ، والنهب (٢)

اتجه حسان إلى قرطاجنة بعد النصر على الكاهنة فى جيش كبير مكون من العرب ، والبربر ثم ضرب الحصار على المدينة التى لم تستطع الصمود أمام هذا الحصار ، مما جعل الروم يسرعون بالهرب إلى سفنهم، ولاحظ حسان أن هذه المدينة أصبحت تشكل خطرا دائما على الفتح العربى ، فرأى ضرورة التخلص منها فأمر بتخريب عمرانها حتى صارت كأمس الغابير(٣)

بعد أن استقر العرب فى المغرب الأدنى ، واستردوا إفريقيا ، وقضوا على مقاومة البربر والروم ، وإستيلائهم على قرطاجنة ، رأى حسان أن يقيم مدينة بديلة تقع على ساحل البحر ، فاستشار الخليفة عبد الملك بن مروان الذى رأى أن تساهم مصر فى بناء هذه المدينة ، وخصوصا من الناحية البحرية ، لأن مصر كان لديها خبرة طويلة ، ومعرفة بصناعة السفن فى ذلك الوقت. أما البربر فقد ساهموا فى بناء السفن وجلب الأدوات اللازمة لذلك كالخشب الذى يكثر فى مناطق الغابات المنتشرة بالجبال.

اختار حسان مكان لم يكن مأهولا بجوار قرية عرفت باسم ترشيش (٤) ليكون مقرا للمدينة المقترحة الجديدة ، وكان للخليفة دور كبير فى نشأة هذه المدينة فقد كتب الخليفة إلى حسان يأمره أن يبني دار للصناعة تكون درعا يحمى المسلمين ، ثم أرسل ألف أسرة قبطية من مصر عندما كان أخوه

(١) د/ على الخربوطلى : البحر المتوسط بحيرة عربية ، سلسلة ، إقرأ ٢٤٧ ، سنة ١٩٦٣ ، دار المعارف ، القاهرة .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ٣٨ .

(٤) البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٨ .

عبد العزيز بن مروان واليا لمصر ، لتقوم بعمارة المدينة ، ولم تزل معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون الروم ، وقد أنفرد البكري بتفصلات كثيرة عن هذه المدينة (١)

حاول حسان أن ينظم بيته من الداخل ، فاهتم باصلاح المنشآت والمباني، ووجه عناية خاصة لتعمير مدينة القيروان التي استقر بها لتكون عاصمة للمسلمين ، فبدأ تجديد المسجد الجامع ، ثم أخذ فى البناء والعمران حتى اتسعت المدينة وساد الأمن ، والإستقرار بين الناس.

كما اهتم بالأعمال الإدارية فدون الدواوين ، وفرض الجزية على نصارى البربر (٢) وكان معظمهم من بربر الشمال "البرانس" ، وأقلهم من بربر الجنوب "البتير" وكذلك على عجم إفريقية "الروم" (٣)

كان لحسان الفضل فى انتشار الإسلام بصورة كبيرة بين البربر ، فقد أرسل عماله إلى جميع بلاد المغرب للقيام بهذه المهمة ، فأرسل الدعاة، والفقهاء إلى المناطق التي تجمع فيها البربر ، لتعليم مبادئ الدين ، والقرآن ، مما أدى إلى نشر قواعد اللغة العربية ، والعادات ، والتقاليد العربية حتى صار أكثر جند حسان التي يعتمد عليها من البربر (٤)

وكان من أهم أعمال حسان بناء مدينة تونس ، فقد رأى بعد تخريب مدينة قرطاجنة واستقرار البلاد له ، أن يبنى مدينة تطل على بلاد البربر بحيث تكون بوابتها إلى العالم الخارجى ، وتشرف على مدخل قرطاجنة ، فكانت مدينة تونس (٥) ورجع حسان إلى القيروان بعد أن استقام أمره ، لا يغزو أحدا ،

(١) البكري : المغرب ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٨ .

(٤) د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ٤٥ .

(٥) تونس : بضم التاء ، وسكون الواو ، وبضم النون ، ويجوز فتح النون ، أو كسرهما ، تقع على ساحل إفريقية بينها وبين قرطاجنة ميلين ، وعلى بعد ثلاثة أيام من قابس ، وبينها وبين مدينة القيروان حوالى مائة ميل ، ويحيط بها سور ضخّم قديم البناء ، وتسمى "ترشيش" ، ويزرع بها غلات مثل القطن ، وبها ماشية كثيرة لها أسواق ، ومتاجر ، وحمامات ، وفنادق ، وبها جامع تونس رفيع البناء ، ومطل على البحر ، ودارا للصناعة ، عرفت المدينة بدور العلم، =

ولإينازعه أحد (١) ، بهذا يكون حسان بن النعمان قد رسم خريطة جديدة لسكان بلاد المغرب ، فقد حولها إلى ولاية إسلامية عربية تتمتع بالحكم الذاتي عن والى مصر ، حيث وضع النظم الإدارية ، ونشر العمران فى هذه البلاد ، ولكن المنافسة من جانب والى مصر "عبد العزيز بن مروان" أخو الخليفة لحسان ، أدت إلى حدوث نزاع بينهما ، عندما أخذ جميع ما معه من هدايا ، وأمتعة كان يحملها إلى الخليفة فى دمشق ، فلما وصل شكاله مما فعله عبد العزيز به ، ثم أهدى حسان للخليفة الذهب ، والفضة ، والجواهر ، والياقوت ، التى كان قد أخفاها عن والى مصر (٢) وقد حاول الخليفة رده إلى عمله ، لكن حسان قال "لا أولى لبنى أميه أبدا" (٣) ثم كانت وفاة حسان بعد عودته بفترة قصيرة إلى المشرق (٤) وقد تميزت فترة حكم حسان بازدياد عدد البربر الذين دخلوا فى الإسلام ، وانتشاره فى معظم أنحاء بلاد المغرب - يتضح هذا من قول حسان للوليد بن عبد الملك "إنما خرجت مجاهدا فى سبيل الله" (٥)

من ناحية أخرى سادت حالة من الإستقرار ، والهدوء معظم بلاد البربر ، بعد فترات طويلة من الحروب والإضطراب مع قبائل البربر المعروف عنها شدة البأس ، وصعوبة المراس فى الدفاع عن وطنها ، مما أدى إلى القضاء على ومقاومتهم ، وضعف أمل الروم فى استعادة المناطق التى كانوا يضعون أيديهم عليها مرة أخرى ، بعد دخول الكثير من البربر فى الإسلام ، واختلاطهم بالعرب ، مما كان له أثره فى انتشار الإسلام فى بلاد المغرب.

=وهى من أصح بلاد إفريقية هواء [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ .
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ ، اليكوى : المغرب ، ص ٣٧ ، ٤٠]
(١) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٨٣ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٨ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٢ .
(٢-٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٨ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٠٣ .
(٥) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٩ .

الفصل الثاني

أحوال البربر السياسية في عصر ولاة بني أمية

- ولاية موسى بن نصير وورثه في الفتح .
- ولاية محمد بن يزيد القرشي .
- ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي الراجر .
- ولاية يزيد بن أبي مسلم .
- ولاية بشر بن صفوان الكلابي .
- عبيدة بن عبد الرحمن السلمي .
- عبيد الله بن الحجاج .
- حطوم بن عياض القشيري .
- منظلة بن صفوان الكلابي .
- عبد الرحمن بن حبيب الفهري .

الفصل الثاني

أحوال البربر السياسية في عصر ولاية بني أمية

ولاية موسى بن نصير ودوره في الفتح ٨٦هـ/٧٠٥م:

تولى موسى بن نصير (١) مقاليد الأمور في إفريقية بعد حسان بن النعمان سنة ٨٦ هـ/٧٠٥م (٢) من قبل والي مصر عبد العزيز بن مروان.

وقد إستاء الخليفة عبدالمك بن مروان من تعيين موسى بن نصير ، وأنكر ذلك على أخيه عبدالعزيز ، وهم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ، بسبب اتهام موسى بسوء إدارة أموال البصرة ، لكنه رأى ألا ينقض ما فعله أخيه حتى لا تضع هيبة الخلافة ، فالخليفة لابد أن يكون واسع الصدر عالي التفكير لمثل هذه الأشياء ، فأقر موسى بن نصير على إفريقية التي دخلها عام ٨٦ هـ / ٧٠٥م وتسلم مقاليد الأمور بها (٣) واستهل موسى بن نصير إدارته للمغرب بخطبة وضع فيها السياسة التي سوف يتبعها جاء فيها "أيها الناس ، إنما كان قبلي على إفريقية أحد رجلين : رجل مسلم يحب العافية ، ويرضى

(١) موسى بن نصير: هناك إختلاف في أصله، يقول البعض إنه من لحم ، والبعض الآخر يقول إنه بلوى ، أو من بكر بن وائل [البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٢٧٢. ابن عذارى : البيان المغرب، ج ١ ، ص ٣٩ ، الباجي: الخلاصة النقية ، ص ١١ ، ١٢] كان والده نصير قائد حرس معاوية بن أبي سفيان ، وهو أمير على الشام ، أما موسى فقد شغل عدة وظائف هامة في الشرق ، آخرها مستشار بشر بن مروان والي البصرة ، أخو الخليفة عبدالمك ، وقد أتهم بسوء إدارة أموال البصرة ، وأراد الخليفة قتله ، لكن موسى بن نصير لجأ إلى أخى الخليفة عبدالعزيز بن مروان ، واستنجد به ، فتدخل واقتداه عبدالعزيز عامل مصر بمال ، وأجاره حتى ولاه على إفريقية والمغرب [ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ١١٢ . ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١، ص ٣٩ : ٤٠ . الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١، ص ٨٥ . الباجي : مصدر سابق ، ص ١٢ . د/ السيد سالم : تاريخ المسلمين في المغرب والأندلس ص ٤٥ : ٤٦. إقبال موسى : الحسبة في المغرب ، ص ١٩ رساله ماجستير ، بأداب عين شمس ، رقم ٩٦٤ ل م - ٣٦٨]

(٢) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١١٢ . إقبال موسى ، مرجع سابق ، ص ١٩ . د / السيد سالم : مرجع سابق ، ص ٤٥ . [يورد ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٦ أنه ولي على المغرب والأندلس سنة ٨٨ هـ/٧٠٧م ، أما ابن خياط يورد في تاريخه ص ٣٠٢ . والبلاذري في فتوح البلدان، ص ٢٧٢ . أنه ولي على المغرب سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨م]

(٣) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٣ . الناصري السلاوي : مصدر سابق ، ص ٨٥ .

بالدون من العظية ، أو رجل ضعيف العقيدة قليل الخبرة ، ليس أخو الحرب ، إلامن اكتمل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، ولم يرضى بالدون من المغنم ، لينجو ويسلم ، ويبلغ النفس عذرها في خرق يريده ، ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزن جازما في عزمه متزايدا في عمله" بالإضافة إلى أخذه بنظام الشورى من أهل التجربة ، والحكمة نبيان ، وتدعيم رأيه حتى إذا انتصر لم تأخذه نشوه النصر وينسى الحذر ، وإذا انهزم أظهر قوة إيمانه وصبره ، فلا يكون جبانا ، ولا متخاذلا ، وإنما يكون من الذين يرجون حسن العاقبة من الله. "وبعد فإن كل من كان قبلى كان يعمد إلى العدو الأقصى ، ويترك عدوا منه أدنى ، ينتهز منه الفرصة ، ويدل منه على العورة ، ويكون عوننا عليه عند النكبة ، وأيم الله لا أريم هذه القلاع ، والجبال الممتعة حتى يضع الله أرفعها ، ويذل أمنعها ، ويفتحها على المسلمين بعضها ، أو جميعها ، أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين" (١)

استهل موسى بن نصير عمله فى المغرب بإتمام فتح ما تبقى من بلاد، فرأى أولا تأمين مدينة القيروان ، وربطها بإقليم الزاب ، وكسب ود أهل هذا الإقليم ، وضمه إليه لأن الروم جعلوا هذه المنطقة نقطة هامة لإيقاف أى تقدم للمسلمين إلى سائر مناطق شمال إفريقية ، سواء كانت قريبة أو بعيدة.

ومن الجدير بالذكر أن موسى بن نصير بدأ فى نشاط الحربى، والعسكرى فى المغرب الأوسط ، والأقصى ، بإرسال جيش لفتح قلعة زغوان وما يجاورها (٢) هذا ونجد معظم المؤرخين لا يتكلمون إلا عن أعداد خالية

(١) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٤ / ٣٩ ، سنة ١٩٣٨ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، مصر.

- ابن قتيبة : الإمامة السياسية ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، تحقيق محمد محمود الرفعى ، سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م ، مطبعة النيل ، مصر.

(٢) زغوان : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره نون ، قلعة على جبل عال جدا فى إفريقية بالقرب من تونس وعل مسيرة يوم من القيروان ، تقصد إليه المراكب فى ظهر البحر لعلوه وإرتقائه من الجو. [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٤٤ . د/سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٤١] كان يسكن هذه المدينة قوما من البربر ، حاربهم موسى بن نصير حتى هزمهم ، وسبى منهم كثيرا ، فكان أول سبى يدخل القيروان فى ولاية موسى بن نصير [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ٤٠ . د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٢ . د/ سيد سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج ٢ ، ص ٢٥٣]

من السبي والأسرى قد تصل في بعض الأحيان إلى مائة ألف رأس ، كالتى أتى بها عبد الملك بن موسى بن نصير (١) من حملته على السوس الأقصى بالإضافة إلى حملة عبدالله بن موسى بن نصير (٢) أكبر أبنائه على طنبة فأتى بمائة ألف من السبايا أيضا ، فسارع موسى ، وأخرج خمس هذه الغنائم والتي قدرت بستين ألف من السبي (٣) معنى هذا أن غنائم موسى قد بلغت حوالى ثلاثمائة ألف من الغنائم ، وليس لدينا إلا أرقام ما بلغت حملتا ابنه عبد الله ، ومروان ، والواضح أن هذا الخمس هو جملة ما غنمه موسى من جميع فتوحاته في المغرب الأوسط ، والأقصى .

على ضوء هذا كتب موسى بن نصير إلى عبدالعزیز بن مروان يبشره بأول فتح له ، وبدوره اتصل عبدالعزیز بأخيه عبدالملك بن مروان يهنئه بما فعله موسى حتى يغير رأيه فيه (٤) اتبع موسى بن نصير لأول مرة فى هذه الحملات نظام المراقبة الدائمة للقبائل البربرية التي قد تأثرت بدساتس الروم ، وكان يغزو بنفسه ، مما أدى إلى استتباب النظام بإفريقية ، و بلاد الزاب ، وأصبحت لأول مرة تنعم بالأمن ، والطمأنينة بعيدا عن دساتس الروم (٥) واصل موسى بن نصير فتوحاته ، واستولى على مجموعة من القبائل البربرية مثل هوارة وزناتة وكتامة فقد أغار على هوارة وزناتة وقتل منهم عدوا ، وأرغمهم على الصلح ، أما كتامة فقد قدمت على موسى وطلبت الصلح فصالحها .

- (١) عبد الملك بن موسى بن نصير : ولاء والده مدينة طنجة والسوس الأقصى عام ٨٩هـ / ٧٠٨م ، وقتل عام ١٠٢هـ / ٧٢١م ، وذلك أثر اتهامه فى مقتل يزيد بن أبى مسلم ، وذلك فى ولاية بشر بن صفوان [تاريخ ابن خياط : ، ص ٣٠٢ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٦٠]
- (٢) عبدالله بن موسى بن نصير : الأبن الأكبر لموسى ، تولى إفريقية سنة ٧١٢م فى عهد والده ثم قتل ، سنة ٩٧هـ / ٧١٤م ، فى ولاية محمد بن يزيد القرشى [ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٤٤ : ٤٧ . د/ حسين مؤنس : ثوارت البربر فى إفريقية والأندلس ، ص ١٤٣ : ١٤٤ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، المجلد العاشر ، الجزء الأول مايو ، سنة ١٩٤٨م .
- (٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٣٢ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١١٢ . د/ السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ : ٢٥٣ . د/محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٣ .
- (٤) د/ السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
- (٥) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٠ .

وولى عليها واحدا منها (١) ولكى يأمن جانبهم ، فقد استطاع أن يأخذ رهائن من خيارهم (٢) بهذا تكون قد قربت السيادة لموسى بن نصير على المغرب الأوسط بعد أن غزا صنهاجه (٣) بستة آلاف من جنوده منهم ألفان من البربر ، والباقي من العرب ، وعلى غفلة من أهلها هاجمها ، وقتل منهم عددا لا يحصى ، ثم رجع عائدا إلى القيروان (٤)

ثم ما لبثت قبيلة كتامة أن شقت عصا الطاعة ، وفر رهائنها من بين يدي موسى ، بحجة أنهم خارجون للإصطياذ ، فأرسل في طلبهم ، وأتى بهم ، وأراد أن يصلبهم ، فقالوا لا تعجل أيها الأمير ، لا تقتلنا حتى يتبين أمرنا ، فإن اباعنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف أبدا ، ونحن فى يدك ، وأنت على البيان ، فوضع الحديد فى أيديهم وأخرجهم معه إلى كتامه ، وخرج بنفسه فلما بلغهم خروج موسى استقبله مشايخ قبيلته كتامه معترزين فقبل بعد أن ثبت له براءتهم ، وقدموا إليه رهائنهم (٥) رأى موسى أن يكمل فتح المغرب الأوسط فتوجه إلى إقليم سجوما (٦) وأعد نفسه إعداد جيدا ، فقام بتنظيم جيشه ، فجعل على مقدمة عياض بن عقبة بن نافع ، وعلى اليمينه زرعة بن أبى مدرك ، وعلى الميسرة المغيرة بن أبى بردة القرشى ، وجعلت على مؤخرة الجيش نجدة بن مقسم ، وبلغ جنود هذه الحملة عشرة آلاف فارس (٧) خرج موسى بن نصير بنفسه على قيادتها بعد أن خلف ابنه عبدالله على مدينة القيروان . ومن ناحية أخرى كان بربر مدينة سجوما على علم

(١) يسمى كمامون [ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٥٤] . أو يسمى طامون [ابن عذارى :

البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤١]

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٣) صنهاجة : يقول عنها ابن خلدون (هذا القبيل أوفر قبائل البربر ، وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد ، وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل ، أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس إنهم الثلث من أمم البربر ، أما بطون صنهاجة فكثيرة قد تصل إلى سبعين بطنا [العبر ، ج ٦ ، ص ٣٠٩]

(٤) ابن قتيبة : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٥) ابن قتيبة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٤ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٦) سجوما أو "سكوما" أو "سجومة" على مقربة من مدينة فاس ، وتعتبر من مدن قبيلة أوربة البرنسية بالمغرب الأقصى [البكرى : المغرب ، ص ١١٧ . د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٥٥]

(٧) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤١ .

بقدم موسى وجنوده ، فجمعوا أعدادا غفيرة ، حتى إن موسى لم يتمكن من هزيمتهم في أول لقاء بينهم ، والذي استمر ثلاثة أيام . (١) ويذكر ابن قتيبة خطأ مقتل كسيلة بن لمرم ، والظاهر أنه يريد أولاد كسيلة أمراء قبيلة أوربة (٢) لأن كسيلة قتل عام ٦٩ هـ / ٦٨٨ م (٣) وبذلك يكون موسى قد أخذ من جديد بثأر عقبة في سجوما على يدي أولاده ، وهم عثمان ، وعياض ، وموسى ، وأبو عبيدة الذين قتلوا حوالى ستمائه رجل من أشرف تلك المدينة (٤) .

وقد دهش الخليفة الوليد بن عبد الملك ، من كثرة سببايا مدينة سجوما ، الذين بلغوا مائة ألف ، فكتب إلى موسى "ويحك أظنها إحدى كذباتك ، فإن كنت صادقا فهذا حشر الأمم" (٥) بعد هذا النجاح الكبير ، والسريع ، الذى حققته الجيوش الإسلامية بقيادة موسى بن نصير ، وبعد أن أطمأن موسى على ما فتحه ، شرع فى استكمال مسيرة الفتح ، فسار يريد طنجة ، وما بقى من بلاد البربر التى لم تفتح بعد ، فأخذ بربر هذه المناطق فى الهرب عندما علموا بما نزل بإخوانهم على يد موسى خوفا منه ، فنتبعمهم ، والحق بهم الهزائم حتى بلغ السوس الأدنى (٦) لايدافعه أحد (٧) وقد نتج عن ذلك أن طلب بربر تلك البلاد من موسى بن نصير الأمان ، على أن يلزموا الطاعة ، فأعطاهم الأمان ، وأقام على هذا الإقليم وما والاهاه مولاه طارق بن زياد (٨) ،

(١) الخميس ، الجمعة ، والسبت حتى العصر [ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٨٥]

(٢) ابن قتيبة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

(٣) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٤) ابن قتيبة : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٨٤ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ١١٧ ، ١١٨ . الناصرى السلاوى : ص ١١٧ ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(٦) السوس : بضم السين ، وسكون الواو ، تطلق على إقليم كبير من المغرب الأقصى ، كانت

فيه مدن عظيمة ، وقرى كثيرة ، وعمارات متقاربة ، فى جانبه الشمالى نهر يأتى من الشرق

من جبل لمطة ، ومدينة طنجة ، أما السوس الأقصى : فيطلق على القسم الجنوبى الغربى

منه [الكرخى : المسالك والممالك ، ص ٣٤ . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٦٩ ،

١٧٠ . د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٤]

(٧) ابن الأيثر : الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٤٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٨) طارق بن زياد : هناك عدة أقوال فى نسبه : الأول : قيل أنه من البربر من قبيلة نفزة الواقعة

فى جنوب شرق الجزائر [تونس الحالية] وهذا هو الراجح .

الثانى : قيل أنه من همدان من موالى الفرس .

الثالث : قيل أنه عربى من قبيلة صدف ، أما اسمه : فالغالبية على أنه طارق بن زياد ، والبعض

يضيف إليه الليثى ، أو الورفجومى [تاريخ ابن خياط ، ص ٣٠٤ ، البلاذرى : فتوح =

وترك له حامية كبيرة ، قدرت بسبعة عشر ألفا من العرب ، واثنى عشر ألف من البربر (١) وقد ترك معه مجموعة من أشرف المسلمين ، وفقهائهم لتعليم السكان قواعد الإسلام ، وأصول الشريعة ، وأخذت اللغة العربية في الانتشار بين الناس ، مما نتج عنه دخول أعداد كبيرة من البربر في الإسلام ، لاسيما سكان طنجة ، والسوس الأدنى ، والإنضمام إلى جموع قوات المسلمين الموجودة هناك (٢) توجه موسى بن نصير بقواته بعد غزو طنجة لفتح مدينة سبتة التي استعصت عليه لمناعتها ووصول الإمدادات إليها ، ورأى موسى ألا يأخذ سبتة بالقوة ، واكتفى بأن عين مولاة طارق على طنجة المجاورة لها ، وكلفه بمراقبة سبتة ، وتشديد الحصار حولها (٣) فاستولى على منطقة درعة (٤) وصحراء تافيلالت "سجلماسة" (٥) في السوس الأقصى .

بذل موسى بن نصير مجهودا كبيرا في تأمين ولاية إفريقية ، وتدعيم العلاقة بين العرب ، والبربر وقد اشرك موسى البربر في الحكم ، والقيادة (٦) مما شجعهم على مشاركة إخوانهم العرب في الغزو ، وخاصة في فتح الأندلس ولعل اختيار طارق بن زياد ، يعد مظهرا كبيرا من مظاهر التطور

=البلدان ص ٢٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١١٢ ، ٥٤٠ . الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ص ٨٦ . د / حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٢ . د / حسين ابراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، ص ١٦ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٤م ، مصر]

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ص ٤٢ د / محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٢) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٦٩ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٣) د / أحمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٨ . د / السيد سالم : تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس ، ص ٤٧ : ٤٨ .

(٤) درعة : مدينة صغيرة بالمغرب ، بينها ، وبين سجلماسة أربعة فراسخ ، بها نهر يسمى باسمها ، وينبع من جبال أطلس متجها إلى المحيط الأطلنطي [ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥١٣ • أحمد عطية الله : القاموس الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٣٦١]

(٥) الناصري السلاوي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٨٦ .

تافيلالت .. تتكون منها مجموعة من الواحات ، وخاصة واحة سجلماسة الكبرى ، وتضم إقليما زراعيا خصيبا وافر المياه على أبواب الصحراء الكبرى [د / حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ٥٣]

(٦) طريف بن مالك أو ملوك ، ويكن بأبي زرعة ، أحد قواد موسى بن نصير المشاركين في فتح الأندلس ، يراه البعض عربيا يمنيا ، ويسمونه بالمعافري ، وإن كانت الغالبية العظمى ترى أنه من البربر [د / أحمد مختار العبادى : مرجع سابق ، ص ٥٧ . د / حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ٥٤]

الطبيعي لعلاقة العرب بالبربر ، كما يدل على ذكاء موسى بن نصير في اختيار قواده، حيث أن البربر كانوا يحبون طارق ، ويثقون فيه ، ويفخرون ، بأن أميرهم رجل منهم يسوسهم ، بما يوافق طباعهم ، وأهوائهم ، ويشعرهم بالثقة والأمان (١) بعد أن إطمئن موسى بن نصير على قواته ، واستقرارها في المغرب الأقصى شرع في الرجوع إلى القيروان ، وفي طريق عودته ، مر على قلعة مجانية (٢) وكان بها بقايا من الروم ، ومجموعة من البربر ، متحصنين بها خوفا من قواته ، فحاصرها موسى ببعض قواته ، واستطاع فتحها ، والإستيلاء عليها ، وترك عليها قائدا من أصحابه يسمى "بسر" أو بشر بن أبي أرطاة سميت باسمه إلى الآن (٣) .

أما سياسة موسى تجاه البربر ، فقد استعمل معهم سياسة تتسم بالقوة، والحزم ، حتى لا يفكروا في الإرتداد مرة أخرى ، وكانت الغنائم ، والسبايا التي حصل عليها موسى بن نصير كبيرة وكانت كثرة هذه الغنائم التي بعثها موسى إلى الخليفة مثار نقد لدى بعض الحاضرين عند الخليفة بقوله "والله أحق ، أين له عشرون ألفا يبعث بها إلى أمير المؤمنين في الخمس" (٤) يقول صاحب البيان المغرب "لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام" (٥) ويمكن تفسير سياسة موسى بن نصير التي اتبعها مع البربر بما جبل عليه البربر من حب التمرد ، والثورة ، ونظرا للطبيعة البدوية التي تغلب على قبائلهم ، فيذكر أنهم ارتدوا اثني عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة ، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز موسى بن نصير طارق بن زياد إلى الأندلس ، ومعه كثير منهم . (٦) ومن هنا اضطر إلى اتخاذ هذه السياسة القوية الحازمة التي لا تخلو أحيانا من الحكمة.

(١) ديبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

(٢) مجانية : مدينة قديمة ذات مياه ، وعيون تعرف بمجانة المطاحن ، وتسمى قلعة بشر لأن بشر

ابن أبي أرطاة كان قد افتتحها [مجهول : الإستبصار ، ص ١١٦]

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٥ ، طبعة ليدن .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ص ٢٠ .

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .

من ناحية أخرى امتد نشاط موسى بن نصير ، والمتمثل في إدخال البربر إلى الإسلام إلى مناطق أخرى ، فأرسل قائده طريف بن أبي زرعة إلى قبائل المصامدة (١) الذين أعلنوا خضوعهم ، وقدموا إليه رهائنهم ، وتعتبر هذه هي المرة الثانية التي يصل إليها المسلمون أرض مصمودة بعد دخول عقبة بن نافع ، وتأكد إنتشار الإسلام في بلاد المصامدة الذين دخلوا فيه طوعاً (٢) إنظر الشكل رقم (٨)

هذا إلى جانب أن موسى بن نصير كان حريصاً على متابعة أحوال البربر ، والعمل على إراحتهم ، فكان يشاركهم في السراء ، والضراء ، ويضرب لهم القدوة ، والمثل للصورة التي يجب أن يتحلى بها المسلم الحقيقي ، بالإضافة إلى تفقده الأسرى ، وتخيره منهم من يرى أن دخوله في الإسلام يكون نافعا ، فيعرض عليه الإسلام فإن رضى قبله ، بعد أن يختبره ، ويمحص عقله ، ويجرب فهمه ، فإن وجده صالحاً لذلك ، أعتقه وتولاه ، وإن لم يجد فيه تلك الصفات رده في الخمس (٣) وبذلك استطاع إدخال الكثير من البربر في الإسلام.

هذا بالإضافة إلى تعيين طارق بن زياد على إقليم طنجة ، وهو منصب كبير في القيادة ، جعل عيون البربر تنظر باطمئنان إلى أن المراتب العليا ، والمناصب الكبرى ليست بعيدة عنهم ، فأقبلوا على دخول الإسلام بقلوب صادقة للدفاع عن هذا الدين ، ونجد هذا واضحاً بعد أن اتجه الجيش الإسلامي إلى فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م (٤).

كانت نهاية موسى بن نصير نهاية أليمة ، فقد استدعاه الخليفة الوليد ابن عبد الملك ، ليحاسبه على ما حصل عليه من غنائم ، وأموال ، فسار في

(١) المصامدة : مفرداً مصمودة وتحتوى على عدد كبير من القبائل ، من أشهرها هرغه ، وهكسورة ، وغمارة استوطنت جبل درن في جنوب المغرب الأقصى جنوب مراكش ، وهي التي أقامت دولة الموحدين في القرن السادس الهجرى / ١٢ م [د/ سعد زغلول :

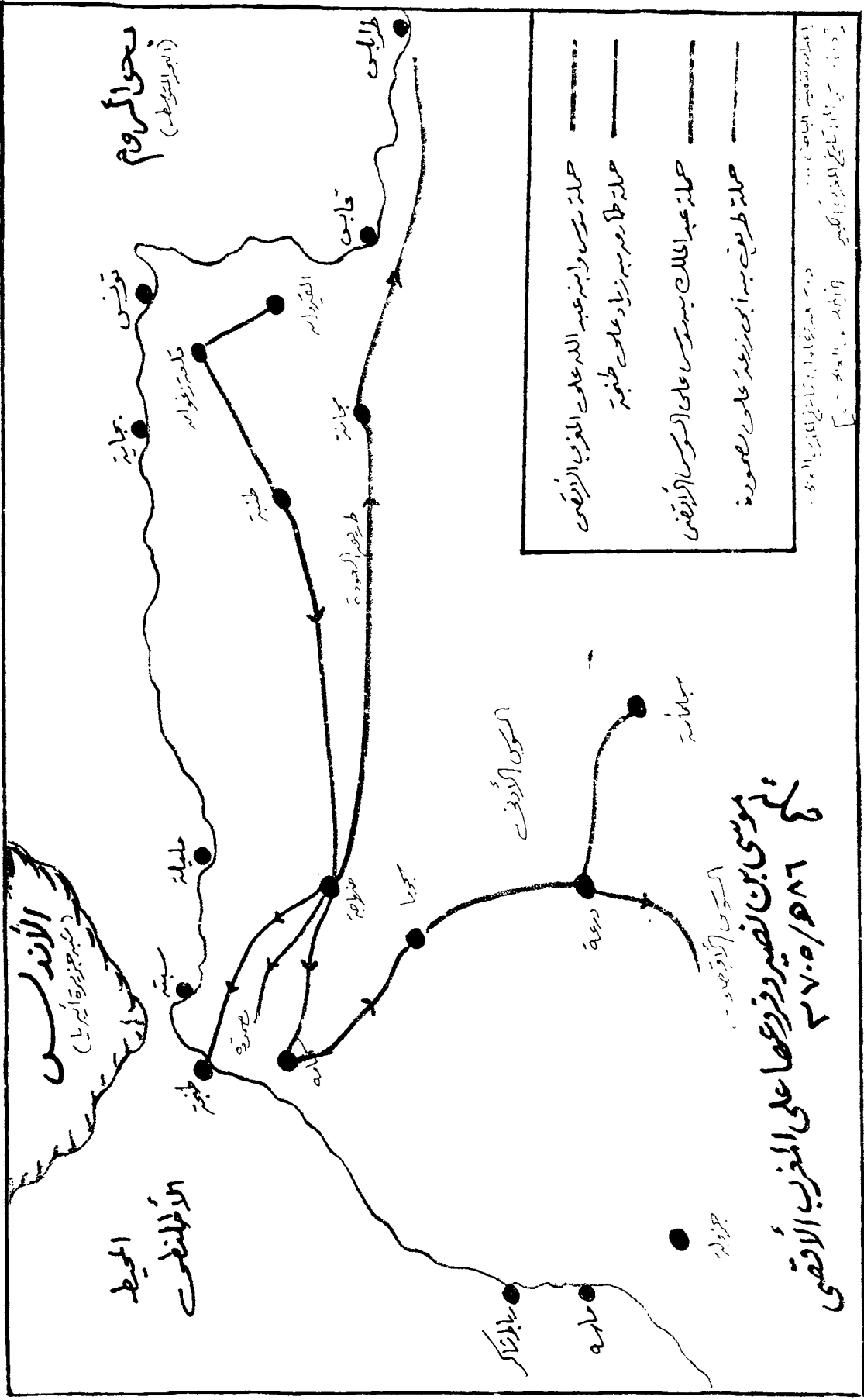
تاريخ المغرب العربى ، ج١ ، ص ٩٧]

الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج١ ، ص ٨٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٤٣.

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص ١٠٩.

(٤) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٥٠.



بحور الروم
(البحر المتوسط)

طرابلس

قابين

القبردار

قلعة زغراب

طنبسى

نجابة

طنبسى

طريق العودة

ملبانة

سيبة

طنبسى

صخرة

القاه

صلالة

جومنا

درعة

السكون الأوقفى

سبلانة

السكون الأوقفى

حوزة

ملامه

سابلانكار

الأطلنطوس المحيط

الأندلس
(بشمول جزيرتي إيبيزا وإيبيزا)

----- حملة سوس واينز عبد الله على المغرب الأقصى

----- حملة طلائع بن زياد على طنجة

----- حملة عبد الملك بن سوس على السكون الأوقفى

----- حملة طريف بن عبد الرحمن على رصودة

الحملات التي قام بها ابن زبير ورفيقها على المغرب الأقصى
٢٧٠٥/٥٨٦

إعداد: د. محمد زكي أبو بكر، القاهرة، ١٩٨٠
توزيع: دار النشر، القاهرة، ١٩٨٠

موكب عظيم حتى قدم القيروان ، بعد أن ترك ابنه عبد العزيز على الأندلس (١) ، وابنه عبد الملك إلى طنجة (٢) واستخلف أيضا ابنه عبدالله على إفريقية، ووصل إلى دمشق حيث استقبله الخليفة (٣) الوليد ، وهو في مرضه الذي توفي فيه (٤) غير أن الأمور جاءت على عكس ما كان يتوقع الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك (٥) ، حيث لاحظ تعجل موسى بالمشول بالغنائم، والهدايا بين يدي الخليفة السابق على الرغم من أن سليمان أعلمه بالتريث حتى يقبص الوليد ، وتصير إليه الخلافة (٦) رأى الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يعزل موسى بن نصير عن المغرب والأندلس ، ليبدأ رحلة جديدة في هذه المنطقة ، أو هذا الجزء من العالم الإسلامي .

أما عن سبب عزل موسى بن نصير فهناك عدة أسباب أجملها بعض الباحثين فيما يلي (٧) :

أولا : أن سليمان بن عبد الملك كان يظمر الحقد ، والكراهية لموسى بسبب أن موسى كان من الساعين لدى الخليفة السابق الوليد بن عبد الملك لتوليته أحد ابنائه ولاية العهد بدلا من أخيه سليمان.

(١) عبد العزيز بن موسى بن نصير : خلف أباه عقب وفاته على الأندلس حتى قتل في مدينة أشبيلية عام ٩٨ هـ / ٧١٨ م ، وقيل في رجب ٩٧ هـ / ٧١٧ م [الحميدى : جدوة المقتبس ، ص ٥ سنة ٩٦٦ م . كولان : الأندلس ، ص ١١٣ ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٠ م ، بيروت . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٨٤]

(٢) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٨٨ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٤ .
(٣) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : الخليفة السادس ٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥ م ، ولد سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، أكبر أولاد الخليفة عبد الملك بن مروان ، توفي في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ / ٧١٦ م [الإرطلى : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ١ : ١٢ ، علق عليه وضبطه ، مكى السيد جاسم ، بغداد ، بدون تاريخ]

(٤) الرقيق : مصدر سابق ، ص ٨٨ . الباجي : الخلاصة النقية ، ص ١٢ .
(٥) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : الخليفة السابع ٩٦ : ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٨ م ، ولد بالمدينة ، ونشأ بالشام ، بويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أخوه الوليد ، وتوفي بالشام في شهر صفر ٩٩ هـ / ٧٢٠ م [الإرطلى : مصدر سابق ، ص ١٣ : ١٨]

(٦) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٥ .
(٧) مغاوري منصور عبيد : العلاقة بين العرب والبربر ، ص ٢٤٩ : ٢٥٠ ، رسالة دكتوراه بمكتبة بجامعة الأزهر تحت رقم ١ / ٨٢٤ / ٣ ميكروفيلم .

ثانياً : الهدايا ، والغنائم التي تعجل موسى بتقديمها للوليد ، وكان سليمان قد أشار عليه بالتمهل حتى تصير الخلافة اليه .

ثالثاً : إتهام الخليفة سليمان لموسى بالخيانة ، وجمع الثروات الطائلة ، واقتناء الرقيق ، وعدم إخراج الخمس مما جاء به من الغنائم التي أحضرها .

رابعاً : من أبرز هذه الأسباب ما درج عليه الأمويون في عزل الأمراء والقادة الذين يبرزون في ميادين القتال خشية أن يستقلوا بالأقاليم المفتوحة عن الدولة ويكونوا ممالك مستقلة لأنفسهم ، وخاصة أن موسى بن نصير قد جعل من بلاد المغرب ، والأندلس أرض تتهافت عليها الرجال ، وتميل إليها النفوس لما فيها من خيرات ، و ثروات وفيرة ، هذه الأسباب تعد إتهامات متعددة ، وعدم الرد عليها يعد بمثابة الموافق عليها .

ويمكن لنا تحليل هذه الأسباب (الإتهامات) على النحو التالي:

السبب الأول : كيف يضم الخليفة سليمان الحقد ، والكرهية لموسى بسبب ولاية العهد ، وولاية العهد من الأمور المهمة في الدولة ، والتي لا يجوز أن يتكلم فيها أحد إلا من الصفوة المقربين من الخليفة ، وفي هذا نجد أن موسى كان مطلوباً بسبب سوء إدارته لأموال البصرة ، ولكن تدخل عبدالعزيز بن عبد الملك لدى أخيه الخليفة عبد الملك قد أعفاه من هذه المسألة (١) ، فكيف يكون من المقربين في عهد الوليد حتى يدلى برأيه في ولاية العهد وهو ليس من المقربين الموثوق فيهم من الوليد بن عبد الملك ولأن الوليد كان ولي العهد لأبيه عبد الملك ، ويعلم هذه الفعلة من موسى .

الثاني : يتضح منه لأول وهلة أن الخليفة سليمان درج على جمع الهدايا، والغنائم ، والتهافت عليها ، وهذا منطوق لا يليق بخليفة المسلمين سليمان الذى يوصى عماله بالتقوى والعمل الصالح (٢) من ناحية أخرى نجد أن موسى

ما هو إلا والى إحدى ولايات الدولة الإسلامية المترامية الأطراف المتعددة الشعوب ، جميع هذه الشعوب ، وما فيها تحت تصرف الخليفة فليس من المعقول أن يتصرف الخليفة مع أحد ولاته هكذا .

الثالث : اتهام الخليفة لموسى بالخيانة فأى خيانة يتهمه بها الخليفة لم يوضح لنا ، وأرى أن لفظ "الخيانة" لفظ من الألفاظ المستعملة فى العصر الحديث وبعيدة عن عصر البحث.

الرابع : يصف سياسة الأمويين بأنهم يعزلون القادة البارزين خشية الإستقلال بالأقاليم المفتوحة عن الدولة ، ويجعله أبرز الأسباب ، ولكنى أرى أن خلفاء بنى أمية لم يعاملوا قادتهم البارزين بهذه المعاملة السيئة ، وإلا لما مكثت دولتهم أكثر من تسعين عاما مليئة بالأحداث ، والعواصف التى كادت تعصف بكيان الدولة لولا حكمه خلفائها لما تم التأكيد من سيطرة دولتهم على البلاد التى تحت أيديهم ، بالإضافة إلى مزيد من الفتوح ، هذه الفتوح كان لابد لها من ولاة على مستوى متميز حتى يستطيعوا مواصلة حركة الفتح الإسلامى ، ونشر الدين ، وهى السياسة العامة التى عمل الأمويون على اتباعها ، هذا ولم يعطى لنا الباحث أى مثل آخر يوضح لنا به كلامه غير موسى بن نصير (١)

من ناحية أخرى نجد أن موسى بن نصير قد تعرض لبعض الانتقادات من بعض المؤرخين نسبه لسياسة العسف التى اتبعها فى إخضاع البربر فنجد الدكتور مؤنس يذكر : بأن موسى بن نصير كان يحارب البربر ، ويرميهم بالجيش بعد الجيش حتى روعهم ، وشككهم فى مرامى الحكم الإسلامى وانصرفت همته إلى المغانم ، والسبى ما لم يسمع المسلمون بمثله قبل ذلك ، وفاق ما غنمه المسلمون من فارس وغيرها من الأقاليم التى فتحت خلال القرن الإسلامى الأول ، ويذكر أيضا "بأن موسى كان رجلا نشيطا قادرا ، محاربا ماهرا استطاع أن يقود جيوش المسلمين فى حروب موفقه فى المغرب أولا ثم فى الأندلس فيما بعد" (٢) فأرى أن الدكتور مؤنس يتهم

(١) مغاورى عبید منصور : العلاقة بين العرب والبربر ، ص ٢٥٠ .

(٢) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٤٣ : ١٤٤ .

- دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص ١٣٠ : ١٣٦ .

ابن نصير بأنه شكك البربر في مرامى الحكم الإسلامى إذن أين دور البربر في فتح الأندلس؟ لو شك البربر في الدين الإسلامى لما أبلوا بلاءا حسنا ، وكان لهم دور كبير فى هذا الفتح ، ولسنا بصدد توضيح دور البربر فى الأندلس ، ثم انصراف ابن نصير فى جمع المغانم ، والسبى حتى فاق ذلك ، وماغنم من فارس ، وهذه مغالطة أخرى بحيث نجد أن فارس بحضارتها ، وتأثيرها فى نظم الإسلام ، وعظم خيرتها مهما بلغ ما جمعه ابن نصير من مغانم وسبى من بلاد المغرب ، فلن تأتى بمثل ما وجد من مغانم عند الفرس ، ومن الجدير بالذكر أن أحد الدارسين (١) يرى أن هذه السياسة لها ظروفها الخاصة فى حينها ، ولم يوضح لنا هذه الظروف .

هذا وقد شك سليمان بن عبدالمك بن أن ابن نصير لم يخرج خمس الغنائم التى أحضرها إلى دمشق مما جعل الخليفة يدخلها كلها إلى بيت المال (٢) لكن ابن أبى دينار يورد نصا "أن موسى بن نصير بعد أن فتح مجانية بعث بخمسها إلى الوليد" (٣) أى أنه كان يرسل الخمس إلى بيت المال ، وإذا لم يرسل الخمس فى عهد الوليد فكيف يتركه الخليفة الوليد دون محاسبة على ما حصل عليه من سبى ، وغنائم؟

مما لا شك فيه أن لكل قائد ناجح ، وبارز فى عمله أعداء لا يحبون له هذا الظهور ، وهذه المكانة فى المجتمع ، ولدى صاحب الدولة ، ومن هؤلاء القادة موسى بن نصير ، فقد بذلت جهود للوقية بينه ، وبين سليمان ولى العهد ، وقد أثمرت الجهود عندما تولى سليمان الخلافة سنة ٩٦ هـ / ٧١٥م ونتجت عنها سوء علاقة بينهما ، وكان سببها :

١- عدم إطاعة موسى لأوامر سليمان ، والتكبر عليه ، وهو ولى العهد ، حيث أعلمه بالتمهل حتى يتسلم أمور الخلافة ، ويستولى على ما جاء به موسى من إفريقية والأندلس ، وقد نفينا هذه التهمة ، أما لوضح هذا الأمر ،

(١) عبدالباقى محمد أحمد كبير : المرابطون ودورهم فى نشر الإسلام فى غرب إفريقية ، ص ١٧

رسالة ماجستير بمكتبة بجامعة الأزهر ، تحت رقم (٧٢٤ / ٩٥٣)

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢١١ .

(٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٩ .

فنجد أنفسنا أمام سؤال هام ؟ - هل يجوز لسليمان ، وهو ولى للعهد التدخل فى مسيرة موسى بن نصير ؟ نجد أن سليمان لا يلام على تصرفه بالتدخل فى مسيرة موسى ، ومن حقه أن يباشر حقوقه إذا حدث أى شئ يمنع الخليفة من تأديه عمله ، وهنا كان الخليفة الوليد مريض ، ومن الجدير بالذكر أنه قد تختلف رؤية ولى العهد لقضية ما عما يكون هو المسئول الرسمى "الخليفة" لأن التدرج فى المناصب العليا قد تدفع معظم أصحابها إلى النظر برؤية عامة إلى أحداث الدولة كما يرى الباحث .

ومن هنا وُضع موسى بن نصير فى اختيار صعب هل يطع أوامر ولى العهد ، وينال رضاه بعد حين ؟ أم يرفض ويبقى على ولائه للخليفة ، فاختار موسى أن يظل وفيا للخليفة ما دام حيا ، وإن كان مريضا ، فالموت ، والحياة لا يعلمهما إلا الله ، ويعتبر هذا السلوك من موسى منتهى الإخلاص ، والولاء من الوالى للخليفة ، وهذا موقف يشار إليه بالإعجاب والفخر ، والإعتراز لموسى بن نصير على الرغم من علمه بأن الأمر لابد صائر إلى سليمان فيما بعد ، بل إن وفاء موسى للوليد أولا وقبل سليمان ، لأن الوليد قد يشفى من مرضه ، ويباشر مهامه ، فماذا يكون موقف موسى منه ؟ ولا شك أن موسى قد استعرض كل هذه الأفكار ، والتقديرات ، ووصل إلى موقف يدل على مدى إخلاص الوالى لسيدته تحت كل الظروف ، وهذا سلوك جميل يستحق عليه التقدير (١) أما سبب فى عزل موسى عن ولاية إفريقية ... إتهام الخليفة سليمان له بالإهمال ، والتبديد فى الأموال الخاصة بالدولة ، وهى تهمة تمس حقوق المسلمين ، وأموالهم ، وليست أموالا شخصية ، وكانت هذه الأموال تقدر بحوالى ٤٣٥٠ ألف دينار ، وكان سليمان يرى أن موسى لم يقدم حسابا دقيقا عن الأموال التى كانت لديه للخليفة الراحل الوليد ، ولعل ذلك راجعا إلى انشغاله بالحروب ، والفتوحات ، ومما لا شك أن سليمان قد رأى بنفسه ما أتى به موسى من الأندلس للخليفة الوليد من الغنائم والذخائر ، والجواهر لهذا فرض عليه سليمان هذا المبلغ الكبير من الأموال على حسب

(١) محسن سليم : سليمان بن عبد الملك وسياسة الداخلية والخارجية ، ص ٨٤ ، ٩٦ ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية القاهرة ، سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م .

ما يتراء له من دخل موسى ، واستفادته من الأندلس (١) ولا شك أن الخليفة سليمان كان يهدف في المقام الأول والأخير إلى الإصلاح وبسط سلطان ، وهيبة الخلافة على كل أنحاء الدولة ، وعند تغيير وال بأخر يتم التحرى لحسن الإختيار (٢) .

ولاية محمد بن يزيد القرشي (*) ٩٧-٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م

بعد أن عزل سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير عن عمله ، أخذ في البحث عن وال يكون له من الصفات ما يكفي لتوليته إفريقية ، فوقع اختياره على محمد بن يزيد القرشي سنة ٩٦ هـ / ٧١٥ م وأوصاه بتقوى الله وحده ، والقيام فيها بالحق والعدل ، ثم وصل إلى مقر ولاية إفريقية سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م (٣) ودع محمد بن يزيد القرشي الخليفة ، وهو يقول "مالي عذر عند الله إن لم أعدل" (٤) وبدأ عمله بأن أحسن السيرة بين الرعية ، وأقام العدل بين الناس ، لكنه قام بمصادرة أملاك أسرة موسى بن نصير (٥) وفي الأندلس تخلص (٦) الخليفة من أميرها عبدالعزيز بن موسى ، حيث اتهم

(١) د/ محمد زيتون : تحليل تاريخي لما يذكره المؤرخون عن موسى بن نصير في فتح الأندلس كلية الآداب جامعة الإمام محمد بن مسعود ، ص ٣٦٧ : ٣٦٥ ، العدد الثاني ، الرياض السعودية ، محسن سليم : *الإمام عبد الملك* ، ص ٩٥ : ٩٤ .

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .
 (*) محمد بن يزيد القرشي : ولاة سليمان بن عبد الملك على إفريقية ، سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م ودامت ولايته سنتين ، وعدة أشهر [ابن الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٣ . تاريخ ابن خياط : ص ٢٥٥ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٧ . الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١٠٠]

(٣) ابن عذاري : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٧ .
 (٤) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٥ . زامباور : معجم الأنساب والأسر الحاكمة ، ج ١ ، ص ٩٩ . ترجمة زكي حسن وآخرون ، سنة ١٩٥١ م .

(٥) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٥ .
 (٦) لم يكن للخليفة سليمان بن عبد الملك يد في مقتل عبدالعزيز بن موسى لأن سليمان لما بلغه مقتل عبدالعزيز شق عليه ذلك ، وأمر بالتحقيق في القتل ، والقبض على قتلته ، وإرسالهم إليه ، وقد أسف على قتله بعد أن ثبت له برائة عبدالعزيز من تهمة الإستقلال بالأندلس [د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٥]

بعده تهم منها الخروج عن الطاعة والتتصر (١) حيث يقول صاحب أخبار مجموعة "فقالوا تتصر ثم هجموا عليه فقتلوه فى سنة ۹۸ هـ / ۷۱۷ م" (٢).

ومن الجدير بالذكر أن عبدالعزیز بن موسى بن نصير جاهد وما زال يجاهد فى سبيل الله، ولا يمكن أن يرجع عن دينه ، أو يقال إنه تتصر ، ويصف أحد الدارسين هذا الكلام بأنه من الأباطيل التى يجب أن تمحى من التاريخ ويعتبره دسا ، وإفتراء ، لأنه لم يكن له سابق عهد بالنصرانية ، وإنما ولد فى بيت اسلامى (٣) كما لا يمكن أن يعقل أن يتحول قائد عربى سليم المدارك بكل سهولة إلى النصرانية من أجل امرأة هى فى الحقيقة من سبايا المسلمين بالأندلس ، ولو قتله سليمان لهذا السبب لكان أولى أن يسأله ليتحقق من صحة هذا الأمر من عدمه حتى يبرى نفسه أمام الله ، والناس ، إذا فمسالة قتل سليمان لعبدالعزیز مشكوكا فيها ، لأنه قتل أثناء أدائه صلاة الصبح .

أما السبب الذى أن يكون مقبولا ، هو خوف سليمان من عبدالعزیز لأنه قد يخلع طاعته ، ويستقل بالأندلس ، وهو سبب حمل كثير من الخفاء على التخلص من الخارجين عليهم مهما كان منزلتهم ، لأن الملك غلاب فهو يحافظ على ملكه ، وعلى وحده المسلمين ، وتبعيتهم له ، وخاصة فى مثل هذه الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة ، وأمرها لم يستقر بعد (٤).

- (١) هناك دعاية واسعة نجحت فى إيهام الناس بأنه تتصر تحت تأثير زوجته القوطية التى تسمى أيله أو أوجلا (EGLLA) أو ايجلونا بالأسبانية ، وهى أرملة لذريق ملك القوط ، وكانت تحرضه على الإستقلال بالأندلس ، وتأسيس دولة يكون ملكا عليها ، ونجحت فى التأثير عليه وأقنعتة بوضع التاج على رأسه تشبيها بالملوك ، [مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٠ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ : ٢٨٧ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٦٠ . محمد دياب بك : تاريخ العرب فى أسبانيا ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، سنة ١٩١٣ ، طبع بمطبعة الجمالية ، مصر]
- (٢) لا شك أن هذا الدس من بعض المؤرخين من تصوير خصوم بنى أمية بهذه الصورة وقع فى عهد العباسيين وخصوم الإسلام فى كل زمان [د/ إبراهيم شعوط : أساطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص ٣٤٣ ، بدون تاريخ]
- (٣) د/ إبراهيم شعوط : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .
- محسن سليم : سليمان بن عبدالملك ، ص ٩٩ .
- (٤) محسن سليم : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

ولقد شعر البربر بالأمن والطمأنينة في الفترة التي مكثها محمد بن يزيد القرشي على ولاية إفريقية ، أرسل هذا الوالي السرايا إلى الثغور ، والمناطق الداخلية من المغرب ، والجزائر المجاورة للساحل المغربي ، وغنم منها غنائم كثيرة وكان يقسمها بين جنوده دون أن يترك لنفسه شيئا (١) فكان هذا التصرف مثلا للوالي العادل النزيه ، وكانت لهذه السياسة الحكيمة أثرها العميق في كسب أفواج جديدة من البربر إلى الإسلام (٢) انتهت ولاية محمد ابن يزيد القرشي بوفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م فاستعمل الخليفة الجديد عمر بن عبدالعزيز اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على إفريقية (٣)

ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر*

كان إهتمام عمر بن عبدالعزيز بسائر الولايات الإسلامية كبير ، ومنها بلاد المغرب ، وقد حرص على اختيار الولاة القادرين على النهوض بالأقاليم الإسلامية ، فاختار اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر وولاه إفريقية سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م ، وكان اسماعيل بن عبيد الله عند حسن الظن

(١) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٩٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٤٧ ، الباجي : الخلاصة النقية ، ص ١٢ .

(٢) السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٣) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٤٧ .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٢ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٥ .

* اسماعيل بن عبيد الله ، مولى بنى مخزوم ، وحفيد أبي المهاجر دينار الوالي السابق ، تولى المغرب أيام عمر بن عبدالعزيز [خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٢٣ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٤٨ . الباجي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٩٩] ، وقد جرت العادة عند قدوم جبايات الولايات إلى مقر الخلافة أن يأتي مع جباية كل إقليم وفد من أهلها يتكون من عشرة رجال من الأعيان ، وعلى هؤلاء أن يقسموا بأن كل درهم ، وكل دينار من تلك الجباية أخذ بحقه ، وقد أتى وفد إفريقية بالخراج ، فحلف ثمانية من العشرة بصحة جمع المال ، ورفض كل من اسماعيل بن عبيد الله ، والسمح بن مالك الخولاني ، فأعجب الخليفة عمر الذي كان موجودا بالرجلين " فضمها إلى نفسه" فلما تولى الخلافة ولى اسماعيل إفريقية ، وعهد إلى السمع بولاية الأندلس [مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٤٨] ترجمة السمع بن مالك الخولاني: نسبة إلى بنى خولان من قبيلة قضاة ، ولاء عمر بن عبد العزيز على الأندلس ١٠٠ هـ / ٧١٨ م ، وكانت ولاية الأندلس تابعة لأمير إفريقية وهو الذي يعين والى الأندلس من قبله ثم يقرة الخليفة ، قتل السمع في عام ١٠٢ هـ / ٧٢١ م [أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، ج٣ ، ص ٤٩٠ : ٤٩١]

به في المغرب "فكان خير وال ، وخير أمير حسن الظن" كما ذكر ابن خياط، وابن عذاري وآخرون (١) اهتم اسماعيل بدعوة البربر إلى الإسلام ، وتعليمهم أمور الدين ، وقد ساعده في هذا المجال إرسال الخليفة عمر بن عبدالعزيز عشرة من التابعين من أهل الفضل ، والعلم لتعليم البربر أصول الدين ، واللغة ، وقد تولى اسماعيل توزيع هؤلاء التابعين في أنحاء المغرب ، وتحول البربر بفضل هؤلاء التابعين إلى أمة إسلامية ، ولم يبق على غير الإسلام سوى جماعة من الروم ، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أجانب في المغرب ، بالإضافة إلى طائفة اليهود (٢) وقد أدى هؤلاء التابعون دورا كبيرا في هذا المجال حتى دخل كثير من البربر في الإسلام ، وحسن إسلامهم ، وانخرطوا في سلك الأمة الإسلامية (٣) ويعلق الأستاذ جورج مارسيه في دهشه على انتقال البربر ، وخاصة المسيحيين منهم إلى الإسلام بمثل هذه السرعة ، بل أكثر من هذا دخولهم بحماس كبير ورغبتهم الشديدة في اغتنام الشهادة مما أدى إلى أنهم لم يعد يمثلون سوى بقع ضئيلة ، أصبح حتى مجرد الإعتقاد في وجودها أمرا مشكوكا فيه ، بينما كانت معظم البلاد التي دخلها الإسلام تحتفظ بطوائف مسيحية كبيرة كالأقباط في مصر ، وسكان جبل لبنان في بلاد الشام (٤) ويجمع المؤرخون على حسن السياسة التي سار عليها اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر في البربر ، حيث قام بالعدل بينهم ، بالإضافة إلى وعده ، وجهوده في ارساء قواعد الإسلام في البربر حتى حسن إسلامهم ، فكان خير أمير وخير وال ، وقد لاقت هذه السياسة العادلة قبولا

فوضع عليهم الجزية على نحو ما كانت تؤخذ منهم ، وهم على كفرهم (١) ثم اشتد عليهم في جمع الأموال ، وأسرف في ذلك ، حتى أن ابن عذارى يصفه "بأنه كان ظلوما غشوما" (٢) أراد يزيد بن أبى مسلم أن يقلد ملوك الروم ، فاتجه إلى حراسه من البربر ، فقام خطيبا فقال "إنى رأيت أن أرسم اسم حرسى فى أيديهم ، كما تضع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم فى يمين الرجل اسمه ، وفى يساره حرسى ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أردت" (٣) فلما سمع الحراس (٤) ذلك استاءوا ، وغضبوا لما رأوا فيه من مهانه ، وإذلال ، وأنكروا هذا الفعل عليه ، وقالوا إنه جعلنا بمنزلة النصارى" (٥) هذا التصرف الغريب من أحد ولاة بنى أمية جعل أحد الدارسين (٦) يفسر لنا سوء معاملة يزيد بن أبى مسلم للبربر ، وإتباعه سياسة غير مناسبة لهم بعد دخولهم فى الإسلام ، هذا إلى جانب اتهامه للخليفة نفسه حيث ذكر أنه ابن ملك شب فى ظل الملك حيث يعتبر خلفاء بنى أمية ملوك وليسوا خلفاء المسلمين ، وأنه كان شابا لما ولى الملك لم يتجاوز عمره الثلاثين ، وكانت زوجته أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بنت أخ الحجاج ، بالإضافة إلى أنه لم يكن فى راحة ، ودهاء عقل سليمان ، ولا ورع عمر ابن عبدالعزيز وإتهامه بالإسراف ، والتبذير ، وعندما تولى عزل معظم ولاة عمر بن العزيز.

على الجانب الآخر أخذ الحراس يخططون لتنفيذ خطتهم ، حيث كانت الفرصة مواتية للوقوف عليه عندما خرجت جيوشه بقيادة قائد الأسطول

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، ص ٦١٧ ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩ م ، دار المعارف ، مصر.

(٢) ابن عذارى : البيهقار المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ ، الباجى : الخلاصة النعمية ، ص ١٣.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ ، ابن عذارى : مصدرا جوع ، ج ١ ، ص ٤٨.

(٤) الحراس : لم يكن الحرس خاصا بيزيد ، بل كان حرس الولاية ، وهذا الحرس يتبع الدولة ، مما يدل على استقرار نظم الدولة ، ويعتبر الوالى موظفا على رأس إدارة تابعة للدولة ، لا تتأثر بعزل أو غياب الوالى ، وكان هذا الحرس يتكون من البربر ن وخاصة البتر ، ولا يوجد بينهم من البرانس أحد [الرقيق : تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص ٢٤٠]

(٥) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٨.

(٦) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٩٦ : ١٩٩.

محمد بن أوس الأنصاري (١) لتقوم بغارة على صقلية (٢) فهجموا عليه ، وقتلوه سنة ١٠٢ هـ / ٧٢١ م كما ذكر الكثيرون (٣) تشاور الناس فيمن يولون الأمر إلى أن يأتي أمر الخليفة ، وتم الإتفاق على محمد بن أوس الأنصاري (٤) لكنه أخذ حذره من البربر ، وصار يعمل لهم حسابا خاصا فرأى تغيير سياسته معهم حتى يتم تعيين وال جديد على بلاد المغرب .

ولاية بشر بن صفوان الكلبي * ١٠٢-١٠٩ هـ / ٧٢٠-٧٢٧ م

قدم بشر واليا على إفريقية في شوال سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م (٥) وقد اعتبره الخليفة يزيد بن عبد الملك من الولاة الأكفاء ، الذين لديهم المقدرة على محو الآثار السيئة لدى البربر ، والتي تركها يزيد بن أبي مسلم ، وكان بشر على صلة بما يحدث في إفريقية ، وبطبيعة أهلها ، لأنه كان عامل الخليفة على مصر ، وأفادته هذه الإمامة القريبة من إفريقية حيث كان قد تولاها بدلا من أخاه حنظلة بن صفوان (٦)

- (١) محمد بن أوس الأنصاري : تابعي ، يعرف بالرواية مع الدارية ، دخل إفريقية ، سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير ، توفي عام ١٠٢ هـ / ٧١٢ م [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٠]
- (٢) ابن عذارى : البهايم المغرب ، ج ١ ص ٤٨ . الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب منذ .
- (٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٤ ، تاريخ خليفة بن خياط : ، ص ٣٢٣ . السلوى الناصري : الإستقصا ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .
- (٤) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٥ ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٣ ، د/ محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٦٥ .
- * بشر بن صفوان الكلبي : هو بشر بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحبيل بن عزيز بن خالد [ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٨ . ويذكر ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ابن شراحبيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير الكلبي ، ولي بشر بن صفوان إفريقية ، سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١-٧٢٢ م ، ومات بالقيروان ، سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧-٧٢٨ م . دوزي : تاريخ مسلمي أسبانيا ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، سنة ١٩٦٣م ، دار المعارف ، مصر]
- (٥) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٥ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٨ . الباجي : الخلاصة النقية ، ص ١٣ ، "ويذكر أن بشر قدم إفريقية ، سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١ م . زامباور : معجم الأنساب ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- (٦) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٥ ، دوزي : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

استخدم بشر بن صفوان سياسة مختلفة عن سلفه ، تعتمد على الدين ، والعدل ، والتسامح ، والإحسان إلى البربر ، فأدى ذلك إلى استقرار ، وإزدهار البلاد ، وانتشار الثقافة الإسلامية بين أهلها ، ويذكر أن الخليفة يزيد ابن عبد الملك أمر بشر بن صفوان بمصادرة بقايا أموال آل نصير ، ومن الجدير بالذكر أن هذا العمل ليس من الدين ، ولا العدل ، ولم يكن فيه العمل على مصلحة الدولة بالدرجة الأولى (١)

خرج بشر بن صفوان بما معه من أموال ، وهدايا ، ليسلمها إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، لكن وجده قد توفى ، في نفس السنة التي قدم فيها ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م (٢) وتلقى هشام بن عبد الملك الخليفة الجديد ، الهدايا ، والأموال من بشر ، وأقره على ولاية إفريقية ، فعاد إلى القيروان ، ولكنه مرض في أثناء عودته ، فلما حضرته الوفاة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ ، دخلت عليه جاريته ، وقالت واثماته الأعداء ، فقال لها قولي للأعداء لا يموت (٣) ، واستخلف هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن السلمى واليا على أفريقية (٤)

ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمى * ١١٠-١١٥ هـ / ٧٢-٧٢٣ م

قام هشام بن عبد الملك بتولية عبيدة بن عبد الرحمن السلمى بن أخو ابن الأعور السلمى قائد خيل معاوية في موقعة صفين ، وكان في ربيع الأول سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م (٥) سار عبيدة بن عبد الرحمن بين البربر بالحكمة ،

(١) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٥ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٤٩ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٦ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٧ ، د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج١ ، ص ٢٧٣ .

* عبيدة بن عبد الرحمن السلمى : يسميه البلاذرى في فتوح البلدان ص ٢٧٤ عبيدة بن عبد الرحمن القيسي ، أما زامباور : معجم الأنساب ، ج١ ، ص ٩٩ . فيضيف ابن أبي الأغر قبل السلمى كانت ولايته أربع سنوات وستة أشهر ، ولاء هشام على إفريقية سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م مكان بشر ، كان محل إقامته في القيروان [الباجي : الخلاصة النقية ص ١٤ ، الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١١٥ ، دوزي : تاريخ مسلمي أسبانيا ، ص ١٦٨] (٥) ابن عذارى : ~~مصدر سابق~~ ، ج١ ، ص ٥٠ . زامباور : مرجع سابق ، ج١ ، ص ٩٩ .

والعدل ، وأحسن السيرة ، فهدأ البربر في أيامه وارتضوا حكمه عليهم لما رأوا فيه من العدالة ، والحرص على مصلحة بلادهم .

ومن الجدير بالذكر أن عبيدة قام بتعيين أربعة عمال على الأندلس في أيامه ١١٠ هـ : ١١٤ هـ / ٧٢٨ : ٧٣٢ م (١) وتعاقبا عليها ، فكان إذا ظن في العامل منهم سوءا قام بعزله ، وتولية غيره مراعاة لمصلحة الرعية (٢) غير أن عبيدة بن عبدالرحمن السلمي قد ظهرت منه بوادر العصبية العربية ، وكان قيسيا ، فكان يشتد على بعض عمال بشر بن صفوان لأسباب شخصية ، وكان من هؤلاء رجل من أشرف اليمنية كان قد تولى عدة مناصب، في عهد بشر بن صفوان ، وهو "أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى" (٣) وكان قد عزله عبيدة ونكل به فكتب الأبيات التالية للخليفة هشام بن عبدالملك :

أفأتم بنى مروان قيسا دمانا * وفى الله إنه لم تتصفوا حكم عدل
 كأنكم لم تشهدوا مرج راهط * ولم تعلموا من كان تم له الفضل
 تعاميتم عنا بعين جلية * وأنتم ما رعيتم لنا فعل (٤)

عندما وصلت هذه الأبيات إلى الخليفة هشام بن عبدالملك أمر واليه على المغرب حنظلة بن صفوان الكلبى أن يولى أبا الخطار الأندلس ففعل عام

(١) عثمان بن أبى نسة شعبان ١١٠ هـ / ٧٢٨ م - ٢ - حذيفة بن الأحوص القيسى محرم ١١١ هـ / ٧٢٩ م - ٣ - الهيثم بن عبيد الكنانى محرم ١١٢ هـ / ٧٣٠ م - ٤ - عبدالرحمن الغافقى ١١٣ هـ / ٧٢١ م [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٤٩]

(٢) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج١ ، ص ٢١١ .

(٣) الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبى " أبو الخطار " كنيته ، والتي اشتهر بها ، ولى إمارة الأندلس سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م من قبل حنظلة بن صفوان والى إفريقية لهشام ثم للوليد بن يزيد ، وكان أهل الأندلس قد كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والى إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم واليا يجتمعون عليه ، فبعث أبا الخطار هذا ، فأطاعة أهلها ، واجتمعوا عليه ودانت له الأندلس حتى سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م فى ولاية مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية [ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج١ مطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م ، كولان : الأندلس ، ص ١١٥ . أحمد عطية الله القاموس الإسلامى ، ج٢ ، ص ٧٥ ، ٢٥٣ ،

[٤٥٤]

(٤) توجد هذه الأبيات مع تغير بعض الفاظها فى [ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٥٠ ، الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ . دبور : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٢]

١٢٣ هـ / ٧٤٠ م (١) وقيلت هذه الأبيات بسبب سوء المعاملة التي لقيها أبو الخطار ، مع أن ابن عذارى يؤكد الرواية السالفة ، إلا أنه يذكر أيضا أن عبيدة حمل إلى الخليفة هدايا ، وتحف عظيمة عندما سافر إلى الشام (٢) وطلب استعفاءه فأعفاه ، ويبدو لي أن الرواية الأخيرة هي الراجحة ، لأنه من المستبعد أن تكون هذه الأبيات سببا في عزل عبيدة ، وقد نتج عن سياسة عبيدة ، انتشار بعض الخصومات القبلية في بلاد المغرب بسبب تعصبه للقيسيين وانتشاله بذلك عن إتمام إخضاع البربر في إفريقية ، فكان ذلك فرصة للبربر كي يتولوا بأنفسهم بدلا من الحكام العرب مع الإحتفاظ باسلامهم .

من ناحية أخرى ، بدأ الخوارج يعرفون طريقهم إلى بلاد المغرب ، فوجدوا الظروف مواتية لنشر مذهبهم الذي أثر على العلاقة بين العرب والبربر ، وسوف نوضح هذا الفصل الأخير .

ولاية عبيد الله بن الحبحاب * ١١٦-١٢٢ هـ / ٧٣٥-٧٤١ م

ولى الخليفة هشام بن عبد الملك ، عبيد الله بن الحبحاب على إفريقية ، بعد أن نجح في إدارة شئون مصر خلفا لعبيدة بن عبد الرحمن السلمي الذي كان مسرفا في عصبتيه على أمل أن تهدأ على يديه نفوس العرب والبربر في المغرب .

قدم ابن الحبحاب مدينة القيروان في ربيع الآخر ١١٦ هـ / ٧٣٤ م وبدأ عمله بداية حسنة (٣) فقام بتجديد وتوسيع جامع تونس ، الذي أسسه

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج١ ، ص ٢٧٥ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٥١ .

* **عبيد الله بن الحبحاب** : هو عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث القيسي ، كان مولى لبنى سلول ، وكان رئيسا ، ونبيلًا ، وأميرا بارعا في الخطابة ، والفصاحة ، حافظا لأيام العرب . وأشعارها ، ووقائعها ، وقد أعجب هشام بحسن تدبيره ، فولاه على خراج مصر [تاريخ ابن خياط ، ص ٣٤٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٤ ، مجهول : أخبار مجموعة ص ٢٥ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٩ تحقيق إبراهيم الإبياري ، سنة ١٩٨١ م ، القاهرة ، الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٠٧ . الباجي : الخلاصة النقية ، ص ١٤ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص ٢١٤]

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٦ ، ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٥١ ، زامباور : معجم الأسماء ، ج١ ، ص ٩٩ .

حسان بن النعمان ، واعتنى بدار الصناعة (١) ، وأضاف سفنا كثيرة عظم بها شأن الأسطول الإسلامي الذي استطاع أن يفتح جزيرة صقلية (٢) إستعمل ابن الحجاب على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ، ابنه اسماعيل وجعل

معه عمر بن عبدالله المرادي (٣) بالإضافة إلى أنه أرسل حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع (٤) غازيا المغرب الأقصى غربا ، وأرض السودان جنوبا (٥) لعمله بأن من أحفاد عقبة الذي استشهد في فتح هذه البلاد على يد البربر ، مما يثير حميته ، لمواصلة ما بدأه أبوه ، وبالفعل فإن هذا القائد لم يقاتل أحد إلا ظهر عليه ، وغنم من السبي ، والغنائم كثيرا (٦)

ومن الجدير بالذكر أن عبيد الله بن الحجاب إنتهج سياسة قوية استهدفت تحقيق ثلاثة أهداف ، الهدف الأول : العمل على تأكيد ، وتقوية سلطان الإسلام والمسلمين في المغرب بصفة عامة ، والعمل على إخضاع الأقاليم أو القبائل في المغرب الأقصى بصفة نهائية.

الهدف الثاني : الغزو البحرى واستمراره ، ولكن بشكل أكثر وأفضل ، وبإمكانيات أكثر حتى يمكن أن يساهم في تنمية موارد الدولة المالية.

(١) **دار الصناعة :** اهتم عبيد الله بن الحجاب بدار الصناعة التي أنشأها حسان بن النعمان في تونس سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م ، فوسعها ، وبنى فيها سفنا كثيرة بلغت حوالي سبعمائة بما كان يزاملها من الآلات ، والأدوات الحربية فقوى بها الأسطول المغربى ، وبهذا الأسطول استطاع ابن الحجاب أن يطمع في صقلية ، وضمها إلى المغرب سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م . [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص٢١٨ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، ج٢ ، ص٣٢٣]

(٢) دبوز : مرجع سابق ، ج١ ، ص٢١٨ .

(٣) عين بن الحجاب عند توليته الأمور في القيروان ، ابنه اسماعيل ، وعمر بن عبدالله المرادى حتى قتل المرادى سنة ١٢٢ هـ / ٧٤١ م [ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص٢٢٢]

(٤) **حبيب بن أبي عبيدة (عبده) بن عقبة بن نافع ..** ينفرد د/ سالم بذكر عبده بدلا من عبيده، هو والد عبدالرحمن الفهرى الذى استولى على ولاية إفريقية من حنظلة بن صفوان سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م ، وكان حبيب أحد قادة ابن الحجاب فى إفريقية وذهب بحملة إلى صقلية ، وعندما تأزم الموقف واشتد على ابن الحجاب استدعاه لكى يقمع ثورة البربر التى شملت إفريقية سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٨ م ، توفى حبيب فى هذه السنة [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٣ . أحمد عطية الله : مرجع سابق ج٢ ، ص٣٢ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص٣٠٨ ، ٣٠٩ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج١ ، ص٢٨٩ . د/ زيتون : القيروان ، ص١٠٩]

(٥) ابن الأثير : مرجع سابق ، ص٢٢٢ . دبوز : مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢١٦ .

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٧٤ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص٤٨ ، ٤٩ .

الهدف الثالث : الإجتهد في جمع الأموال اللازمة لإتمام تنفيذ الهدف الأول، والثاني ، ولسد مطالب بيت المال ، وإرضاء حاجات بيت المال (١) استمر ابن الحبحاب واليا على المغرب نحو خمس سنوات ، نعم المغرب في معظمهما بالهدوء والسكينة ، مما نتج عنه تدافع المغرب إلى طريق البناء والتشيد (٢) ولكن حدث تحول في سياسة ابن الحبحاب حينما عزم حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على المقام بصقلية ، إلا أن ابن الحبحاب استدعاه بسبب سوء العلاقة بين العرب والبربر (٣) هذا السبب الذي ذكره ابن الأثير ، لا أعتقد أنه

(١) د/ سعد زغول : تاريخ المغرب العربي ، ج١ ، ص ٢٧٩.

(٢) ديبوز : تاريخ الغرب الكبير ، ج٢ ، ص ٢١٩ . أمثلة البناء والتشيد : بعد أن استقر عبيد الله بن الحبحاب في المغرب حتى شرع في تجديد جامع الزيتونة ، ليكون مسجدا جامعاً يسع للأعداد الكبيرة التي دخلت في الإسلام ، وكان حسان بن النعمان قد أسس هذا المسجد التي إتسم بالبساطة ، والصغير ، فوسعه عبيد الله ، وجمله ، وأعلى بنائه [ديبوز : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢١٨]

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٢٢٢ . سبب سوء العلاقة بين العرب والبربر

١- بعض عماله الذين استعملهم على بعض المناطق في ولايته منهم عمر بن عبدالله المرادى على طنجة والمغرب الأقصى وابن اسماعيل بن عبيد الله على السوس وما وراءه.

٢- كثرة وفود الخوارج إلى بلاد المغرب ، وتسلمهم بين البربر مستغلين الخصومات بين اليمينة والقيسية ، هذا إلى جانب أنهم فتحوا صدورهم واحتضنهم ، وكان البربر وخاصة البتر منهم يتوقعون من العرب أن يعاملوهم معاملة الأنداد. [د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١] لهذا الموضوع تفصيل أكثر في الفصل السادس بمعنى أن البربر هم أصل المجتمع الذي وفد عليه العرب ، فيعتبر العرب هنا أقلية ، وللأقلية في أي مجتمع تكون العين أو الأضواء ما سلطة عليها ، وخاصة إذا كان هؤلاء العرب هم أصحاب الدين الجديد ، وأصحاب الفتوحات ، فنجد أن وفد المغاربة الذين ذهبوا العرض شكواهم على الخليفة هشام كانت إحدى شكواهم عدم مساواة الجندي العربي ، والجندي المغربي في الغنيمة ، بمعنى امتياز العرب على المغاربة ، مما يتضمن عدم تطبيق مبدأ المساواة والإخاء بين المسلمين ، مما يعتبره البعض خروجاً على مبادئ الإسلام [د/ سعد زغول : تاريخ المغرب العربي ، ج١ ، ص ٢٨٤] من ناحية أخرى نجد عدداً من الإتهامات الموجهة إلى ابن الحبحاب وإلى عماله أيضاً ، فنجد ابن عذارى يذكر في البيان المغرب ، ج١ ، ص ٥١ "أن الخلفاء بالمشرق كانوا يستحبون طرائف المغرب ، ويطلبون من عمال إفريقية ، فيبعثون لهم بالبربريات ، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير ، وتكلف لهم أوكلفوه أكثر مما كان ، فاضطر إلى التعسف ، وسوء السيرة ، أما ابن خلدون فيذكر في العبر ، ج٦ ، ص ١١٩" أن الخلفاء كانوا يطالبون الولاة بالوصائف البربريات ، والأردية العسلية الألوان، وأنواع من طرف المغرب ، فكانوا يتغالون في جمع ذلك بالإضافة إلى طلب هشام من ولاته إرسال جلود الخرفان العسلية التي لم تولد ، فكان الوالى تحقيقاً لرغبة الخليفة يأمر بقر النعاج الحوامل لإستخراج أجنتها بحثاً عن هذه الجلود العسلية ، حتى كانت تذبح مائة شاة ، فربما لم يوجد فيها جلد واحد [مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٥] هذه إتهامات ثلاثة موجة لابن الحبحاب:

أولاً : ذكر ابن عذارى أنه لما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب ، مناهم بالكثير ، هذا القول يدل على أنه كان في بداية توليه ابن الحبحاب ولايه المغرب ، والمنصب الجديد له مباهجه؟

سبب تحول سياسة ابن الحبحاب ، وإنما هو نتيجة لما حدث من تعصب بين العرب والبربر ، وبين العرب وبعضهم ومن الحقائق ، الثابتة أن العصبية العربية قد نمت في العصر الأموي وشهدت تطور كبيرا ، ونال المغرب جزء منها ، فكان ابن الحبحاب متعصبا لقيسيته ، ولم يأمن جانب اليمينة من هنا وجدت العصبية بين العرب وبعضهم البعض ، في مجتمع به أكثرية من البربر .

على الجانب الآخر ، بدأت وفود الخوارج تبحث عن مكان آمن يكون بعيدا عن مقر الخلافة ، بسبب ما لاقوه من اضطهاد ويطش في المشرق ، خاصة في العراق على يد الحجاج بن يوسف الثقفي ، فبدأوا هجرتهم إلى أطراف الدولة البعيدة شرقا ، وغربا ، وخاصة عمان ، واليمن ، والمغرب (١)

انتشر الخوارج بين البربر ، يبثون أفكارهم ، وتعاليمهم ، مستغلين الخصومات القائمة بين اليمينية والقيسية ، وبين العرب والبربر ، وانشغال الولاة بهذه المنازعات ، وجمع الغنائم ، وقد وجدت آراء الخوارج التي نشروها بين البربر باسم الإصلاح ، والدعوة إلى العمل بالكتاب ، والسنة صدى واسعا ، فقد استهوى هذا المذهب عددا من البربر قاموا بمعارضة

ثم يستطرد فيقول " فاضطر " هذا اللفظ يدل على الإستثناء ولا يكون القياس على الإستثناء .
ثانيا : قول ابن خلدون " أن الخلفاء كانوا يطالبون الولاة... الخ " لا أعتقد أن كل ولاية بنى أمية كانوا هكذا ، وإلا ما معنى قول الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير عندما علم بعظم سبى مدينة سجوما ، وقد دهش من كثرة السبى الذي بلغ مائة ألف " ويحك أظنها إحدى كذباتك فإن كنت صادقا فلهذا حشر الأمم [البكري : المغرب ، ص ١١٧ ، ١١٨] وأيضا الوصية التي قالها سليمان بن عبد الملك عندما ولي ، محمد بن يزيد القرشي ، فأوصاه بتقوى الله وحده الذي لا شريك له ، والقيام فيما ولاة بالحق [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٧]

ثالثا : بقر النعاج الحوامل بحثا عن جلودها ، هذا قول ينفر من صاحب العقل السليم ، لأنه بكل بساطه يسبب هلاكاً للثروة الحيوانية التي يعتمد عليها البربر في حياتهم اليومية ، لأنهم في الأصل أهل بدو ، بجانب ما يتركه هذا العمل من آثار سيئة على صاحب هذه الحيوانات بالإضافة إلى أن هذا العمل لا يقرة الإسلام ، ولا الشريعة الإسلامية ، وأخيرا ينبغي ألا ننسى أن هذه المشاكل عندما تارت كان العصر الذهبي للدولة الأموية قد ولي ، وأصبحنا أمام خلفاء مؤهلاتهم غير كافية للحكم ، ولا نجد فيهم من له كفاية إلا هشام بن عبد الملك وقد بذل ما يستطيع لإصلاح الناحية المالية [د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٢] فليس من المعقول أن يدمر هشام بن عبد الملك الثروة الحيوانية ، وهي إحدى الموارد المالية للدولة ، ومن تاحية يحاول اصلاحها [أى يدمر ويصلح في وقت واحد؟]

(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٨٥ . د / حسين مؤنس :

الأمويين ، بل وبالثورة على القوات العربية في المغرب (١) ومن الجدير بالذكر أن سبب عزل عبيدالله بن الحجاب كان نتيجة فشل سياسته في المغرب ، وعدم المحافظة على عليه كوحدة متماسكة ، لأن هشام بن عبد الملك كان عازما على أن تكون بلاد المغرب والأندلس ، دار هجرة للأمويين ، لتستمر فيهما دولته ، إذا انتزع العباسيون الشرق منه ، لذلك حلف أن يجعل كل حصه بربرى خيمة قيسى أو يمنى ، ليكثر العنصر الأموى في المغرب ، ويقوى أنصاره ، ويستلزم ذلك أن يقضى على الثورة القائمة في المغرب ، فعزل ابن الحجاب عن المغرب ، وولى مكانه ، كلثوم ، وأرسل معه جيشا جرارا للقضاء على ثورة البربر بالمغرب الأقصى (٢)

ولاية كلثوم بن عياض القشيري.*

اختار هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض القشيري لولاية إفريقية والمغرب (٣) لينقذها ويحميها من ثورات البربر ، لكيلا تضيع من تحت أيدي الخلافة الأموية . فقد كون هشام جيشا كبيرا من أهل الشام ، بلغ سبعة وعشرين ألفا ، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف من مصر ، وجعل له نائبين يرجع الأمر لهم من بعدهما : ابن أخيه بلج بن بشر القشيري ، وثعلبة بن سلامة العاملي (٤) أعطى هشام إلى كلثوم مطلق السلطات في البلاد التي يمر بها ، وأرسل إلى عماله في مصر ، والمغرب بالطاعة ، وتقديم المساعدة اللازمة

(١) د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ ، دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ . السيد أحمد ابراهيم حمور : بين الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ص ٣٦٥ ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة الأزهر تحت رقم ١١٩٨ / ٩٢٢١ .

* كلثوم بن عياض القرشي ويسمى أيضا كلثوم بن عياض القيسى ، تولى قيادة إفريقية والمغرب في جمادى الثانية سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م ، ليفقدها من ثورة البربر ويحافظ على تبعيتها للإدارة الأموية ، قتل وهو يقوم بهذه المهمة في موقعة بقدرورة في نفس السنة [ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢١٨ . الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١١ ، د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٨]

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٤ ، ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٨ ، زامباور : معجم الأنساب ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٠ ، وقد أخرج هشام مع كلثوم رجلين لهما معرفة بالمغرب هما : هارون القرني والد عبدالرحمن الداخل ، ومولى معاوية بن هشام ، ومغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك ، وصاحب موسى بن نصير [د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٩٣]

له (١) إزداد جنود كلثوم على طول الطريق المؤدى إلى المغرب ، حيث انضم إليه جنود من برقة ، وطرابلس ، حتى بلغ عدد جنوده حوالى سبعين ألفا ، ووصل إفريقية فى رمضان ١٢٣ / ٧٤١ (٢) نزل كلثوم بجيشه الكبير بالقرب من القيروان ، فشكا أهل القيروان ما أصابهم من جيش كلثوم ، إلى حبيب بن أبى عبيدة (٣) لكن كلثوم تدارك الموقف واعتذر إلى حبيب ، ثم واصل الجيش زحفه حتى وادى سبو بجنوب طنجة فى موضع يعرف بقدورة (٤) وأسفرت المعركة عن نهاية حزينة لم تكن محتملة ، فقد هزم كلثوم ، وقتل حبيب ، وسليمان بن أبى المهاجر ، وعدد من وحوده العرب وفرسانهم (٥) أما كلثوم وبلج فقد نجيا ، واتجها إلى سبتة ، فمات كلثوم بها متأثر بجراحة واستطاع بلج أن يخرج إلى الأندلس بعد محاصرة الثوار لسبتة (٦) لكن صاحب أخبار مجموعة (٧) يذكر لنا ثبات كلثوم بن عياض فى المعركة ، وأنه جلس على منصته ، ترفرف عليه راية القيادة ، وطلب من أصحابه أن يدافعوا عنه إذا

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٥٤ . مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣١ .

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٣) سبب شكوى أهل القيروان من كلثوم ، أن ابن أخيه بلج طلب إلى أهل إفريقية الأيغلقوا أبوابهم حتى يعرف أهل الشام منازلهم ، ليس هذا فقط بل استخف بلج بن بشر بحبيب بن أبى عبيدة ، وأهانته ، وأعلن أن أهل الشام قد عزموا على المقام بإفريقية وإتخاذها دارا فحز هذا فى نفس الأفارقة ، وأخافهم على ما كان لهم من المكانة فى البلاد ، وقد جرت بينهما منازعة ثم اصطلحوا على قتال البربر [ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤١ ، ٥٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ . د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧٥] هذا الطلب من بلج إلى أهل إفريقية أحسوا فيه إساءة إليهم ، لما فيه من تعرض هذه المنازل إلى كشف المستور بها وتعرضها للسرقة وعدم الإطمئنان عليها .

على الجانب الآخر كان حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع أكبر قائد للأمميين فى المغرب ينتظر المدد من الخليفة هشام بن عبدالمك ليناىل خالد بن حميد الزناني فى المغرب الأقصى حتى يستطيع أن يوقف زحفه إذا حاول المسير إلى القيروان عاصمة البلاد ، فساءه ما حدث بأهله وذويه من جند كلثوم ، فأرسل يحتج عليه ، وقال لنن تنته لنصرفن أعنه الخيل اليك [ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ . دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٦٧]

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٥ . د/ عبدالمعنى ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٥) مجهول : مصدر سابق ، ص ٣٢ ، دبور : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٦) دبور : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٧) مجهول : مصدر سابق ، ص ٣٤ .

نالته سيوف الخوارج ، وقتل وهو يتلوا الآيات " إن الله يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم " و " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا " (١)

أما عن سبب هزيمة جيش كلثوم على الرغم من كثرة قواته ، فالذى يبدو أن أهل الشام أتوا فى جيش كلثوم وهم يزهون بعددهم ، ولم يكن أهل إفريقية ليرضوا من أهل الشام ، بهذه المعاملة بعد جهادهم فى الفتوح ، ونشر الإسلام ، فكان هذا بداية التصدع فى الجيش وخاصة أن الجيش يضم عددا كبيرا مختلف الأجناس من الشام ومصر ، والمغرب ، وبرقة ، وطرابلس (٢)

وصلت أنباء الهزيمة إلى دمشق فحزن لها الخليفة هشام بن عبد الملك ، ورأى ضرورة اتخاذ موقف صارم تجاه الثوار لتدارك الظروف الصعبة التى تمر بها البلاد ، والإضاعت المغرب والأندلس (٣)

من ناحيه أخرى ظهر قائدان من البربر فى منطقة الزاب الأول هو عكاشة بن أيوب الفزارى الصفرى ، الثانى عبدالواحد بن يزيد الهوارى فقد هزم عكاشه على يد عبدالرحمن بن عقبة ، وأهل القيروان ، فتفرق أنصار عكاشة ، الذى انضم إليه عبدالواحد ، واتحدا سويا فلم يستطع عبدالرحمن بن عقبة الوقوف فى وجههما فانهزم ، وقتل ، ثم أخذ عكاشة ، وعبدالواحد فى الإستعداد للإستيلاء على القيروان (٤)

(١) سورة آل عمران آية ١٤٥ ، التوبة آية ١١١ .

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٣) فقد حلف هشام وقال " لنن بقى ليخرجن إليهم مائة ألف كلهم يأخذ العطاء ، ثم ليخرجن مائة الف ، ثم ليخرجن حتى إذا لم يبق غير نفسه وغير بنيه [مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٦] النص من مصدر آخر " والله لنن بقيت لا خرجن إليهم مائة الف كلهم يأخذ العطاء ، ثم لا يخرجن مائة ألف ثم لأخرجن حتى إذا لم يبق غير نفسى وغير بنى " [ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس . دوزى : تاريخ أسبانيا ، ص ١٥٠]

(٤) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص ٢٢٢

ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي ١٢٤-١٢٧هـ / ٧٤٢-٧٤٤م

تولى حنظلة بن صفوان ولاية المغرب بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك
سنه ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (١)

وقد أمده بجيش كبير من العرب لكي يسيطر على مقاليد الأمور
المضطربة في بلاد المغرب من جانب قبائل البربر ، وصل حنظلة إلى
القيروان ، ولم يمكث بها كثيرا ، فسار حتى يوقف زحف الثوار تجاه
القيروان ، بقيادة عكاشة ، وعبد الواحد عن طريقين : الأول سلكه عكاشة
الذي عسكر في القرن (٢) بالقرب من القيروان ، والثاني سلكه عبد الواحد
إلى طريق الجبال في ناحية قسنطينة ، ليحتل شمال إفريقية ، ومدينة تونس ،
فيزحف هو وعكاشة من الجنوب على القيروان ، فيجتمعان على حنظلة
فيتغلبان عليه (٣) رأى حنظلة أن يلتقى بكل واحد منهما على حده ، قبل أن
يتحدا عليه ، وحتى يستطيع أن يهزمها ، فبدأ حنظلة بأقرب وأخطر عدويه ،
وهو عبد الواحد بن يزيد الهواري ، فأخذه على غره بمنطقة الأصنام (٤) وهزم
البربر ، وانتصر العرب ، وقتل عبد الواحد ، وانهمز جمعه (٥)

على الجانب الآخر أخذ حنظلة يسرع في لقاء عكاشة الذي لم يعرف
بهزيمة عبد الواحد ، واشتبك معه في القرن ، واشتد القتال حتى هزم عكاشه
في أوائل سنه ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (٦) وأخيرا ، وبعد سلسلة من الهزائم

(١) حنظلة بن صفوان الكلبي : كان عامل هشام على مصر ، سنه ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، فأقام
على إفريقية ، سنه ١٢٤ هـ / ٧٤٢م استطاع قمع ثورة البربر في ذلك الوقت ، تنازل حنظلة
لعبد الرحمن بن حبيب ولاية إفريقية ، ورحل إلى الشام ، وتوفي بها ، سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧م
[النويري: نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ص ٦٢ . ابن الأثير الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٧١ ، الزاوي :

تاريخ الفتح ، ص ١١٢ . أحمد عطيه الله : القاموس الاسلامي ج ٤ ، ص ١٧٠]

(٢) منطقة القرن : تقع بالقرب من مدينة القيروان [دبوز: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ،
ص ٢٨٦]

(٣) دبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٤.

(٤) منطقة الأصنام : تقع على بعد ٤٠ كم غرب القيروان على مقربة من طنجة [د/ حسين
مونس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٥ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ،
ج ٢ ، ص ٣١٤]

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٢ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ،
ص ٥٨ الذي يقدم القرن على الأصنام .

(٦) ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٢٢٣ . د/ حسين مونس : مرجع سابق ، ص ٦٥.

المتتالية تم النصر للعرب ، فكان لهذا النصر مغزى كبيرا ، حتى إن الإمام الليث (١) علق على هذا النصر بقوله "مامن غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد بدر أحب إلى من غزوة القرن ، والأصنام" (٢)

في هذه الظروف الطيبة ، وبهجة النصر ، مات الخليفة هشام في آخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م ، وبذلك ينتهي عهد آخر عظماء بنى أمية الذى بذل كل ما يستطيع فى سبيل المحافظة على وحدة الدولة الأموية.

خلف هشام الوليد بن يزيد فأقر حنظلة على ولاية إفريقية(٣)

ولاية عبد الرحمن بن حبيب الفهرى*

كان حنظلة بن صفوان ، معتدلا فى سياسته لذلك ساد إفريقية الأمن والهدوء وخاصة بعد انتصاره على البربر فى القرن والأصنام ، لكن هذه الفترة لم تستمر طويلا ، فبعد موت هشام فى سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م (٤) بدأت الأمور فى الدولة الأموية تتدهور ، حيث أنشغل الأمويون بنشاط الدعوة

(١) الليث بن سعد : هو ليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الأصبهاني الأصل ، مولى خالد بن ثابت الفهمي أحد معاصري الإمام مالك بن أنس ١٧٩هـ/٧٩٥م ، وأبى حنيفة النعمان ١٥٠هـ/٧٦٧م) قال ابن وهب (١٩٧هـ/٨١٣م) فيه وفى مالك ، وكان تلميذا لهما ، لولا مالك بن أنس ، والليث لضل الناس ، وقال فيه الشافعي "٢٠٤هـ/٨١٩م" الليث بن سعد أفقه من مالك إلا ان أصحابه لم يقوموا به ، أى لم ينشروا علمه وفقه [الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ومدينة السلام ، ج ١٣ ص ١٤١٣، سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م القاهرة . ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٢٤، ٦٢٥ . دار الطباعة الأميرية. ١٢٧٥هـ ، القاهرة.

أبو العرب: طبقات علماء إفريقية ص ٥٨]

(٢) ابن الأثير الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ . ابن عذارى البيان: المغرب ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ابن خلدون العبر ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن عذارى مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٩ .

* عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى القرشى ، كان فى جيش بلج بن بشر فى سبته وعبر معه إلى الأندلس ، ولكنه عاد مطرودا ، متسترا من أبى الخطار الحسام ابن ضرار الكلبي والى الأندلس ، فاتجه إلى المغرب ، واستقر بتونس فى ، سنة ٢٥هـ/٧٤٣م وأخذ يحارب حنظلة بن صفوان ، لكى يخرجها ، فتنازل له عن طيب خاطر ، ورحل هو إلى الشام ، وكان ذلك فى ، سنة ٢٧هـ/٧٤٥م ، فدخل عبد الرحمن القيروان واستقل بها ، وكتب إلى مروان بن محمد بولايته [ابن عبد الحكم :فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣ . ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ . ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ص ٦٠ . زامباور: معجم الأنساب ، ج ١ ، ص ٩٩ . د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٢١ . الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١١٤]

(٤) د / السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

العباسية مما أثر كثيرا على مختلف الولايات التابعة لهم ، وخاصة بلاد المغرب التي أصبحت علاقتها بدمشق شبه مقطوعة ، مما أعطى الفرصة للخارجين على الدولة ، والمغامرين أن يثوروا في الولايات ، ويطرودوا ولاية الخليفة.

يعتبر عبد الرحمن بن حبيب من الخارجين على الدولة الأموية ، فقد وصلت الأخبار لحنظلة ، أن عبد الرحمن قد نزل تونس ، وبدأ يدعو لنفسه فأجابه الناس (١) وبقي بها إلى أن اضطربت أمور الخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد ، بالإضافة إلى خروج بعض أهل الشام بإفريقية إلى المشرق(٢)

ففكر حنظلة في الخروج إلى عبد الرحمن لقتاله ، وطرده من تونس لكنه كره قتال المسلمين مما يدل على أن حنظلة صاحب ورع ودين(٣) وأتبع حنظلة طريقة أخرى لإثناء عبد الرحمن عما دعا إليه ، فأرسل إليه وفدا مكونا من خمسين رجلا من وجوه إفريقية ليراجعوه ، ويطلبوا منه الدخول في الطاعة ، ولكن عبد الرحمن انتهاز الفرصة عند وصول الوفد ، وألقى القبض عليهم ، وأساء معاملتهم ووضعهم في الحديد ، ثم أقبل بهم إلى القيروان(٤)

طلب عبد الرحمن من حنظلة أن ينزل القيروان ، هو ومن معه ويخليها في مدة ثلاثة أيام ، وإلا سيدخلها ، ويقتل أعضاء الوفد(٥) المحتجزين عنده ، فلما علم حنظله بهذا التهديد ، جمع الشهود ، وأهل الدين

(١) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ . ابن عذارى : البيان: المغرب ، ج ١ ، ص ٦٠ .
الباجي: الخلاصة النقية ، ص ١٥ .

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن عذارى مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٤) ابن عبد الحكم : مصدر سابق، ص ٢٢٣ . ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٥) قصة الوفد: الوفد الذي أرسله حنظلة من القيروان إلى عبد الرحمن لكي يكون رسول سلام بينهما ، وقع في يد عبد الرحمن ، وقبض على الوفد ، واستخدمه كورقه رابحة له في المفاوضات بينهما ، ضغط عبد الرحمن على حنظلة بهذا الوفد ، واستطاع أن يضع حنظلة في خيار صعب ، أما أن يسلم المدينة في خلال ثلاثة أيام دون أعمال عنف ، أو شغب ، وإلا سيقتل جميع أعضاء الوفد الخمسين ، وقد نجح عبد الرحمن في مسعاة ، ودخل القيروان عام ١٢٧هـ / ٧٢٤م [ابن عبد الحكم: مصدر سابق ، ص ٢٢٣ ، ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ ، ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٠]

والفضل ، وتم فتح بيت المال بوجودهم ، وأخذ منه بقدر مايكفيه ، وترك الباقي ثم رحل عن إفريقية ، في جماد الأولى سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م.

دخل عبد الرحمن بن حبيب - في نفس السنة - القيروان بعد خروج حنظلة (١) ونجح في التغلب على إفريقية ، وساد الأمن والهدوء ، فظن البربر بذلك أن أمر العرب إنتهى ، فقد رأى البربر في الطريقة التي استولى بها عبد الرحمن بن حبيب على إفريقية مثلاً يحتذى ، فأصبح في كل ناحية زعيم من البربر يعلن نفسه أميراً على المنطقة الموجود بها فإن دل هذا على شئ فإنه يدل على إنعدام السلطة المركزية التي تهيمن على البلاد ، حدث هذا على الرغم من أنه لم يمض على ولاية عبد الرحمن بن حبيب سوى أيام قليلة والتي بدأت عام ١٢٧هـ/٧٤٥م (٢) فأدى هذا إلى وجود حالة من عدم الأمن نتيجة الفوضى والإضطراب في أواخر الدولة الأموية ، واستمر عبد الرحمن في ولايته حتى انتهت الدولة الأموية عام ١٣٢هـ/٧٥١م وعندما تأكد من انتصار العباسيين بادر بالاعتراف بهم (٣) فأبقوه واليا على المغرب.

الفصل الثالث الحالة الاقتصادية لدى البربر في العصر الأموي

- الزراعة .
- موارد المياه .
- التربة .
- الرعي .
- الصيد .
- الصناعة .
- التجارة .
- الأسوانه .
- دارسك العملة .
- أماكن الأسوانه .

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية لدى البربر في العصر الأموي

مما لا شك فيه أن الحالة الاقتصادية هي عصب الحياة لدى الشعوب ، وتعتبر سببا مهما من أسباب تطور الأمم ، والشعوب ، أو تخلفها ، ويرجع ذلك إلى حجم الثروات الموجودة في أراضي هذه الشعوب ، ومدى استغلالها على الوجه الأمثل ، مما يعطى هذه الشعوب قوة اقتصادية حتى تستطيع من خلالها أن ترقى بشعبها ، وتوفر له الأمن ، والأمان .

وتتكون الحياة الاقتصادية من زراعة ، ورعى ، وصناعة ، وتجارة ، وتعتبر هذه العمدة الأساسية للحياة الاقتصادية لدى البربر ...

أولا الزراعة: يمكن أن نقسم أراضي البربر إلى قسمين :

القسم الأول : يتبع بربر البرانس ، وهو الجزء الشمالي الساحلى الموجود على بحر الروم من برقة إلى طنجة ، حيث توجد فيه زراعات مختلفة ، وخاصة فى المغرب الأقصى ، وكان معظم هؤلاء البربر يعيشون عيشة استقرار ، سواء فى الجبال ، أو فى السهول الخصبة ، وخاصة فى جبال أطلس (١) ذات المياه الوفيرة ، فغلبت عليهم حرفة الزراعة ، حيث تتمتع هذه المنطقة بمؤثرات البحر المتوسط (٢) فمطرها شتوى يوافق نمو الحبوب ،

(١) جبال أطلس : تمتد داخل بلاد المغرب من تونس إلى المحيط الأطلنطى ، وتنقسم هذه الجبال إلى ثلاثة أقسام أولهما : الأطلس البحرية ، وهى مجموعة سلاسل تحاذى الساحل ، ترتفع هذه السلسلة من الساحل ارتفاعا كبيرا . ثانيا : الأطلس الصحراوية وتمتد فى بلاد الجزائر الحالية ، وتتحدر بشدة نحو الصحراء ، وبين الأطلس البحرية ، والصحراوية تقع هضبة الشطوط التى تعلو عن سطح البحر بنحو ٩٠٠ متر ، وهى قليلة الأمطار . ثالثا : الأطلس الكبرى وتمتد فى المغرب الأقصى [محمد أحمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية، ص ٥٢ : ٥٣ . دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ١٠]

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٢ : ١٠٣ . أى الأثر الذى يحدثه البحر فى المنطقة اليابسة المجاورة له على مدى عام كامل ، والذى يعرف "بالمناخ" ومناخ منطقة البحر المتوسط فى الشتاء يكون فيه الجو دافئا ، وفى الصيف يكون فيه الجو حار ، وجافا ، من جهة أخرى توجد بعض المناطق التى تميل إلى البرودة بحيث يتساقط عليها الثلج بها مثل قمم الجبال فى أطلس [حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٨٢ . د/ كوثر عبد الرسول وآخر: إفريقية ، ص ٣١٧]

والفضل ، وتم فتح بيت المال بوجودهم ، وأخذ منه بقدر ما يكفيه ، وترك الباقي ثم رحل عن إفريقية ، في جماد الأولى سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م.

دخل عبد الرحمن بن حبيب - في نفس السنة - القيروان بعد خروج حنظلة (١) ونجح في التغلب على إفريقية ، وساد الأمن والهدوء ، فظن البربر بذلك أن أمر العرب إنتهى ، فقد رأى البربر في الطريقة التي استولى بها عبد الرحمن بن حبيب على إفريقية مثلاً يحتذى ، فأصبح في كل ناحية زعيم من البربر يعلن نفسه أميراً على المنطقة الموجود بها فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على إنعدام السلطة المركزية التي تهيمن على البلاد ، حدث هذا على الرغم من أنه لم يمض على ولاية عبد الرحمن بن حبيب سوى أيام قليلة والتي بدأت عام ١٢٧هـ/٧٤٥م (٢) فأدى هذا إلى وجود حالة من عدم الأمن نتيجة الفوضى والإضطراب في أواخر الدولة الأموية ، واستمر عبد الرحمن في ولايته حتى انتهت الدولة الأموية عام ١٣٢هـ/٧٥١م وعندما تأكد من انتصار العباسيين بادر بالاعتراف بهم (٣) فأبقوه واليا على المغرب.

والغلال حيث الإرتفاع يجعلها معتدلة الحرارة ، ويوجد الثلج على قمم بعض الجبال طوال العام (١)

وتوجد الزراعة فى معظم بلاد البربر فى المنطقة الممتدة من برقة إلى طنجة على الساحل الشمالى ، وبخاصة المغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، أما المغرب الأدنى فلا يوجد به مياه للزراعة ، بحيث إذا فارقت طرابلس لا توجد أنهار إلى حدود مصر (٢)

القسم الثانى: يتبع البربر البتر ، ومعظم قبائلهم فى الجزء الصحراوى الذى يضم وسط ، وجنوب بلاد البربر ، ويبدأ من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى ، ويعتمد هؤلاء البربر فى حياتهم على التنقل بين الهضاب ، والمناطق الجبلية ، حيث تسود حرفة الرعى ، لأن معظم أراضيهم جافة حيث التأثير الصحراوى (٣)

وللزراعة أسس يجب توفرها لإستمرار وجودها على مدار العام ، **الشرط الأول:** موارد المياه سواء كانت أمطارا ، أو أنهارا ، أو عيونا ، أو آبارا ، **الشرط الثانى:** تربة جيدة صالحة لنمو النبات ، **الشرط الثالث:** جو مناسب يساعد على نمو النبات ، وعلى وجود محاصيل جيدة ، وتعتمد الزراعة فى المغرب على ثلاث موارد رئيسية :

المورد الأول: مياه الأمطار ، **المورد الثانى:** مياه الأنهار ، **المورد الثالث:** الآبار والعيون.

أولا: مياه الأمطار: تهب على المغرب ، وخاصة الأقصى ، رياح محملة بالأمطار من جهات مختلفة كالتالى : أولا من ناحية الغرب تهب رياح تعبر المحيط الأطلنطى محملة بالأمطار فى فصل الشتاء ثانيا : من الشمال الغربى تهب رياح شمالية ، تعبر البحر المتوسط تحدث نفس الأثر. ثالثا : من ناحية الشرق ، تهب رياح شرقية تكون حارة فى الصيف ، باردة فى الشتاء ، ولا

(١) محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص ٥٤ .
 (٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٦٩ .
 (٣) د/ يسرى الجوهري : جغرافيا العالم العربى ، ص ٢٥٥ .

تحمل أمطار إلا بنسبة قليلة ، رابعا : من ناحية الجنوب ، تهب رياح حارة محملة بالأتربة ، ويكثر مفعولها فى المناطق الجبلية ، وهناك أودية صغيرة لا يكثر فيها الماء إلا فى فصل الشتاء عند هطول الأمطار ، وخاصة فى المغرب الأوسط (١) وبصفة عامة تبدأ الأمطار فى معظم بلاد البربر بعد منتصف شهر أكتوبر ، وقد ساعد امتداد جبال أطلس من الجنوب إلى الشمال الشرقى على غزارة الأمطار فى تلك البلاد ، وخاصة مناطق الريف ، وغمارة مما يجعلها غنية بأنواع الزراعات (٢)

ثانيا الأهار : تنقسم الأنهار فى المغرب إلى ثلاثة أقسام :
القسم الأول : يصب فى المحيط الأطلنطى **القسم الثانى :** يصب فى البحر المتوسط ، **القسم الثالث :** الأنهار التى تتبع من السلسلة الأطلسية ، وتصب فى جوف الصحراء .

القسم الأول : أهم أنهاره نهر الملوية ، وهو صالح للملاحة حينما تقترب من مصبه ، وتكثر مياهه فى فصل الربيع .

القسم الثانى : مجموعة أنهار تتبع من الأطلس المتوسط ، وأهم أنهاره نهر سبو الذى يمر بمدينة فاس .

القسم الثالث : أهم أنهاره نهر مجردة الذى يصب بالقرب من مدينة تونس . (٣)
 إنظر الشكل رقم (٩) .

أما عن تكوين هذه الأنهار ، فقد أدى سقوط الأمطار الغزيرة فى فصل الشتاء ، وتكوين الثلج على قمم الجبال ، وبقائها فى فصل الشتاء إلى تكوين هذه الأنهار ، حيث يذوب الثلج فى فصل الصيف ، ويجرى الماء فى روافد

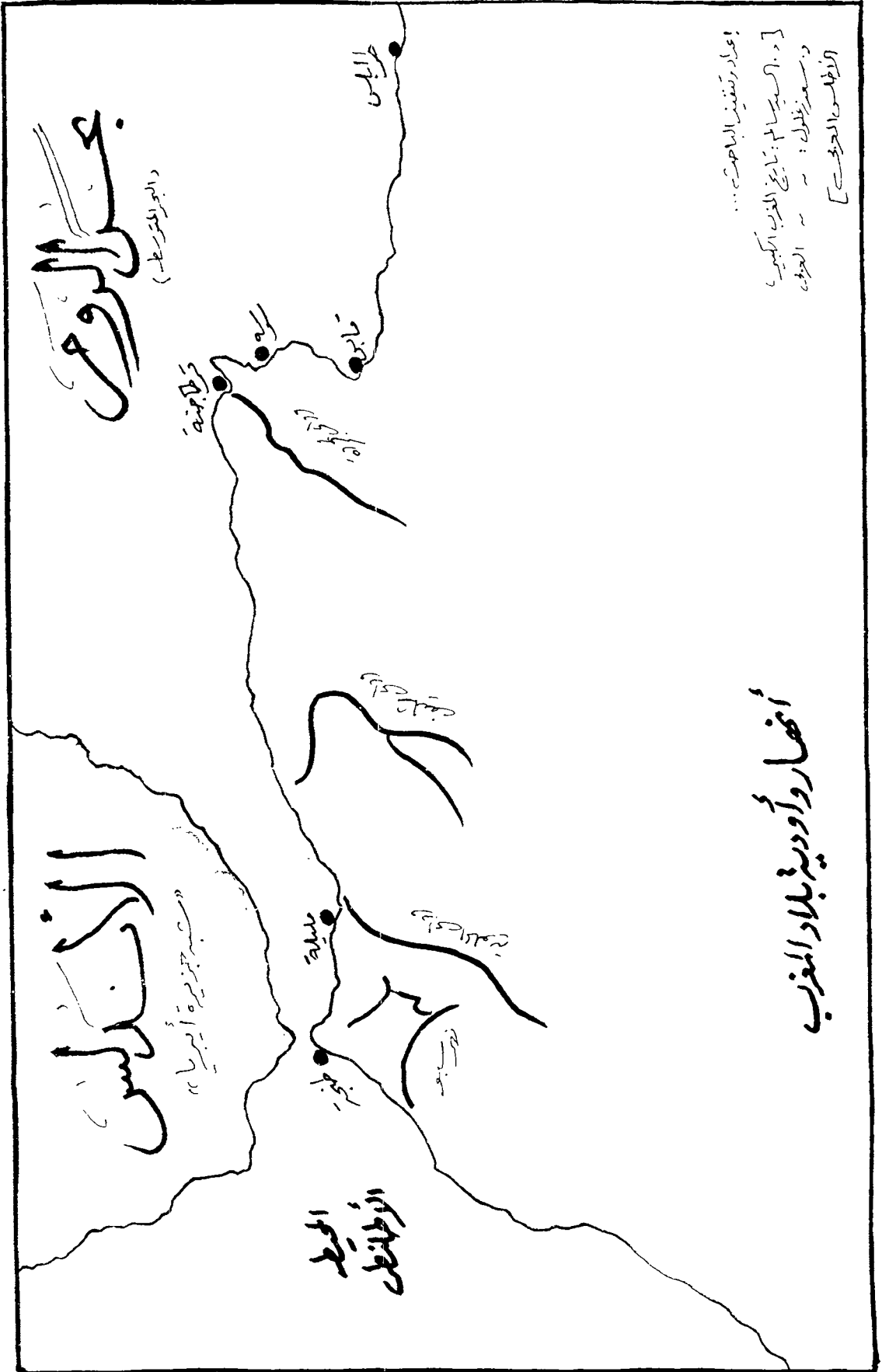
(١) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٦٩ .

- محمد بن تاويت وآخر : الأدب المغربى ، ص ١١ ، سنة ١٩٦٠م ، بيروت .

(٢) د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣) نهر مجردة : " مجردة" أول أنهار بلاد إفريقية ، وينتهى إلى البحر الرومى [المراكشى : المعجب ، ص ٢٦٤ تحقيق محمد سعيد وآخرون ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٩م ، القاهرة .

محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ١٢ ، مطبوعات جامعة الدول العربية ، سنة ١٩٦١م]



إعداد وتنفيذ الباحثة...
 [د. كريمة سالم: تاريخ المغرب الكبير،
 د. سعيدة بوزك: المغرب،
 الأطلس العوسج]

أنصار و أوديسيا بلاد المغرب

صغيرة ، تلتقى هذه الروافد بعضها مع بعض فيؤدى ذلك إلى تكوين الأنهار ، والأودية. (١)

وبهذا تعتبر جبال المغرب "أطلس" منابع شبه دائمة لمعظم الأنهار الموجودة بها ، وتظهر أهمية هذه الأنهار حينما نعلم أنه كلما اتجهنا إلى الداخل قلت الأمطار ، بل ندرت ، ويتضح هذا بوجه خاص فى منطقة السوس الأقصى التى تعتمد زراعتها على الأنهار التى تتبع من جبال أطلس مثل نهر درن (٢) الذى يفيض فى الشتاء ، كما ينبع من هذه الجبال نهر أغمات نتيجة لذوبان الثلج. (٣)

وقد حاول البربر استغلال مياه الأنهار وتوصيلها إلى السهول الزراعية بعدة وسائل منها : تفريع الأنهار إلى جداول ، ويظهر ذلك فى "وادي تساوين" الذى يقع بمقربه من جبل درن أحد جبال أطلس ، ويروى إقليم هكسورة الواقع بمنطقة جبال "أطلس الحالية" (٤) كما تتوعدت طرق الرى لدى البربر التى تعتمد فى الغالب على الروافد و السواقي (٥)

ثالثا: العيون : وتعتبر مصدرا طبيعيا لا دخل للإنسان فيه ، وهى تمد الأنهار بالمياه اللازمة بعد انتهاء فصل المطر ، وتستخدم أيضا للزراعة والشرب فى حالة عدم سقوط الأمطار، وجفاف الأنهار، وهناك عيون منتشرة فى مدن كثيرة منها "يجاجين" (٦) وبها عيون عذبة ، وتنتشر العيون بصفة عامة فى السوس الأقصى (٧)

(١) ابن الوردى : خريده العجائب وفريدة الغرائب ، ص ١١٢ ، ١١٣ ، مخطوطة بدار الكتب رقم ١٩٥٢١ ، جغرافيا .

(٢) ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ١٦ .

مجهول : تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والأندلس ، ص ٨ ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٩٧٣٢ ، ح .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣٥ . ابن الوردى : مصدر سابق ، ص ١٧ .

(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٥) التجانى : رحلته ، ص ١١٨ ، قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب ، سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م المطبعة الرسمية تونس .

(٦) يجاجين : وهى مدينة جليلة ، بمقربه من سيبة ، تقع على نهر ، بها جامع ، وأسواق ، وحمام ، وهى لمصمودة [الحميرى : مصدر سابق ، ص ٦١٧]

(٧) مجهول : تاريخ مدينة فاس ، ص ٨ .

البكرى : المغرب ، ص ١١٤ .

رابعاً: الآبار : وهى من عمل الإنسان ، ويكون وجودها نتيجة مياه جوفية ، وتتركز الآبار فى منطقة طنجة التى يوجد بها مياة جوفية كثيرة ، ويستخرج من سبته ماء عذب من آبارها (١)

وفى بلاد الجريد فى أقصى الجنوب تقل الأمطار حتى تكاد تنعدم لذلك تعتمد هذه المنطقة بصورة أساسية على الآبار والعيون (٢) ولضمان تدفق المياة بسهولة ، وبدون عوائق كان لابد للسكان من التعاون فى اصلاح وترميم السواقي إذا خربت ، وإذا حدث نقص فى المياة نتيجة عدم التطهير ، فيعمل السكان على تطهير الترغ ، والقنوات حتى يتاح للزراع سقى محاصيلهم المختلفة ، وهذا ما حدث فى تطهير وادى مصمودة ، وذلك بكنس مجراه وما يتعلق به ، وينتج عن عملية التطهير رفع منسوب المياة فى الآبار، وكانت تكنس إذا استويت أو خربت ، وكان التطهير يقوم به الزراع المستفيدون من هذه المياة (٣)

التربة : تعد التربة أحد عوامل قيام حرفة الزراعة ، فهى عنصر هام ، لذا نجد ارتباطاً قويا بين التربة الخصبة ، وكثافة السكان .

وللتربة فى المغرب أنواع أربعة : النوع الأول ... التربة السوداء ، وتعتبر هذه التربة أفضل الأنواع على الإطلاق ، وتوجد التربة السوداء فى السهول الساحلية الكبيرة مما جعلها من المناطق الرئيسية للزراعة فى بلاد البربر ، ومن هذه المناطق ، سهول السوس الأقصى ، وسهول الريف ، وسهول دكالة هذه السهول تنمو بها أنواع مختلفة من الحبوب مثل ، القمح ، وسائر البقول (٤)

النوع الثانى : التربة الرملية: وتعتبر أقل جودة من التربة السالفة ، لأنها تربة فقيرة تحتاج إلى كثير من العمارة ، وتحتاج أيضا إلى تقوية ، فيوضع بها زبل مخدوم ليقوم بتضييق مسام الأرض ، فتتحسن ، وتجد به زراعة

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٩ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

(٣) الونشريسي : المعيار المغرب ، ج ٥ ، ص ٢٠ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٢ ، تحقيق محمد حجي ، وآخرون ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، دار الغرب الإسلامية ، بيروت .

(٤) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩٢ .

انفراكه كالتين ، والرمان ، والمشمش (١) وهذه الأشجار تكثر في جبل درن ، ونوس الأقصى (٢) وتوجد هذه التربة بخاصة في التلول ، والزوايا ، انمرجودة بجبال الريف بدولة المغرب الآن (٣)

النوع الثالث : التربة الحمراء: وهي تربة يابسة ، تحتاج إلى مجهود كبير لخدمتها سواء كان حرثا ، أو ثقليا لجعلها صالحة للزراعة ، بالإضافة إلى حرارة الجو الشديدة التي تؤثر عليها سلبا ، ويزرع في هذه التربة كل ما يحتاج إليه من محاصيل ، وخاصة القمح ، والشعير (٤) ، وهذه التربة تتحمل الماء الكثير ، ونجد هذا واضحا في برقة حيث بها تربة حمراء شديدة الحمرة (٥)

النوع الرابع : التربة الجبلية: وهي تربة يابسة مائلة إلى الخشونة ليس لها مسام مفتوحة ، مما يجعلها تربة مقصورة على زراعات معينة ، يغلب عليها البرودة ، وتحتاج إلى تقوية مستمرة ، وماء كثير ، هذه التربة وجود فيها زراعة اللوز ، والبلوط ، والنخل ، والزيتون (٦)

وأيا كان نوع التربة ، فقد تميزت المناطق التي يسكنها بربر الشمال بصفة عامة بأنها سهول زراعية خصبة ، فنجد أن مدينة سبتة ذات بساتين وجنان (٧) وفي مدينة تطوان قرى ذات مزارع خصبة (٨) وتنتشر حقولها إلى مسافة كبيرة حيث توجد الأراضي المستوية (٩) بالإضافة إلى سهول دكالة

(١) رضى الدين الغزى : كتاب الفلاحة ، ص ١٠٨ ، مخطوطة بدار الكتب ، رقم ٢٤٢ ميكروفيلم ٤١٢٩ ، زراعة ، خليل أغا .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٢٩ : ٣٣٠ .

(٣) الغزى : مصدر سابق ، ص ١٩ . محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص ٥٢ .

(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(٥) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٤٣ ، ليدن ، سنة ١٨٩٥م. الغزى : مصدر سابق ، ص ١٩ .

(٦) اليعقوبى : مصدر سابق ، ص ٣٥٠ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٩ .

(٨) البكرى : المغرب ، ص ١٠٧ .

(٩) يوجد بعض العلامات لنوعية الأراضي :

النوع الأول : الأرض الخصبة الزكية الحرث اذا أصابتها أمطار ، يكثر نبتها فى الشجر ، ويكون ملتفا غليظا.

النوع الثانى : الأرض الوسط يكون ما ينبت فيها من الشجر رقيقا غير ملتف ، متوسط الغلظة.=

التي تمتعت بخصوبتها ، مما نتج عنه ، وجود ثمار ، وخيرات كثيرة ، هذا إلى جانب منطقة السوس الأقصى التي تعتبر أكبر الحقول الخصبة فى بلاد المغرب الأقصى حيث يبلغ طولها حوالى مائة وعشرون ميلا ، وعرضها خمسة وعشرون ميلا ، وتبلغ مساحتها سبعة آلاف ، وخمسمائة ميلا مربعا (١)

هذه المساحة الكبيرة نشأت عليها قرى متصلة ، وعمائر كثيرة ، بها البساتين ، والجنات ، كما انتشرت المزارع الكبيرة فى مدينة أغمات لذلك إمتازت بلادهم بزكاء منابتها ، وطيب أرضها فى السهل والجبل (٢)

طريقة الزراعة : تجهز الأرض قبل الزراعة ، فتعدل ، وتسوى بحيث يؤخذ التراب من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض حتى إذا جرى الماء عليه وصل إلى جميع أجزاء الأرض المراد ريها ، فإذا استوت الأرض يتم تقسيمها ، ثم تزرع بالمحاصيل المراد زراعتها ، وقبل إجراء عملية الزراعة لابد من تقوية الأرض ، ورفع درجة خصوبتها ، فكان الزراع يستخدمون مقوى الأرض "السماذ العضوى" سواء كان من البقر ، أو الغنم ، أو الخيل أو الحمير ، بالإضافة إلى الكناسات ، ورماد الحمامات ، وزبل الحمام (٣)

المحاصيل الزراعية : أولا القمح : وهو من المحاصيل الشتوية التي تزرع فى الساحل الشمالى للبحر المتوسط ، ووقت زراعته من سبتمبر إلى يناير ، وميعاد حصاده فى إبريل ، ومايو ، وتنتشر زراعته فى مناطق متعددة منها ، مدينة باجة التي سميت بباجة القمح (٤) لكثرة ما بها من قمح ، ويزرع أيضا فى تونس وطبرقة (٥) وبونة (٦) وتنتشر زراعته فى سهول السوس الأقصى،

=النوع الثالث : الأرض الرديئة نبتها قليل ، وشجرها عبارة عن حشائش رقيقة ضعيفة [الحكيم غسطوس : كتاب الفلاحة الرومية ، ج ٢ الباب الرابع؟ مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٣ زراعة ميكروفيلم ٤٢١٧٤]

- (١) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١٥ ، ص ٣٦٩ .
- (٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦ . اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٦٠ .
- (٣) الغزى : كتاب الفلاحة ، ص ٢١ ، ٢٢ .
- (٤) البكرى : المغرب ، ص ٥٦ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٠ .
- (٥) طبرقة : غير "طبرق" ، فطبرقة تقع بن درنة ، وباجة وبينها وبين بنزرت سبعون ميلا ، وهى على نهر كبير بقرب بحر الروم ، تدخله السفن ، بين طبرقة ، وباجة بحيرة عظيمة ، متصلة بالبحر ، وتصب فيه [الحميرى : مصدر سابق ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧]
- (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ .

بكثرة فى بلاد الجريد التى سميت بذلك لكثرة النخيل بها (١) ، كما اشتهرت مدينة توزى بأجود أنواع التمور الذى ينسب إليها ، ويسمى "شذاخ" (٢) كما امتدت زراعته فى إقليم الزاب ، وخاصة بسكرة ، حيث كثرت بها أنواع التمور مثل الليارى (٣) والكسب (٤) بالإضافة إلى قسنطينة (٥)

كما انتشرت زراعته أنواع أخرى من الفواكه فى إفريقية مثل التين الذى تنتشر زراعته فى مدينة مذكود بإقليم قمونية (٦) ، وطرابلس (٧) كما اشتهرت جبال درن بالتين المتناهى فى الطيب البالغ فى الحلاوة (٨) ويزرع فى بلاد السوس التين ، والأترج، والجوز (٩)

خامسا الكروم : تجود زراعة العنب فى إقليم الساحل ، وينتشر حول مدينتى سفاقس وبنزرت (١٠) ومن المناطق التى تنتشر فيها زراعة الكروم أيضا جبل غمارة (١١) وقد توسع الرومان فى زراعته (١٢) ومن الفواكه المنتشرة فى بلاد المغرب الرومان ، والسفرجل ، وتجود زراعة الفواكه هذه فى بلاد المغرب الأقصى فى جبل درن (١٣) كما وجدت أنواع أخرى من المزروعات مثل الكتان الذى يزرع فى بونة (١٤) وطنجة فى بلاد الزاب.

-
- (١) مجهول : الإستبصار ، ص ١٥٠ ، ١٦٠ .
 (٢) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ١٣٨ هامش .
 (٣) الليارى : من الأنواع الجيدة للتمر ولونه أبيض أملس [البكرى : المغرب ، ص ٥٢]
 (٤) الكسبا : لقب يطلق على نوع من التمر وبه جزء فى حجم بيض الحمام ، تكاد تنفذها بيصرك لصفاء لونها ، ورقة بشرتها ، وهم يجعلونه فى ازيار ، إذا أخرجوه منها بقى فى قعر الزير عسل ألد من عسل النحل ، وأعظم ، ويصنعون منه الحلاوة [الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٧٨ . البكرى : مصدر سابق ، ص ٥٢]
 (٥) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٥٠ .
 (٦) البكرى : مصدر سابق ، ص ٧٥ .
 (٧) الإدريسى : صفة المغرب : ، ص ١٢١ .
 (٨) الحميرى : مصدر سابق ، ص ٢٣٥ .
 (٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ . الحميرى : مصدر سابق ، ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
 (١٠) اليعقوبى : مصدر سابق ، ص ٣٥٠ .
 (١١) البكرى : مصدر سابق ، ص ١١٤ .
 (١٢) الحميرى : مصدر سابق ، ص ٤٥ .
 - د/ جلال يحيى : مشكلات الأقليات ص ٢٨٦ .
 (١٣) مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٩ . الحميرى : مصدر سابق ، ص ٢٣٥ .
 (١٤) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٧ .

ووادى شلف (١) كما اشتهرت بلاد السوس الأقصى بزراعة السمسم ، وسائر البقول (٢) ، ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه المحاصيل ، والفواكه لا توجد معظمها إلا في المغرب الأقصى ، وكان البربر يقومون برعاية هذه المزروعات ، حيث وجود التربة الخصبة التي تساعد النباتات ، والمحاصيل على النمو ، بالإضافة إلى الأمطار ، وحسن المناخ ، وعندما أتم العرب فتح المغرب على يد موسى بن نصير في العصر الأموي سنة ٩٢ هـ / ٧٠٩ م تركوا هذه الأرض في يد أصحابها ، لكي لا تتأثر هذه المحاصيل ، حيث أنها كانت سياسة جيدة إتباعها الأمويون في سائر البلدان التي فتحوها ، وجعلوا جل همهم في فتح المدن ، والبلدان ، ونشر الإسلام ، واللغة العربية ، فنجد أن طائفة الأفارقة أو الأفارق ، كانت تعمل بالزراعة ، والصناعة قبل دخول العرب إلى إفريقية (٣)

الأشجار والغابات :

يتم نمو الغابات ، والأشجار طبيعياً دون تدخل الإنسان في رزاعتها ، لأن شروط النمو متوفرة من حيث وجود المطر الغزير ، والأرض الخصبة ، وخاصة في الجبال ، والمرتفعات مما يساعد على وجود أنواع مختلفة من أشجار الغابات ، وأشجار الفاكهة ، فنجد هذا واضحاً في جبل غمارة ، حيث توجد أشجار الأرز التي تستخدم في صناعة السفن ، وتوجد غابات كثيرة عبارة عن أشجار كبيرة كالبلوط ، والكافور ، والزان (٤) وتعتبر منطقة جبل درن أكثر أشجاراً ، فقد انتشرت بهذا الجبل أنواع مختلفة من الأشجار ، مثل الصنوبر ، والأرز ، والبلوط (٥)

(١) الإدريسي : صفة بلاد المغرب ، ص ٩٣ . اليعقوبي : البلدان ، ص ٣٥٨ .
 (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩١ . اليعقوبي : مصدر سابق ، ص ٣٥٨ .
 (٣) د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٥١ .
 (٤) حسن الوزان : وصف إفريقية ، ص ٨٢ .
 - د/ طه عبد العليم : جغرافيا العالم الإسلامي ، ص ٣٥٠ ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، بدون مكان .
 (٥) الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣٥ .
 البكري : المغرب ، ص ١٤٧ .

من ناحية أخرى أدى وجود الأشجار ، والزراعات المختلفة ، وانتشارها فى بلاد البربر ، وخاصة المغرب الأقصى ، إلى انتشار خلايا النحل ، وتربيته مما أدى كثرة إنتاج العسل ، فقد اشتهرت بلاد السوس الأقصى ، بعسلها الذى تفوق على عسل جميع الأمصار كما ذكر الحميرى (١)

ملكية الأرض وأوضاع الفلاحين :

بدأت ملكية الأرض الزراعية فى إفريقية مع بداية تأسيس مدينة القيروان ، عندما أمر عقبة بن نافع بتقسيمها خططا ، ودورا ، وكان من نصيب الفهريين المنطقة المجاورة للمسجد ، بالإضافة إلى المنطقة المجاورة لدار الإمارة ، وظلت تابعة لهم حتى اشتراها بشر بن صفوان بغرض توسيع المسجد (٢) أما أراضي النبلاء البيزنطيين ، وخاصة الموجودة على الساحل ، فقد استولى عليها العرب بعد أن هرب الروم ، وطردوا إلى صقلية ، والأندلس (٣) من جانب آخر نجد أن حسان بن النعمان اتفق مع صاحب قرطاجنة (٤) على أن يفتح له بابا لدخول المدينة فى مقابل ، أن يخصص له منطقة بها أرض ، ومنازل ، وخاصة الموجودة بين الجبلين ، والتي يقال لها فحص مرناق (٥) وهى ثلاثمائة قرية فأعطاه حسان ما اشترطه (٦) ويذكر أن حسان بن النعمان قسم الأرض بين العرب والبربر بعد هزيمته للكاهنة (٧) ومع قلة النصوص الدالة على وجود ملكيات ذات حجم كبير خلال العصر الأموى، إلا أن صاحب معالم الإيمان يورد أن مسروق والد محمد بن الزاهد ترك لابنه قرى ، وضياعا كثيرة ، فقد دخل إفريقية مع موسى بن نصير (٨) كما قام موسى بن نصير ببناء دار له عندما رجع إلى القيروان واتخذ فيها

(١) الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٣٠ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٣ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٥ .

(٤) صاحب قرطاجنة يسمى مرناق : هو بطريقا كان يحكم قرطاجنة فى وقت فتح حسان لإفريقية

[البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٧ ، د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٣٩]

(٥) الفحص : بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو السهل المحيط بالمدينة ، وبالمغرب عدة مواضع منه

[ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٣٣ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣١٩]

(٦) البكرى : مصدر سابق ، ص ٣٧ .

(٧) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ٦١ ، سنة ١٩٦٨م ، مصر .

(٨) الدباغ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

خيلا فسميت "بئر منيه" الخيل (١) وهذا دليل على امتلاك الضياع ، لأن شق الأنهار ، وبناء القصور ، أو الدور الخاصة من لواحق الإقتطاع (٢)

وكان معظم اهتمام خلفاء بنى أمية وعمالهم موجهها لنشر الإسلام ، فتركوا الأراضي الزراعية في يد أصحابها من أهالي البلاد الأصليين ، وكان يفرض على هذه الأراضي خراجا أو ضريبة محدودة ، وهذا الخراج أحد الموارد المالية الهامة بالإضافة إلى الزكاة ، والجزية ، فالخراج : هو مقدار معين من المال أو من المحاصيل ، يفرض على الأرض التي فتحها المسلمين عنوه ، ويؤخذ عن الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين ، فملكوها ، ثم صالحوا أهلها على أن يتركوهم بخراج معلوم يؤدنه إلى بيت مال المسلمين (٣)

وكان الخراج يجبي نقدا ، أو عينا ، ولم يكن محدددا في مقداره كالجزية ، بل كان يراعى في تقديره كمية المحصول ، وحالة الأرض من حيث المساحة ، والجودة ، فقد كانت الأرض تختلف عن بعضها من عدة أوجه ، يؤثر كل واحد منها في زيادة الخراج ، أو نقصانه:

أحدهما : يختص بالأرض من جودة يزكوا بها زرعها ، أو رداءه يقل بها ريعها.

الثاني : يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب ، الثمار ، فمنها ما يكثر ثمنه ، ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج بحسبه.

الثالث : يختص بالسقى ، والشراب ، فإذا كانت تسقى بالدواليب فإن ذلك لا يحتمل من الخراج ، ما يحتمله السقى بالأمطار.

الرابع : قرب الأرض ، أو بعدها من البلدان ، والأسواق لزيادة أثمانها ونقصانها. (٤)

أما الزكاة فهي أحد الموارد المالية ، وكان حسان بن النعمان ٧٣ - ٨٥هـ/٦٩٢ - ٧٠٤م أول من أمر بجبايتها ، فولى حنش بن عبد الله الصنعاني على "صدقات الناس ، والسعي عليهم" (١) واقتصر نشاطه على المغرب الأدنى الذي تم إخضاعه في عهده.

وبلغ الإهتمام بالزكاة حدا كبيرا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ٩٩ - ١٠١هـ/٧١٨ - ٧٢٠م حيث عهد بولاية إفريقية إلى اسماعيل بن عبيد الله ، فاهتم بجمع الزكاة.

بالإضافة إلى الجزية : وهي المورد الثالث ... فهي تعد موارد هاما من موارد بيت المال في إفريقية ، وكانت جبايتها مع بداية الفتح كبيرة ، وصارت تتناقص بانتشار الإسلام خاصة أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز ٩٩ - ١٠٠هـ/٧١٨ - ٧١٩م الذي حرص على إسلام البربر ، وغيرهم من أهل البلاد المفتوحة (٢)

ثانيا الرعي : انتشرت حرفة الرعي في بلاد البربر بصفة عامة ، وقد ساعدت على ذلك توافر الكلاً ، والعشب ، وتمتد منطقة الرعي من القيروان شرقا إلى غرب إفريقية ، وبصفة خاصة في شرق المغرب الأوسط في منطقة الزاب ، ولما كانت هذه المنطقة تنحصر بين حشائش الإستبس والصحراء فقد وجدت منطقة فسيحة للزراعة حيث توجد الأمطار الكافية (٣)

ومن الجدير بالذكر أن بإفريقية منطقتان زراعتان الأولى الساحل الشمالي الشرقي حيث تقوم حرفة رعي الماشية بها كما تربي الماشية في المناطق الموجودة بها مراعى غنية كبلاد الريف وتامسنا (٤) وقد استخدم السكان كهوف الجبل لحفظ المواشى في الشتاء خوفا من البرد (٥) ووجدت

(١) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ . الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٩٧ .

(٣) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٤) طه عبد العليم رضوان : جغرافية العالم الإسلامي ، ص ٣٥٤ ، سنة ١٩٨٠م .

(٥) مارمول : إفريقية ، ج ٢ ، ص ١٢٧ ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، سنة ١٩٨٨ ، ١٩٨٩م ، الرباط .

أعداد كبيرة من الماشية في المغرب الأقصى بدليل رخص أسعار اللحوم بها، كما اشتهرت مدينة سوسه بأطيب لحوم إفريقية ، وذلك لطيب مراعيها (١)

المنطقة الثانية : هي المنطقة الجنوبية في بلاد الجريد ، حيث تربي الأغنام ، والإبل ، ويطلق عليها ابن خلدون الشاوية (٢) وقد تميزت بلاد البربر بصفة عامة بوجود المراعى ، فنجد في بداية الفتح ومن خلال غزوة عبد الله بن سعد سنة ٢٧هـ/٦٤٩م حينما تقدمت حملته ، وغنموا عنائم كبيرة ، فقام بنحر الإبل ، والأغنام ، واستاقوا كثيرا من المواشى ما قدروا عليه (٣) وانتشرت المراعى الجيدة في منحدرات جبال درن المواجهة للجنوب (٤) واشتهرت جبال أوراس بالمراعى الكثيرة (٥) وقد اشتهرت مناطق كبلاد الريف (٦) والسوس الأقصى بانتشار تربية الأغنام ، والماعز بها ، لأن بها منطقة رعى أقل غنى من مراعى الماشية ، ويعتبر نبات الحلفا من النباتات التى تقوم عليها حرفة الرعى ، ويوجد هذا النبات فى هضبة مراكش ، وما يتاخما ، كما ينتشر فى منطقة القيروان ، وحيث أن هذه المنطقة صالحة للرعى ، فقد اختارها عقبة بن نافع حين قال لأصحابه "قربوها من السبخة ، فإنه أكثر دوابكم الإبل لتكون إيلكم على باب مراعيها أمنة (٧)

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٤ .

(٢) الشاوية : معناه القائمون على رعاة الشاه ، والبقر [المقدمة ، ص ٢١٢ . د/ سعد زغلول

تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١٠٣]

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢٨ .

(٤) مارمول : إفريقيا ، ج ١ ، ص ٤٤ ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .

جبال أوراس : عبارة عن سلسلة جبال فى الجنوب الشرقى من بلدة قسنطينة بالجزائر ، ويبلغ أقصى ارتفاع لها ٢٣٠٠ متر [د/ حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر ، ص ١١٢ ، سلسلة الألف كتاب ، بدون تاريخ ، القاهرة]

(٦) بلاد الريف : الريف فى اللغة أرض بها زرع ، أو هو ما قارب الماء من أرض العرب أو هو حافة البحر ، وأيضا يسمى الريف السعة فى الرزق ، والريف فى الإصطلاح الجغرافى يطلق على المنطقة الساحلية بالمملكة المغربية المطلة على البحر المتوسط بالقرب من الحدود الجزائرية إلى ميناء سبتة ، وتتكون من مجموعة السلاسل الجبلية الوعرة ، وتتحدر بشدة نحو البحر ، وتغزر بها الأمطار ، وتتراكم فوق رؤسها الثلوج إبان فصل الشتاء ، وسميت بلاد الريف على اسم هذه الجبال [أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ .

د/ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٢٩]

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٩ ، ٢٠ .

كما وجد الجمل بأعداد وفيرة في بلاد البربر كلها ، وبخاصة في الصحراء ، ويستخدم في النقل والركوب ، نجد هذا واضحا في حملات موسى بن نصير في نواحي إفريقية ، وما أسفرت عنه من جمع أعداد كبيرة من الإبل ، والبقر ، والأغنام ، والخيول. (١)

وينقسم الرعاة إلى ثلاثة أقسام : الأول يقوم كبار الملاك باستتجار من يقوم بالرعى ، وتكون الإجارة للرعاة بقدر معلوم. (٢)

النوع الثاني : يقوم صاحب الملكية الصغيرة هو وزوجته بالعمل على تربية ، وبيع منتجات الماشية ، والأغنام. (٣)

النوع الثالث : ينتشر نظام الرعى بالمشاركة بعدد متساو بين الماشية والأغنام، بحيث يقومان ببيع هذه الأغنام في السوق ، وأن يقوم الرعاة بخدمة الحيوانات نظير جزء معلوم ، أو يقوم بخدمة حيواناته مقابل أن يبيع له جزءا منها على أن يخدم له الباقي. (٤)

من ناحية أخرى يوجد رعاة للإبل ، وينتشر هذا النوع من الرعى على حافة الصحراء ، حيث يقل الماء ، مما يؤدي إلى وجود أنواع من النباتات الخشنة الصالحة لرعى الإبل ، والتي لا تصلح طعاما لغيرها من الحيوانات الصغيرة ، ويعتمد هذا النوع من الرعاة في معاشهم على الإبل يشربون ألبانها ، ويأكلون لحومها ، كما يتغذون بالتمر الموجود بالواحات.

(١) استخدم العرب الإبل في منطقة شمال إفريقية ، كوسيلة للنقل ، والترحال ، حيث أن الإبل تقوم بالدور الذي تقوم به السكك الحديدية اليوم ، وبما أن الرومان لم يقوموا على هذه الخطوة فتتضح أهمية هذه الخطوة من جانب العرب ، ويرى أحد الدارسين أن دخول الجمل من آسيا إلى شمال إفريقية كان خلال القرن الثالث الميلادي أي قبل دخول العرب إفريقية ، يتضح من هذا أن الجمل كان موجودا بإفريقية قبل مجئ الإسلام إليها ، لكن بمجئ العرب إلى إفريقية إزداد ، وانتشر ، لأنه يعتبر أهم وسائل النقل في هذه المرحلة ، بل يعتبر أفضلها جميعا لأنها أشهر وسيلة للفاتحين [جورج يعقوب : أثر الشرق في الغرب ، ص ٣٥ سنة ١٩٤٦م ، القاهرة . د/ يسرى الجوهري : جغرافية العالم العربي ، ص ٨٠ .

د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ١٠٥]

(٢) الونشريسي : المعيار المغرب ، ج ٨ ، ص ٢٢٦ ، ٢٦١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ .

(٣) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٣٩ .

(٤) الونشريسي : مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

ويعتبر هؤلاء الرعاة هم البدو الحقيقيون لأنهم يمتازون بالجرأة ، والفروسية على الإبل ، بالإضافة إلى الحس العالى فى الإستدلال على المياه فى الصحراء (١) من جانب آخر يوجد نوعان من الرعاة : الأول رعاة يجمعون بين الزراعة والرعى عامة ، ويوجد هذا النوع فى المناطق المعتدلة المطيرة ، والمناطق الجافة الصحراوية ، وخاصة فى المنطقة المعروفة بالتلول من المغرب الأوسط ، وفى إقليم الريف ، ووادي ملوية ، ووادي أم الربيع فى المغرب الأقصى ، بالإضافة إلى سفوح تونس الغربية ، وفى طرابلس وجبل برقة فيتحولون بقطعانهم بين المراعى سواء كانت مرتفعة فى الجبال أو المناطق المنخفضة الدفيئة ، النوع الثانى : رعاة جمعوا بين زراعة الحبوب ، وتربية الغنم ، والماشية ، وخاصة فى الأقاليم الصالحة لذلك ، حيث توجد الزراعة فى الوديان والرعى فى الهضاب والمرتفعات. (٢)

الصيد : تتمتع بلاد المغرب بسواحل كبيرة ممتدة من ناحيتين الأولى سواحل ممتدة ومطلّة على بحر الروم و "البحر المتوسط" ، الناحية الثانية سواحل مطلة على البحر المحيط "المحيط الأطلنطى" بالإضافة إلى كثرة البحيرات ، والخلجان ، والرؤوس المتقدمة ، وقد أدى هذا إلى انتشار حرفة الصيد فى بلاد المغرب. (٣)

كما أدى تنوع البيئات البحرية إلى وجود أنواع متعددة ، ومختلفة من الأسماك ، حتى إن مدينة سبتة يوجد به أنواع كثيرة من السمك كالبورى ، وقد اشتهرت إفريقية "تونس" بثروتها المائية سواء من الأسماك ، أو المرجان ، حتى إن مدينة بنزرت كان لها نشاط كبير ، وشهرة واسعة فى صيد الأسماك ، مما أدى إلى وفرة إنتاجها ، ورخص أسعارها ، وكان السبب فى ذلك تنوع مصادر المياه بها ، حيث توجد بحيرة متصلة بالبحر ، فيمدها بالماء تسمى بنزرت. (٤)

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ ،

- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٢) د/ سعد زغلول : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٥ .

(٣) د/ طه عبد العليم رضوان : جغرافية العالم الإسلامى ، ص ٢٥٤ .

(٤) بنزرت : "تيزرت" ، وهى مرسى تونس ، وهى مدينة على نهر لها بحيرة عذبة فى جنوبها ،

وأخرى مالحة فى شرقها [الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٩]

ومن هذه البحيرة يستخرج أجود أنواع الحوت في إفريقية. (١)

لم يقتصر صيد الأسماك على الساحل الشمالي فقط ، فنجد مدينة سفاقس التي تقع على الساحل الشرقي تشتهر بصيد السمك (٢) وتعتبر منطقة هامة لصيد السمك ، كما نجد بالقرب من مدينة بون بركة بها سمك كثير (٣)

صيد الحوت : وكان صيد الحوت نظرا لضخامته يتم عن طريق الرماح ، حيث يوضع في الرمح أجنحة بارزة تتشب في ظهره ، ولا تخرج (٤)

صيد المرجان : يوجد صيد المرجان بمدينة سبته المحاذية لبلاد الأندلس المعروفة بالجزيرة الخضراء ، لكنه قليل الجودة ، كما اشتهرت مدينة مرسى الخزر التي تقع على الساحل بصيد المرجان.

ثالثاً: الصناعة : تعتبر الصناعة أحد أسس النشاط الإقتصادي الهامة ، وللصناعة شروط منها المواد الخام ، سواء زراعية كالحبوب ، والأشجار ، والغابات ، أو مواد خام حيوانية كالصوف ، والجلود ، أو مواد خام معدنية ، كالحديد والنحاس وغيره ، بالإضافة إلى الأيدي العاملة ، ورأس المال ، والسوق الذي يتم فيه توزيع المنتجات ، ومما هو جدير بالذكر أن معظم الصناعات التي قامت في بلاد البربر في العصر الأموي كانت صناعة يدوية يسيطر عليها الأفراد ، وهناك قليل من الصناعات التي تشرف عليها الدولة ولا يسمح للأفراد بالإشراف عليها مثل صناعة السفن .. فنجد أن عبد الملك ابن مروان الخليفة الأموي ، أمر والي مصر ، عبد العزيز بن مروان ، أن يرسل لحسان بن النعمان ، ألف قبطن من لهم خبرة بصناعة السفن ، لإنشاء قاعدة للأسطول الإسلامي ، حتى يتمكنوا من بناء المراكب اللازمة لصد هجمات الروم في البر ، والبحر ، هذا إلى جانب هجوم المسلمين على الروم ، حتى يشغلوهم عن مهاجمة المدن الإسلامية مثل القيروان ، وغيرها ، فأقام

(١) البكري : المغرب ، ص ٥٨ .

(٢) هناك طريقة سهلة لصيد السمك في هذه المنطقة ، بحيث تصاد بحظائر قد زربت ، وعملت

في الماء فتوجد بأيسر سعي [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣]

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٥٨ .

(٤) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

حسان لهؤلاء الأقباط بتونس دارا لصناعة السفن ، وقد ساعد البربر في هذه الصناعة بتجهيز ، وجر الأخشاب اللازمة لصناعة المراكب ، والسفن (١)

صناعة المنسوجات :

وقد قامت في بلاد البربر صناعة المنسوجات المختلفة ، واشتهرت بها ، فقد اشتهرت بلاد السوس الأقصى بصناعة الثياب كالبيرانس والجيب ، والثياب الرفيعة التي تشتهر بها سوسه (٢) والتي يحملها التجار إلى جميع البلاد شرقا وغربا (٣) بالإضافة إلى فرشهم التي ينامون عليها ، وكان للمرأة دور كبير في هذه الصناعة ، وخاصة في الجنوب (٤) ، وقد برع الكثير من البربر في نسج الصوف وكانوا يعتمدون في صناعة نسيج الصوف على الشعر المأخوذ من الإبل ، والصوف المؤخوذ من الأغنام ، فيصنعون منه الثياب ، والخيام ، والفرش ، والأغطية وغيرها . (٥)

كما اشتهرت مدينة أغمات بصناعة الأكسية الرفيعة ، والثياب الصوفية الفاخرة والعمائم (٦) وفي منطقة السوس الأقصى قامت صناعة الثياب الكتانية (٧) ومن الجدير بالذكر أن صناعة النسيج شهدت عناية خاصة في العصر الأموي ، لأنها تعتبر من أهم مظاهر التحضر ، والتمدن (٨)

صناعة الجلود : كانت تقوم على صناعة الجلود أنواع منها صناعة

"السروج" سواء كانت بسيطة عادية أو مطرزة ، هذا إلى جانب صناعة الأحذية ، والمحافظ ، وتجليد الكتب الذي ظهر قبل عصر الأغلبية بقليل

-
- (١) البكري : المغرب ، ص ٢٨ ، ٣٩ .
 (٢) تشتهر مدينة سوسه أيضا بالحريز ، وكان يباع بها غزله زنة المتقال منه بمقتالين من ذهب ، وبها كانت تقصر ثياب القيروان الرفيعة [البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦]
 (٣) مجهول : الإستبصار ، ص ١١٩ .
 (٤) تتمتع المرأة في بلاد المغرب بالنشاط ، والحيوية ، والظروف ، والذكاء ، وحسن الجمال [ابن الوردي : خريدة العجائب ، ص ١٥]
 (٥) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٧ .
 (٦) الحميري : الرون المعطار ، ص ٤٦ .
 ابن الوردي : مصدر سابق ، ص ١٥ .
 (٧) الوزان : وصف إفريقية ، ص ١٢٩ .
 (٨) د/ حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٣ ، سنة ١٩٧٥م ، دار النهضة العربية القاهرة .

أى فى نهاية العصر الأموى ، وإبتداء العصر العباسى فأضاف الأغالبة إلى تجليد الكتب ، وتحليلتها بالتطريز ، والتكامل بالجواهر . (١)

صناعة الزجاج والبلور: فقد كانت لانتشار هذه الصناعة وجود سوق خاص بها فى القيروان (٢) بالإضافة إلى صناعة النحاس ، والفضة ، والذهب ، فقد كان الصائغ يصنع السلاسل من معدن النحاس ثم يطليها بماء الذهب ، ثم يبعث بهذه البضاعة إلى السودان (٣)

أما عن الثروة المعدنية : فقد كانت توجد فى مناطق متفرقة بالمغرب ، فنجد فى بلاد كتامة (٤) حجر اللازورد ، ومعادن النحاس ، والحديد على ساحل البحر (٥) ومنها يحمل إلى أنحاء إفريقية ، وغيرها حيث تستقر بها قرب الساحل (٦) وفى مدينة طبرقة يوجد معدن المرجان (٧) أما عن معدن الذهب فيوجد فى سجلماسة ، بالإضافة إلى منطقة زويلة التى بها الذهب النقى إلا أن الوصول إليه صعب (٨)

كما كان هناك اهتمام بالتعدين ، والمناجم ، وخاصة لإستخراج "الفضة والكحل ، والحديد ، والرصاص" (٩)

أما عن الصناعات الخشبية فقد ساعد وجودها ، واستمرارها على وفرة الخامات لصناعة السفن ، وغيرها فكان بشمال إفريقية إلى الغرب من تونس كميات وفيرة من الأخشاب خاصة ما كان يرد من غابات الجبال الداخلية (١٠) ففي مدينة بجاية كان الخشب فى أوديتها موجودا بكثرة (١١) أما

(١) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٩ .

(٢) د/ محمد زيتون : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٣) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٤) بلاد كتامة : تقع على مرسى بجاية حيث تقع الجبال التى تسكن بها قبائل كتامة [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤]

(٥) المراكشى : المعجب ، ص ٣٦٢ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٣٣ ، ٣٨ .

(٧) الكرخى : مسالك الممالك ، ص ٣٨ .

(٨) الكرخى : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٩) د/ محمد زيتون : مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(١٠) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(١١) الإدريسي : صفة بلاد المغرب ، ص ٩٠ .

مدينة بونة فكان بها الخشب الجيد (١) هذا إلى جانب الصناعات الغذائية ، وبخاصة القائمة على زيت الزيتون الذي اشتهرت به منطقة الساحل ، فكانت صفاقس أهم مراكز إنتاجة ، ومنها ما كان يغمر أسواق إفريقية (٢)

الصناعات الغذائية صناعة استخراج زيت الهرجان (٣) الذي يزرع في جبل درن ، ويتم استخراج هذا الزيت من ثمار شجر الهرجان ، وهو في حجم حبه المشمش ، عن طريق التجميع أولا ثم يقدم للماعز فتأكل قشرتها العليا ، ثم يجمع ، وينظف ، ويكسر ، ويدق لبه ، ويعصر فيخرج من الزيت الكثير ، وهذا الزيت منتشر في بلاد المغرب الأقصى ، ويعتبر زيت الهرجان أنقى من زيت الزيتون ، وهناك طريقة أخرى لاستخراج هذا الزيت ، وهي عبارة عن جمع الثمار ، وتركها حتى تزيل ، ثم توضع في إناء بعد ذلك من الفخار على الحرارة ، فيستخرج دهن طعمه يشبه طعم القمح المقلو ، أما فائدته فهو محمود الغذاء يسخن الكلى ويدبر البول (٤)

صناعة العطور : من جانب آخر اشتهرت القيروان بصناعة العطور ، وكان يزرع من الرياحين بمنزهرات منية الخيل بفحصها الشيء الكثير (٥) بالإضافة إلى أن عطورها كانت تصنع أيضا ، مما كان يجلب إليها من رياحين مدينة جلولاء التي فاقت معظم مدن إفريقية بما كان بها من الورود والياسمين فيذكر ابن أبي دينار أنه "كان يدخل القيروان أربعون حملا وردا جلوليا في اليوم" (٦) كما كان يجلب إلى القيروان من قفصه دهن البنفسج وخل العنصل (٧)

(١) الإدريسي : *سفة بلاد المغرب*، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) البكري : *المغرب* ، ص ٢٠ . مجهول : *الاستبصار* ، ص ١١٦ .

(٣) يسمى أيضا بعدة أسماء أخرى ... منها أركان ، أرقان ، أو يرجان ، هذه الشجرة تشبه شجرة الكمثرى ، إلا أنها لا تعلوا كعلو شجرة الكمثرى ، وأغصانها ثابتة من أصلها وهي شجرة لاساق بها ولا شوك لها [الحميري : *الروض المعطار* ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٠]

(٤) ابن خلدون : *العبر* ، ج ٦ ، ص ٥٥٧ .

(٥) مجهول : *رسالة في الجغرافيا* ، ص ١٩٨ . الحميري : *مسابق* ، ص ٣٣٠ .

(٦) الرقيق : *تاريخ إفريقية والمغرب* ، ص ١٥٨ .

(٧) ابن أبي دينار : *المؤنس* ، ص ٢٥ .

(٧) أبو الفداء : *تقويم البلدان* ، ص ١٠٨ .

كما راجت الصناعات المعدنية كالحلى ، والمجوهرات ، وكذلك الأدوات المنزلية (١) وكانت قبيلة لواتة تسيطر على مناجم الفضة بمجانة المعادن القاطنة بها (٢) وحول سجلماسة كان معدن الذهب الفضة يوجد بها كالنبات (٣) بالإضافة إلى بلاد السوس الأقصى الموجود بها معدن الفضة وخاصة زجندر (٤)

أما معدن النحاس : فيوجد فى منطقة السوس بالإضافة إلى معدن التوتيا (٥) ويجلب منها النحاس المسبوغ إلى بلاد الأندلس ، والروم (٦) ويستخدم معدن النحاس فى صناعة السلاسل ، وتدهن بماء الذهب من خلال حرفة الصياغة (٧)

صناعة الأوانى الفخارية : يؤكد وجود تلك الصناعة استخدام البربر المقلاة المصنوعة من الفخار فى زيت الهرجان (٨)

صناعة الزبيب : أدى انتشار مزارع الكروم فى معظم بلاد البربر ، وخاصة فى الساحل المطل على البحر ، إلى قيام صناعة الزبيب ، وكان العنب يؤخذ بعد منتصف شهر أغسطس تحت أشعة الشمس ، وإذا سقطت الأمطار فى شهر سبتمبر يصنع العنب الباقي نبيذاً ، ونجد هذا بصورة واضحة فى إقليم الريف (٩)

-
- (١) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ٢١٢ .
 (٢) البكرى : المغرب ، ص ١٤٥ .
 (٣) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٥٩ .
 (٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٦١ .
 (٥) هذا المعدن يوضع على النحاس الأحمر فيصير أصفر [المراكشى: المصدر السابق ، ص ٣٦٣]
 (٦) مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٧ .
 (٧) اشتهرت مدينة إجلى بالسوس الأقصى بصناعة سبك النحاس الذى يصنع منه أساور ، وحلق ، وخواتم ، وكان يصدر إلى بلاد السودان [ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٢١]
 (٨) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧١ ، ٣٣٠ .
 - مجهول : رسالة فى الجغرافيا ، ص ١٩٨ .
 - مجهول : الإستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٢١٢ .
 (٩) الوزان : وصف إفريقية ، ص ٨٨ .

طحن الغلال : اشتهرت بلاد المغرب بكثرة انتاج الحبوب كالقمح ، والشعير ، فمن المعتقد أن يكون طحن هذه الغلال عن طريق الإرحاء "الرحايا" وهى نوعان بالمياه أو بالحيوانات ، وكانت الغلال تطحن فى مدينة أغمات بواسطة الإرحاء التى على النهر الذى يشق المدينة (١) لكن فى بلاد السوس الأقصى لم يستخدموا المياه فى إدارة الإرحاء (٢) لذلك نعتقد أنهم استعملوا الإرحاء التى تديرها الحيوانات.

أما عن تعليم الحرف الصناعية : فنجد مثلا فى حرفة الخياطة ، يأتى الغلمان إلى أصحاب هذه الحرفة ليتعلموها ، وكان العمل يرتبط بالإنتاج من خلال كمية معلومة يلتزم بها كل صبى (٣) وكان يطلق على من يعمل فى هذه الصناعة لقب صانع (٤)

رابعا التجارة : تتمتع بلاد المغرب بوحدة جغرافية متصلة بعضها ببعض ، لا توجد حواجز أو مواقع تفصل بين أجزائها المتسعة.

ويوجد طريقان رئيسيان للتجارة : الأول الطريق الساحلى الممتد من برقة إلى طنجة ، مارا بين مختلف المناطق الساحلية ، وقد سلكه العرب من مصر حين أرادوا فتح بلاد المغرب (٥) ويمثل البحر عاملا من عوامل ربط المدن بعضها ببعض (٦) لذلك نجد أن العرب عندما شرعوا فى فتح هذه البلاد قد سيطروا على هذا الطريق ، وقد ساعد هذا الطريق كثيرا من تجار العرب الذين خرجوا لنشر الإسلام أولا وخاصة بنى أمية المشهور عنهم المهارة فى حرفة التجارة على الإشتراك فى هذا الفتح ، فنجد أن مروان بن الحكم ، قد اشترك فى بداية الفتح العربى للمغرب مع عبد الله بن سعد سنة

(١) ابن الوردي : خريدة العجائب ، ص ١٧ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ١٦٢ .

- الحميرى : الروم المعطار ، ص ٣٣٠ .

(٣) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٤) السقطي : كتاب الحسبة ، ص ٦٢ .

(٥) محمد أحمد حسونة : أثر العوامل الجغرافية ، ص ٥٤ .

(٦) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٧٣ .

٢٧هـ/٦٤٩م، بالإضافة إلى اشتراك ابن عبد الملك فى غزوة ابن حديج (١)
٤٥هـ/٦٢٣م

وقد ساهم فى ازدهار حركة التجارة ، تأسيس المدن العربية على الطريق الساحلى لخدمة الفتح ، والتجارة وخاصة مدينة القيروان ، وتونس (٢) واعتبرت مدينة القيروان مركزا لتجميع ، ونقل التجارة الواردة من البحر المتوسط ، وتوزيعها إلى المشرق ، وبلاد السودان ، من ناحية أخرى نجد الرقيق القيروانى يعبر عن وجود التجار ، وبقائهم عقب مقتل عقبة فى تهوذه بقوله "خرج منها أهلها ، ولم يبق بها إلا أصحاب العيال ، وكل مثقل من التجار" (٣)

الطريق الثانى الطريق الداخلى الصحراوى. ويمتد من غرب مصر إلى الجنوب حتى جنوب المغرب الأقصى ، وعلى الرغم من امتداده فى قلب الصحراء ، وبما يوحى من أول وهلة أنه طريق عسير صعب السير فيه ، لكن هذا الطريق على الرغم من عدم سهولته بالمقارنة بالطريق الساحلى ، إلا أننا نجد به ينابيع المياه المتمثلة فى الواحات الموجودة على امتداده ، والتي تعتبر نقاط تزويد للقوافل التى تقطعه من أوله إلى أقصاه ، بالإضافة إلى أن هذا الطريق يعتبر أقصر من الطريق الساحلى بحوالى ثلث المسافة ، وهذا يعنى أن الصحراء مثلها مثل البحر ، تشكل طريقا للمواصلات بين أقاليم المغرب المتخلفة ، فهى بذلك تشكل عامل ربط بينها (٤) لذلك نجد أن بلاد الجريد لها أهمية تجارية كبيرة ، حيث أنها تعتبر مستودعا لمعظم التمور ، والزيتون ، والفواكه ، هذا بالإضافة إلى أنها تتصل بقيطون بياضة (٥) وهى آخر بلاد المغرب التى تعتبر من المراكز التجارية الواقعة على الطريق الصحراوى ، المؤدى إلى مناطق عديدة فى المغرب بصفة عامة ، فنجد طرقا

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٢) د/ طه عبد العليم : جغرافية العالم الإسلامى ، ص ٣٤٠ .

(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٤٦ .

(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٥) قيطنون بياضة : وهى على ثلاث مراحل من قفصة ، وبينها وبين نقطة مرحلة ، وإلى توزر

مرحلة وإلى نفزاوه مرحلة [الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٨]

عديدة تتفرع إلى السودان ، وطرابلس ، والقيروان ، وفيها تتجمع معظم القبائل للخروج من هذه البلاد (١)

من ناحية أخرى تسهم قبائل المصامدة ، وغمارة (٢) وهم من بربر المغرب الأقصى في التجارة عبر الصحراء ، وكان جل اهتمامهم متجها إلى بلاد السودان ، على الرغم من بعد طريقهم ، ومشقته ، والأخطار التي تحيط به من هلاك الدواب ، أو التعرض للسرقة والنهب ، والسلب ، ويرجع ذلك إلى المكاسب الكبيرة التي كان يجنيها التجار من أموال ، حيث أن السلع الموجودة في بلاد السودان كانت قليلة لذلك نجد أسعارها مرتفعة ، كما أن السلع المصدرة إلى السودان قليلة ، لذلك نجد أسعارها مرتفعة أيضا (٣)

ويضيف أحد الباحثين (٤) طريقا ثالثا ، وهو طريق القوافل الرئيسي ، الذي يصل بين المدن في الصحراء ، والمدن على الساحل ، ويشبهه بالهيكل العظمى الذي يربط البلاد ، ويشد أطرافها من البحر المحيط ، حتى برقة ، هذا إلى جانب الجبال والأودية المحاذية للساحل التي وصلت الأقاليم الشرقية ، بالأقاليم الغربية ، مما يساعد على الوحدة بين الأقاليم الخصبة ، والأقاليم الصحراوية ، مما أدى إلى إعطاء البلاد عمقا يتناسب مع طولها الكبير ، هذا إلى جانب الجبال التي تعتبر عائقا طبيعيا يفصل بين المناطق بعضها البعض ، لكن الجبال الموجودة في المغرب تمتد في سلاسل أفقية محاذية للساحل ، مما جعلها عامل من عوامل الربط ، والوحدة بين مختلف قبائل البربر ، وخاصة في المغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، حيث توجد هذه الجبال .

ومن الجدير بالذكر أن أهم مصادر التجارة التي كانت سائدة في إفريقية كثيرة منها:

- (١) البكري : المغرب ، ص ٧٤ .
 (٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥٧ ، ٣٣٠ .
 (٣) تمثل القبائل البربرية همزة وصل عبر الصحراء بين أقاليم البحر المتوسط شمالا ، والأقاليم السودانية جنوبا ، فكانت تحمل إلى الجنوب منتجات البحر المتوسط والملح ، وتحمل إلى الشمال الذهب والدقيق والجلود [د/ يسرى الجوهري : جغرافية العالم العربي ، ص ٨١]
 (٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

١- **تجارة الزيتون** : ويعتمد عليها اعتماد كبيراً في حركة التجارة ، بالإضافة إلى الزيت المستخرج منه ، وفي ذلك يذكر البكري "أن تجارة الزيت كانت رائجة منذ القدم مع الروم ، ثم توسع في تصديره إلى مصر ، وصقلية" (١)

٢- **تجارة المنسوجات والأقمشة** : كانت هذه التجارة مزدهرة في أسواق إفريقية ، وقد ساعد على ذلك توافر الخامات كالحريز ، والكتان ، والصوف ، فقد اشتهرت قابس بالحريز ، كما كان يرد إلى أسواق القيروان أفخر أنواع الثياب الرفيعة ، والعمائم التي اشتهرت بها سوسة (٢) بالإضافة إلى أن مدينة طرابلس بها صناعات ، وأمتعة يتجهز بها كثير من الجهات المختلفة (٣)

٣- **تجارة الحيوانات والطيور** : فكانت أسواق إفريقية عامرة بالبقر ، والغنم والدجاج ، ومن الدواب ، والإبل ، والبغال ، والحمير بالإضافة إلى رواج تجارة الخيول ، هذا راجع إلى إقبال الناس على اقتناء الخيل للركوب والسباق (٤) التبادل التجاري بين إفريقية ، وبين عدة مناطق مختلفة منها:

بلاد السودان : ومن بداية الفتح العربي لإفريقية ، فطن العرب إلى أهمية بلاد السودان فاتجه عقبة بن نافع بعد استيلائه على فزان إلى كوار (٥) كما أرسل عبيد الله بن الحبحاب حبيب بن أبي عبيدة إلى السوس ، وبلاد السودان (٦) بالإضافة إلى إهتمام عبد الرحمن بن حبيب بذهب السودان من خلال تأمين طرق القوافل بين تادمكت وأدغست (٧) كذلك نجد أن القيروان كانت تصدر إلى السودان بعض المصنوعات منها السلاسل المصنوعة من النحاس المطلي بالذهب الذي يجعل في اللجم. (٨)

(١) البكري : المغرب ، ص ٢٠ .

(٢) مجهول : الإستبصار ، ص ١١٩ .

- البكري : مصدر سابق ، ص ١٧ ، ٣٦ .

(٣) الإدريسي : صفة المغرب ، ص ١٢١ .

(٤) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

- الدباغ : معالم الإيمان ، ج ٢ ، ص ١٧ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٦ .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٧) البكري : مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٨) المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١١٧ .

من ناحية أخرى نجد أن بلاد السودان كانت تستورد الملح ، والنحاس، وتصدر الذهب (١) والأبنوس (٢) إلى الدول الخارجية مثل الأندلس ، وصقلية ، هذا إلى جانب طريق القوافل الممتد بين سجلماسة (٣) وبلاد الحبشة ، وخاصة كوكا ، وبلاد أجاوة ، بالإضافة إلى بلاد غانة ، والسودان ، والأخيرة كانت تدخل إليها القوافل من بلاد السوس ، وبلاد المغرب (٤)

التجارة مع صقلية : كانت محدودة في العصر الأموي ، وكانت بصفة أساسية تعتمد على زيت الزيتون ، وصناعة الزيوت ، وكان إقليم سفاقس من الأقاليم التي تكثر بها زراعة ، وكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى مصر ، والمغرب ، وصقلية ، وبلاد الروم. (٥)

التجارة مع الأندلس : كانت توجد علاقة تجارية بين إفريقية ، وبلاد الأندلس ، وقد اتسعت هذه العلاقة بعد الفتح الإسلامي ، ورسوخ قدم المسلمين بهذه المنطقة ، فكانت الأندلس تصدر إلى إفريقية ، الثياب الفاخرة المرصعة ، بالإضافة إلى الحصر ، والسكاكين ، أما السلع التي كانت تصدرها إفريقية إلى الأندلس ، فيأتي في مقدمتها زيت الزيتون ، بالإضافة إلى التين ، والحنة والزعفران ، والفسق ، والسفرجل المعق. (٦)

ومما ساعد على ازدهار عملية التبادل التجاري بين إفريقية ، والأندلس وجود الموانئ ، والمراسي التي يسرت للتجار القيام بهذه المهمة ، فنجد على ساحل البحر المحيط ميناءان كان لهما دور كبير في هذا المجال وهما **طبرقة، (٧) وتونس.**

- (١) روى البعض أن هناك طريقة فريدة لاستخراج الذهب في بلاد السودان ، وخاصة بلاد النوبة ... وهي أن يؤتى بصحاف من الأبنوس ، وصحاف من عظام ريش الطير المتوفر عندهم ، فيغسلون كل ذلك بالرمل ، ويخرجون منه التبر ، ويصدر إلى بلاد المغرب ، والأندلس [مجهول : رسالة في الجغرافيا ، ص ١٩٣]
- (٢) البكري : المغرب ، ص ١٤٩ . مجهول : مصدر سابق ، ص ١٩٨ .
- (٣) د/ يسرى الجوهرى : جغرافية العالم العربي ، ص ٢٧٨ .
- (٤) مجهول : مصدر سابق ، ص ١٩٨ ، ٢٠٤ .
- (٥) البكري : مصدر سابق ، ص ٢٠ .
- (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ ، ٨٥ .
- (٧) البكري : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، طبرقة مع صغرها ، فإنها اشتهرت بكثرة ورود المراكب بالأندلسيين ، والتجار عليها [ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٧٦]

أما الميناء الأول : طبرقة فهى مواجه للأندلس ، ومنها يركبون إليها ، لذلك اشتهرت طبرقة بورود التجار إليها (١)

الميناء الثانى : تونس التى أنشأها حسان بن النعمان على أنقاض مدينة قرطاجنة لتكون نواه لميناء يستقبل السفن الحربية ، والتجارية ، ويشرف على حوض البحر المتوسط (٢)

الأسواق : تعتبر الأسواق مركزا لحركة التجارة ، ومحورا للحياة الإقتصادية، ففي الأسواق تجرى عمليات البيع ، والشراء خاصة المحاصيل الزراعية ، بالإضافة إلى السلع الأخرى ، لذا تعتبر الأسواق من أهم مظاهر الحياة الإقتصادية.

وكان للسوق فى عهد عمر بن الخطاب إدارة يشرف عليها صاحب السوق المعروف "بصاحب الحسبة" (٣) ولا يتولى هذا المنصب إلا من توفرت فيه عدة شروط منها : أن يكون فقيها فى الدين ، عادلا قائما مع الحق ، نزيه النفس ، على الهمة ، ذا أناة ، وحلم مع الناس مع مراعاة آداب السلوك ، والمحافظة على الأخلاق العامة (٤) ويجب عليه النظر فى معاش المسلمين ويتولى هذا المنصب أحيانا القاضى أو الوالى أو صاحب الشرطة ، ويولى عنه نواب فى سائر الأقاليم التابعة له (٥)

وكان المحتسب يبدأ جولته فى الأسواق يتفقد نظامها من حيث ترتيبها، ومواقعها المخصصة كما كان يحول دون بروز الحوانيت حتى لا يعوق

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) د/ محمد الزيتون : القيروان ، ص ٦٥ .

(٣) يعتبر عمر بن الخطاب أول من وضع نظاما للحسبة ، وكان يستخدم الدرّة ، والسوط فى معاقبة المخالفين ، وأخذ هذا النظام ينمو شيئا فشيئا ، وطالت فترة النمو خاصة فى العصر الأموى ، وبعد أن استقر العرب فى إفريقيا ظلت موجودة ، ولكن بشكل غير منظم ، ولم تتحدد واجب هذا المنصب بشكل واضح إلا فى نهاية القرن الثانى الهجرى ، والحسبة وظيفة دينية ، يعين فيها من يكون أهلا لها [ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٨ : ٣٩٩ .

د/ حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٧٥]

(٤) د/ حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٥) د/ حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

نظام المرور (١) وكان يطلب من أعوانه الإنتشار فى الأسواق لمراقبة أصحاب التجارات ، بل كان له الحق فى أن يدعوا الباعة إلى دار الحسبة ، ويكلفهم بإحضار موازينهم ، ومكاييلهم ، لقياسها ومعايرتها (٢) ، كما كان للمحتسب وأعوانه أن يتأكد من أن العملة المتداولة فى السوق غير مزورة ويؤكد هذا ما ذكره ابن خلدون (٣) فى قوله "وأما السكة فهى النظر فى النقود المتعامل بها بين الناس ، وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص"

أما الأسواق فى العصر الأموى فقد كانت تخضع لإشراف موظف يدعى العامل على السوق يتمتع ببعض الصلاحيات القضائية ، والتنفيذية ، ويعين معه بعض الأفراد الذين يساعدون على القيام بعمله لمراقبة الموازين ، والمكاييل وحل الخلافات التى قد تنشأ بين الباعة فى السوق ، ولقد أكد القرآن الكريم على ضرورة ضبط الموازين والمكاييل وعدم الغش فى الكيل والوزن وذلك مراعاة لصالح الناس فقال تعالى "ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون" (٤)

أسلوب التعامل فى الأسواق :

يعتبر النظام النقدى كالتعامل بالدينار ، والدرهم (٥) ، أبرز وسائل التعامل التى سادت الأسواق ، وقيمة العملة المستخدمة هامة لمعرفة الأسعار ، وضبط

(١) حسن ابراهيم حسن / النظم الإسلامية ، ص ٢٩٨ سنة ١٩٧٠م ، مطبعة النهضة المصرية القاهرة .

(٢) حسن ابراهيم حسن / المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٦ .

(٤) سورة المطففين آية ١ : ٣ .

(٥) الدينار ، والدرهم ، والدانق ...

أولا الدينار: وهو يونانى مشتق من أحد أعلامها على ما يظن وهو لفظ "دينار يوس" والدينار مقداره منذ تعريبيه ٤,٢٥ من الجرام ، والدرهم ٧ : ١٠ من الدينار

ثانيا الدرهم : وهو عدة أنواع منها بعلى ، وينسب إلى ضراب يهودى ضرب تلك الدراهم ، وكان يسمى بخل أو رأس البغل ، وهذا الدرهم مقداره ثمانية دوانق .

٢- درهم طبرى : المضروب فى طبرستان ، ومقداره أربعة دوانق .

٣- درهم يضى : يساوى ستة دوانق ، ويقال واحد .

٤- درهم مغربى : مقداره ثلاثة دوانق .

ثالثا الدانق : بفتح النون أو كسرهما ، أو داناق ، أو دانك ، مشتق من اللغة الفارسية ، ومعناه الأحمق ، أو الساقط من الرجال .

والدانق : وحدة صغيرة من وحدات السكة الإسلامية ، ومقداره سدس الدرهم أو وزن ٨,٤ من حبات الشعير المتوسطة ، والوزن الحقيقى للحبة ١/١٠ من المتقال ، أى ٠,٠٤٤٦ جرام =

الإيرادات ، والمصروفات ، وكانت العملة السائدة عند العرب قبل الإسلام "الدينار ، والدرهم" فلما جاء الإسلام أقر التعامل بهما ، ولم يحدث أى تغيير ، ولما تولى عمر بن الخطاب رأى أن الدراهم المستعملة مختلفة الوزن فعمل على أن يجمع بين جميع الدراهم المستخدمة ، ويوحدها ، فجعل الدرهم الإسلامى ستة دنانق (١)

وبعد أن إستقر الأمر لعبد الملك بن مروان ، فكر فى توحيد العملة المستخدمة فى سائر أنحاء الدولة لتدعيم البناء الإقتصادى ، والسياسى للدولة ، لما فيها تعبير عن سيادة الدولة العربية ، فتداول عملات بيزنطية ، وفارسية يتعارض مع تطبيق سياسة عربية ، سواء كانت إقتصادية ، أو سياسية (٢)

دار سك العملة "ضرب النقود" والسكة هى الحديدية التى يطبع عليها الدينار ، أو الدرهم (٣) وكانت دار ضرب النقود تقع بجوار دار الإمارة بالقرب من المسجد الجامع ، وكان لها ناظرا يشرف عليها ، ويساعده عمال ماهرون فى إذابة المعادن ، وسبكها ، بالإضافة إلى عمليات الوزن ، والنقش ، والطبع ، وقد ظلت هذه الدار تؤدى عملها فى القيروان خلال العصر الأموى(٤)

ويعد حسان بن النعمان أول من اهتم بالإصلاحات الإقتصادية فى المغرب ، فقد غير فى الشعار القومى الذى اتخذته قرطاجنة منذ اعتنقت الديانة المسيحية بصورة لا تتنافى التقاليد الإسلامية فكان الشعار يرسم هكذا + فرفع رمز الصليب ، ووضع كرة الأرض على العمود الإسطوانى ٩ وجعل ذلك شعار للمسلمين (٥) من جهة أخرى حسان تعديل فى العملة المستخدمة فى المغرب فهى كانت كالآتى :

= أو ١/٩٦ من المتقال أى ٠,٠٤٨ جرام [الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ، ص ٨٠ ، تحقيق حسين مؤنس ، المجلد السادس ، سنة ١٩٥٨ مدريد . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، ج ٢ ، ص ٣٣٢]

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٣ .

(٢) د/ السيد سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص ٤٢١ : ٤٢٢ .

(٣) أبو الحسن على بن يوسف : مصدر سابق ، ص ٤٩ .

(٤) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٤ .

(٥) عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا ، ص ٨٠ الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م لبنان .

الإيرادات ، والمصروفات ، وكانت العملة السائدة عند العرب قبل الإسلام "الدينار ، والدرهم" فلما جاء الإسلام أقر التعامل بهما ، ولم يحدث أى تغيير ، ولما تولى عمر بن الخطاب رأى أن الدراهم المستعملة مختلفة الوزن فعمل على أن يجمع بين جميع الدراهم المستخدمة ، ويوحدها ، فجعل الدرهم الإسلامى ستة دنانق (١)

وبعد أن إستقر الأمر لعبد الملك بن مروان ، فكر فى توحيد العملة المستخدمة فى سائر أنحاء الدولة لتدعيم البناء الإقتصادى ، والسياسى للدولة ، لما فيها تعبير عن سيادة الدولة العربية ، فتداول عملات بيزنطية ، وفارسية يتعارض مع تطبيق سياسة عربية ، سواء كانت إقتصادية ، أو سياسية (٢)

دار سك العملة "ضرب النقود" والسكة هى الحديدية التى يطبع عليها الدينار ، أو الدرهم (٣) وكانت دار ضرب النقود تقع بجوار دار الإمارة بالقرب من المسجد الجامع ، وكان لها ناظرا يشرف عليها ، ويساعده عمال ماهرون فى إذابة المعادن ، وسبكها ، بالإضافة إلى عمليات الوزن ، والنقش ، والطبع ، وقد ظلت هذه الدار تؤدى عملها فى القيروان خلال العصر الأموى(٤)

ويعد حسان بن النعمان أول من اهتم بالإصلاحات الإقتصادية فى المغرب ، فقد غير فى الشعار القومى الذى اتخذته قرطاجنة منذ اعتنقت الديانة المسيحية بصورة لا تتنافى التقاليد الإسلامية فكان الشعار يرسم هكذا + فرفع رمز الصليب ، ووضع كرة الأرض على العمود الإسطوانى ٩ وجعل ذلك شعار للمسلمين (٥) من جهة أخرى حسان تعديل فى العملة المستخدمة فى المغرب فهى كانت كالآتى :

= أو ١/٩٦ من المتقال أى ٠,٠٤٨ جرام [الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ، ص ٨٠ ، تحقيق حسين مؤنس ، المجلد السادس ، سنة ١٩٥٨ مدريد . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، ج ٢ ، ص ٣٣٢]

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٣ .

(٢) د/ السيد سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص ٤٢١ : ٤٢٢ .

(٣) أبو الحسن على بن يوسف : مصدر سابق ، ص ٤٩ .

(٤) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٤ .

(٥) عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا ، ص ٨٠ الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م لبنان .

ومن الجدير بالذكر أن قيمة الدينار ٢٤ قيراطا ، والقيراط ٧٢ حبه شعير ، أما الدرهم فمناه أربعة دوانق ، وللدرهم شكل مدور فى العصر الأموى وحتى ظهور الدولة الموحدية وعليه نوع من النقش البيزنطى ، ونسبة وزن الدرهم إلى وزن الدينار ٣ : ٢ أى أن كل ثلاثة دراهم فضة تزن دينار من الذهب (١)

ومن الأدوات التى تدخل فى نطاق العملة: الصنوج ، وهى قطعة مستديرة بقدر الدرهم ، أو الدينار تتخذ من الزجاج ، ويرسم على أحد وجهيها فقط كتابة بارزة تدل على أن مثقالها هو وزن الدرهم ، أو الدينار الشرعى ، وغالبا ما يكتب عليها اسم الأمير ، أو الوالى الذى أمر بضربها ، وبهذه الصنج يتمكن الصيرفى أو التاجر من معرفة النقص فى وزن الدرهم ، أو الدينار . (٢)

وقد انتشرت الأسواق فى معظم بلاد البربر ، فوجد أسواق برقة ، وإفريقية ، والمغرب .

أولا: أسواق برقة : اشتهرت أسواق برقة بأنواع من الأكسية (٣) والثياب الصوفية نظرا لوفرة الحيوانات ، وتعتبر برقة أول منزل ينزله القادم من مصر ، وبها من التجار ، وكثرة الغرباء فى كل وقت ما لا ينقطع طلابا لما فيها من التجارة ، وعابرين عليها مغربيين ، وشرقيين ، ومن بين منتجاتها الجلود ، والتمور ، والقطران التى ترد إلى أسواقها من مدينة أوجلة (٤) وكان يعرض بأسواق برقة بيوع الصوف ، والفلفل ، والعسل ، والشمع ، والزيت ، ومعظم التجارة الصادرة من الشرق ، والواردة من الغرب (٥)

(١) أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة ، ص ٨١ .
 (٢) حسن حسنى عبد الوهاب : الورقات ، القسم الأول ، ص ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، سنة ١٩٦٤م ، تونس . د/ محمد زيتون : لقيروان ، ص ١٥٤ .
 (٣) البكرى : المغرب ، ص ٤ ، ٥ .
 - المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٠٦م ، القاهرة .
 (٤) أوجلة : أوجلة : بالقرب من أجدابية من أعمال برقة [ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ . محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ٢٤٢]
 (٥) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ١٣١ . ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٦٩ .

ولبرقة أسواق متعددة حافلة بأنواع الثمار ، والحاصلات الزراعية ،
منها سوق أوجلة ، الحافل بأنواع الثمار ، والحاصلات الزراعية ، حيث يوجد
بها أسواق ، وجنان ، ومزارع كثيرة ، مما يفيد كثرة المعروض بتلك
الأسواق من حبوب ، ومزروعات مختلفة (١)

ومن أسواق برقة ودان : وهى من أعمال برقة ، وهى عامرة بجميع
أنواع التمور المتعددة (٢)

أما أسواق لمطة : فقد كانت تشتهر بالورق الأبيض، كما كانت تشتهر بنوع
من الجلود المتينة (٣) وأخيرا أسواق زويلة التى تشتهر بالجلود المصنعة ،
بالإضافة إلى تجارة الرقيق حيث إمتلات أسواقها بالكثير من العبيد (٤)

ثانياً: أسواق إفريقية "القيروان" والمغرب :

يعد سوق القيروان أشهر أسواق إفريقية والمغرب ... يحيط هذا
السوق بالمسجد الكبير ، وقد خصص الطريق الرئيسى الذى يقع فيه لجميع
المتاجر ، والصناعات ، وقد ورد فى وصفه أن سوق القيروان كان سطحاً
متصلاً فيه جميع المتاجر والصناعات ، طوله من باب أبى الربيع "فى
الجنوب" إلى الجامع ميل وتلثى الميل ، ومن الجامع إلى باب تونس ثلث
الميل، وكانت السلع الموجودة بسوق القيروان منتشرة حول المسجد الجامع
فى غير نظام ، ولا ترتيب حتى أمر الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك
(١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٣ - ٧٤٣م) عامله عبيد الله بن الحباب
(١١٦ - ١٢٣هـ / ٧٣٤ - ٧٤١م) بتنظيمه ، وترتيبه. (٥)

وكان من أثر تنظيم سوق القيروان ظهور الأسواق المتخصصة ،
كسوق التمارين لبيع التمر (٦) وسوق العطارين الذى يضم مختلف أنواع

العطارة ، وسوق الصوافين ، وسوق الكتانيين ، وسوق الغزل (١) وسوق السراجين (٢) وسوق الوراقين لبيع الرقوق الجلدية ، وأدوات الكتابة. (٣)

على أن هناك بعض الصناعات ، والتجارات قد أبعدت أسواقها عن قلب المدينة ، فأقيم بعضها على مقربة من السور لحاجتها إلى مكان فسيح مثل سوق الدجاج بجوار باب تونس (٤) كذلك اقتضت الضرورة أن تقام بعض الأسواق خارج السور لأن منتجاتها ذات رائحة كريهة تؤذي السكان كسوق الدباغين (٥) واللحامين (٦) والحدادين ، وكان يباع فيه الآلات الحديدية كالسيوف ، والرماح والحراب وغيرها. (٧)

وكان من الطبيعي بعد أن اتسعت المدينة أن تقوم بها عدة أسواق منها ما سمي بأحد معالم المدينة كسوق دار الإمارة (٨) كما نسب بعضها إلى بعض مشاهير الرجال "كسوق اسماعيل" نسبة إلى إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري، وكان يقع هذا السوق بجوار مسجده بمحرس الأنصار. (٩)

كما كان بالقيروان سوق يسمى بسوق الخميس ، وآخر يسمى الأحد (١٠) ولعل هذا السوق كان من الأسواق الأسبوعية التي يخصص للتجارة فيها يوم واحد في الإِسبوع تعرف به .

أما أسواق مدينة لبدده : فكانت عامرة بصنوف الفاخرة كالخوخ والكمثرى ، وقد اشتهرت بإنتاجها الجيد.

- (١) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .
 (٢) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٠٩ .
 (٣) الدباغ : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٩ .
 (٤) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .
 - حسن حسنى عبد الوهاب : بساط العقيق ، ص ٦ سنة ١٣٣٠ هـ تونس .
 (٥) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٥٨ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٩٨ .
 (٦-٧) الدباغ : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٨ .
 (٨) أبو العرب : طبقات علماء تونس ٥٩ . حسن حسنى : وراقات عن الحضارة ، ج ١ ، ص ٦١ .
 (٩) أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٩٧ . حسن حسنى : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦١ .
 (١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ .

أما أسواق مدينة سرت فكانت عامرة بأصناف التمور ، والفواكة ، والأعشاب ، وقد اشتهرت أيضا بصناعة الأكسية ، والبسط الصوفية لوفرة إنتاجها من الأغنام. (١)

أما أسواق مدينة طرابلس ، فكانت عامرة بمختلف المحاصيل التي تنتجها القرى المحيطة به ، خاصة الفواكه ، والتمور ، والعسل. (٢)

كما كان لسوق مدينة شروس الواقعة في وسط جبل نفوسه شهرة كبيرة ، حيث إنها تشتهر بالكروم ، والتمور الجيدة ، بالإضافة إلى الشعير الذي كانوا يعتمدون عليه في صناعة الخبز ، وحتى وصف هذا الشعير بأنه أطيب من خبز الحنطة (٣)

كما عمر سوق مدينة قابس بالثمار الوفيرة كالموز ، وأصناف كثيرة من الفاكهة ، ومن الجدير بالذكر أن مدينة قابس تشتهر بكثرة شجر التوت الذي ينتج منه الحرير الطبيعي ، ويعتبر من أجود ، وأرق أنواع الحرير ، وليس في عمل إفريقية حرير إلا في قابس (٤) فضلا عن الصناعات الجلدية التي تشتهر بجودتها لتفوق ملمسها (٥)

أما سوق مدينة قسنطينة ، فقد كان يعرض فيه منتجاتها من التمور ، والزيتون ، وتميزت برخص سعر التمر لوفرتة ، حتى كان الحمل يباع بدرهمين (٦)

وكان سوق مدينة طنجة عاصمة إقليم الزاب عامرا بصنوف إنتاج الأقاليم الزراعية من القطن ، والحنطة ، والشعير ، والفواكه (٧)

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٢٤ .

(٣) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩٢ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ١٧ ، ٧٢ .

- المقدسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٤ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٦) المقدسي : مصدر سابق ، ص ٢٣٠ .

(٧) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٨٤ .

أما أسواق مدينة بونه فقد عمرت بتجارة الغنم ، والماشية ، وخاصة البقر ، واشتهرت بانتاج الصوف ، وتصنيعه (١) بالإضافة إلى منتجات القرى المحيطة بمدينة بونه من الفواكه ، والكروم ، والقمح ، الشعير ، والكتان (٢)

كما اشتهر سوق مدينة تاهرت بعرض الإنتاج الزراعى للمنطقة من الكتان ، والحبوب ، والسّمسم فضلا عن العسل ، ومنتجات الحيوان ، وحيث اشتهرت بتربية أعداد كبيرة من الماشية (٣) كما عمرت أسواق مدينة سجلماسة بالمنتجات الزراعية ، وخاصة الذرة ، والتمور ، والأعشاب ، وأنواع الذبيب ، ويذكر ابن حوقل أن الزراعة بها كانت تعتمد على ماء نهرهم "الذى يزيد كزيادة النيل فى مصر بمائة حسب زرع مصر". (٤)

كما اشتهر سوق مدينة أغمات فى السوس الأقصى بعرض كثير من المنتجات الزراعية ، وأهما قصب السكر ، والجوز ، واللوز ، والسّمسم ، وأنواع البقول.

وذخرت أسواق مدينة سبتة بأنواع المزروعات من الكتان ، والفاكهة ، والبقول ، وقصب السكر الذى يرد من المدن المجاورة لها. (٥)

من جهة أخرى روعى وجود السوق عادة بين المناطق العامرة بالسكان ، وكان أكثر الأسواق ازدهارا ، القريب من المسجد الجامع حيث تكثر حركة البيع والشراء ، فكانت أسواق القيروان تحيط بالمسجد الجامع ، وكان الطريق الرئيسى الذى يقع فيه المسجد الجامع مقر الأسواق. (٦)

وكان البيع والشراء يجرى طوال ايام الأسبوع بالأسواق الكبرى بالمدن مثل سماط سوق القيروان ، أما الأسواق الصغيرة التى تعقد فى نواحي

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٢٦ .

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٩ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٢٥ .

- اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

- الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٤٦٥ .

- ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٨٧ ، طبعة ليدن ، بدون تاريخ.

المدينة ، أو القرى فكان البيع ، والشراء يقتصر على أحد أيام الأسبوع مثل سوق الأحد بالقيروان (١) وسمى بذلك لانعقاده يوم الأحد كل أسبوع.

(١) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٣١٢ .
- الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ٤١ .

الفصل الرابع

الحالة الاجتماعية لدى البربر في العصر الأموي

- القبيلة
- توزيع القبائل البربرية
- العصبية ودورها في المجتمع البربري
- عناصر المجتمع في بلاد المغرب
- النشاط الصناعي
- مظاهر الحياة الاجتماعية
- الإعتقالات العامة والخاصة

الفصل الرابع

الحالة الاجتماعية لدى البربر في العصر الأموي

مما لا شك فيه أن التنظيم الإجتماعي لشعب البربر يقوم على أساس قبلي فالبربر قسمان : برانس ، وبتر ، ومنهما يتفرع البربر إلى عدة قبائل رئيسية ، ومن هذه القبائل الرئيسية تنبثق قبائل صغيرة ، ثم تنقسم هذه القبائل إلى فروع ، وبطون ، وأفخاذ ، وفصائل .

وعلى هذا ينقسم البربر إلى عدة فئات إجتماعية ، على رأس هذه الفئة الإجتماعية بصفة عامة شيخ القبيلة .. وشيخ القبيلة يطلق عليه عند البربر لفظ "أمغار" بمعنى رئيس ، أو كبير ، أو سيد ، أو زعيم القبيلة (١) يعتبر شيخ القبيلة أعلى سلطة تنفيذية في القبيلة ، حيث يتولى شئون القبيلة تبعا للتقاليد ، والعادات الخاصة بالقبيلة ، فيعين الضعفاء ، ويفتح بيته للنزلاء والأضياف ، ويدفع الديات عن فقراء قبيلته ، ومن الجدير بالذكر أن لشيخ القبيلة صفات ، وشروط لا بد من توافرها فيه حتى يستطيع أن يتولى هذا المنصب ، منها أن يكون من ذوى العصبيّة ، ورجاحة العقل ، والغنى ، والهيئة ، والسخاء ، والحلم ، والشجاعة ، والحنكة ، والمحافظة على تماسك القبيلة فرب هفوه صغيرة تصدر منه تثير حربا أو تسبب كارثة للقبيلة (٢)

القبيلة : هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل مشترك تجمعهم وحدة الجماعة ، وتربطهم رابطة العصبيّة (٣) للأهل والعشيرة .

والقبيلة في البادية دولة صغيرة ، لها مقومات الدولة باستثناء الأرض الثابتة التي تحدد منطقة نفوذها ، فأهل الوبر بسبب تنقلهم الدائم وراء مصادر

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٤٦٤ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٤٦٤ . د/ السيد سالم : التاريخ السياسي

والحضارى للدولة العربية ، ص ١٢ .

(٣) رابطة العصبيّة : هي شعور بالتماسك ، والتضامن ، والاندماج بين من تربطهم الدم ، وتقوم العصبيّة أساسا على النسب [د/ السيد سالم : مرجع سابق ، ص ٩]

المياه لم يكن لهم أرض ثابتة (١)

وتعتمد القبيلة على قاعدة أساسية : وهى الأسرة ، التى تنسب إلى فرع رئيسى سواء كان لجد ، أو لأب ، ومن هنا تأتى محافظة القبيلة على نسبها، بحيث لا تسمح بدخول فروع غريبة إلى القبيلة بصفة عامة ، لذلك يكون الإتحاد القوى بينهم عن طريق رابطة الدم ، مما يجعل الإرتباط بين الأفراد وثيقا إلى الحد الذى يجعل كل فرد مسئولا عن الجريمة التى يرتكبها أحد أفراد أسرته (٢) والفرد يلبي نداء قبيلته إذا دعتة إلى نصرتها فى ساعة الخطر ، ويقبل الفرد داخل القبيلة تحمل بعض مسئولية أعمال غيره (٣) وكل قبيلة تحكم تبعا لرغبات الأهلىن أنفسهم بلا تدخل من أحد (٤) وقد تتفاوت القبيلة من حيث عدد أفرادها (٥) فنجد شكل القبيلة قد يتحول إلى شكل الأمة ، أو الشعب ، فترى قبيله زناته ، وصنهاجة تضم كل واحدة منها عددا من القبائل ، حتى إن صنهاجة تبلغ فى عددها حوالى ثلث أمة البربر (٦) وتضم القبيلة طبقات إجتماعية متعددة تعتبر قاعدة المجتمع البربرى وتشمل العلماء ، والتجار ، والصناع ، والزراع ، والرعاة . بالإضافة إلى اليهود ، والنصارى، وقد تمكن العرب من الإستقرار خلال العصر الأموى وعن طريق هذا الإستقرار تم الإندماج بين القبائل البربرية ، وخاصة بعد ولاية حسان بن النعمان التى امتازت بالإهتمام بالعمل الإدارى الذى أدى إلى استنقرار القبائل العربية الوافدة إلى المغرب ، فاستقرت حيث مكن لها ، وبدأت حياتها على هذه الأرض التى فتحتها ، وصالحت عليها (٧)

من جانب آخر لا تعرف القبيلة الحدود السياسية الموجودة الآن ، وإنما لها مناطق نفوذ تستطيع أن تتحرك فيها بسهولة ويسر ، فنجد القبائل البربرية

- (١) د/ السيد سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص ١٠ .
- (٢) محمد عبدالفتاح إبراهيم : إفريقيا الأرض والناس، ص ٥٩، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.
- (٣) د/ السيد عبدالعزيز سالم : مرجع سابق ، ص ١٠ .
- (٤) محمد عبدالفتاح إبراهيم : مرجع سابق ، ص ٥٨ .
- (٥) لكل فرد الحق فى الحديث فى هذا المجتمع ، وإن كانت السيطرة فى الواقع ترجع إلى كبار السن وحدهم [محمد عبدالفتاح إبراهيم : مرجع سابق ص ٥٨]
- (٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٥٢ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .
- (٧) د/ شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ، ص ١٧٠ ، سنة ١٩٥٢م ، مصر .

كانت موزعة فى إفريقية على مساحات كبيرة قبل الفتح الإسلامى ، فنجد مثلا فى مدينة برقة قد إستقرت قبيلة لواته التى عقد معها عمرو بن العاص صلحا فى بداية الفتح الإسلامى (١) ويرجع استقرار قبيلة لواته فى برقة منذ قدوم البربر إلى بلاد المغرب (٢) وقد تفرعت قبيلة لواته إلى عدة قبائل منها فزاره ، ومغرطه ، ومصعونه ، وزكوده ، ومزاته (٣) وقد ساعد استقرار قبيلة لواته فى هذه المنطقة إلى إمتداد نفوذها من سرت إلى مدينة أجدابية ، بالإضافة إلى المناطق الممتدة على سواحل برقة وطرابلس ، فضلا عن المناطق الممتدة فى الصحراء التى تسيطر على طرق قوافل التجارة بين السودان ، وموانى البحر المتوسط إلى التجارة مع مصر فى الشرق ، وقد شاركتها قبيلة مسراته فى التجارة بين مصر ، وبلاد الجريد بين إفريقية وأرض السودان (٤) وفى مدينة طرابلس ، كانت تسيطر عليها قبيلة هواة البرنسية من أول مدينة تورغه من آخر أعمال مدينة سرت إلى طرابلس ، وظلت هواة تسيطر على طرابلس خلال العصر الأموى ، حيث انطلقت منها عدة ثورات شاركت فيها قبيلة هواة (٥) وقد استقرت أيضا فى السواحل الممتدة من سرت إلى شرقى جبل نفوسة (٦) كما شاركت قبيلة زناته قبيلة هواة فى سكنى طرابلس (٧) بالإضافة إلى استقرار قبيلة نفوسة فى جبل نفوسة وجبل طرابلس (٨) وفى مدينة قابس كانت تسكن كثير من القبائل البترية من لواته ونفوسة ، ويسكن فى جلولاء قبائل من ضريسة ومرينة (٩) وبالقرب من مدينة سفاقس كانت تستقر قبائل من لواته ونفوسة (١٠) كما وجدت عشائر صغيرة تعود إلى هواة قرب مرماجنة فى وادى مجردة الأعلى (١١) وفى بلاد الجريد كانت تسكن قبائل

-
- (١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٨٨ .
(٢) الإدريسى : صفه بلاد المغرب ، ص ٥٧ .
(٣) اليعقوبى : البلدان ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .
(٥) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٣٠١ .
(٦) الجربى : مؤنس الأحبة ، ص ٣٢ .
(٧) الجربى : المصدر السابق ، ص ٣٢ .
(٨) اليعقوبى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .
(٩) البكرى : المغرب ، ص ٥٣ ، ٥٤ .
(١٠) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١١٤ ، ١١٨ .
(١١) اليعقوبى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

بدوية حيث تكثر بها الواحات بالقرب من نفطة وتوزر ، وقفصة قبائل نفزاوة وحول بسكره قبائل سدراتة وبنو مغراوة (١) كما يسكن قسنطينة بعض بطون نفزاوة (٢) أما مدينة الأربس (٣) فكانت عامرة بالبربر من بطون هوارة التى امتدت من ضواحي الأربس ، وتبسة ، وساحل تونس حتى ضواحي باجة (٤) أما كتامة فكانت تمتد فى المنطقة الواقعة بين بجاية وقسنطينة ، كما كانت قبائل زوارة تتاخم منطقة استقرار قبيلة كتامة (٥) واستقرت حول مدينة باغة قبائل مزاته وضريسة (٦) وفى باجة استقرت قبيلة صنهاجة فى الجبال المطللة على المسيلة (٧) كذلك كان جبال الأوراس موطنًا لكثير من القبائل خاصة أوربة التى سكنت فى غرب الزاب والأوراس منذ بداية الفتح (٨) وجراوة قبيلة الكاهنة فضلا عن قبائل من هوارة ، ومكناسة ، وكتامة ، ولواتة ، ونفزة ، ونفوسة ، ومديونة (٩) على الجانب الأخر انتشرت القبائل العربية فى مختلف أنحاء إفريقية ، فوجدنهم يتركزون بصفة خاصة فى المدن الكبرى، ونقاط الحاميات ، فوجد مدينة برقة من أوائل المدن التى استقر بها العرب نظرا لقربها من مصر ، بالإضافة إلى أنها تعتبر مقر لإستقبال الحملات المتقهرة ، وإعدادها مرة أخرى لاستئناف الحملات مرة أخرى ، فوجد زهير ابن قيس البلوى تراجع أمام كسيلة ، وكان يريد برقة ولكنه قتل ، وأيضا حسان بن النعمان فبعد هزيمته من الكاهنة رجع إلى برقة واستقر بها وبنى

-
- (١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ .
 (٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١١٦ .
 (٣) مدينة الأربس : بالضم ثم السكون ، والباء مضمومة : مدينه بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب [البكرى : مصدر سابق ص ٤٦ .
 - ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٥ ،]
 (٤) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ١٤٢ .
 (٥) المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٢٨ .
 (٦) البكرى : مصدر سابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
 (٧) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .
 (٨) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٤٦ .
 (٩) اليعقوبى : البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥١ . أحمد سوسه : العرب واليهود فى التاريخ ، ص ٦٠٠ ،
 الطبعة السادسة - خلدون تاريخ ، ومشق .

هناك قصورا تسمى قصور حسان (١) ومكث بها حتى أعد العدة ، واستطاع أن يهزم الكاهنة مرة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن وجود حسان بن النعمان في مدينة برقة قد ساعد على إستقرار بعض القبائل العربية ، وخاصة العرب اليمينية سواء كانوا من الأزد ، أو لخم ، أو غسان ، كما استقر بجوار برقة بصفة خاصة في ودان قبائل يمنية من حضرموت ، وقيسية من بني سهل. (٢)

أما مدينة طرابلس .. فقد سكنها أيضا العرب اليمينية ، ودليلنا على ذلك أن أهم زعماء الإباضية في طرابلس ، وكان من بينهم عبدالله بن مسعود التجيبي ، وعبدالجبار بن تليد الحضرمي (٣) وكذلك أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري (٤)

بالإضافة إلى مدينة القيروان ، التي تعتبر معقلا هاما للعرب منذ اختطاطها ، فقد وزعت الخطط عليهم ، وليس هناك من شك في أن قريش استأثرت بالإقامة في القيروان لذلك أخذ الفهريون المنطقة المجاورة للمسجد مع الجهة الشمالية منه (٥) ووزعت الأراضي على بقية القبائل من المدينة وهم الأنصار ، وبقية القبائل اليمينية الأخرى الذين ينتمون إلى عشائر غفار وحضرموت وغيرهم ، فقد اختطوا منازلهم في الأماكن المجاورة ، وكذلك من مضر ، وربيعة ، وقحطان (٦) وقد تعرض سكان القيروان للنزوح منها خلال بعض الفترات ، فنجد أنه بعد مقتل عقبه في تهوذه ، وتمكن كسيلة من دخول القيروان ، نزع منها جزء من العرب (٧) وحدث ذلك أيضا بعد أن تمكنت الكاهنة من الإنتصار على حسان بن النعمان ، وكان إنتشار العرب في المدن الساحلية مثل الأربس التي كانت من أهم المعاقل الحربية المتاخمة

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٧٠ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ١١ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٣٠١ ؛ ٣٠٢ .

(٤) البكري : مصدر سابق ، ص ٢٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٦) اليعقوبي : البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ص ٣١ .

للقبائل البربرية ، وخاصة فى العصر الأموى (١) كما أنتشر العرب أيضا فى مدينة قابس وسوسه حيث يوجد بها رهط عمر بن الخطاب (٢) وأخيرا مدينة تونس التى كان بها من الجند والعرب ما يعادل القيروان وخاصة من أهل الشام (٣) كما أنتشروا فى خط مستعرض فى داخل البلاد ، فاستقروا فى سطفورة ، حيث يوجد بها قوم من قریش ، وقضاة ، وغيرهم. (٤)

ولعل إختلاط العرب من سكان إفريقية من يمنية ، وقيسية أدى إلى النزاع بينهما ، ويعرف عرب الشمال "بالمضرية" أو "القيسية" ، وعرب الجنوب يعرفون "بالكلبية" أو "اليمنية" ، ومن الواضح أن الصراع بين اليمنية، والقيسية صراع قبلى ، ولكنه فى الحقيقة صراع على السلطة ، والنفوذ والمكانة الإجتماعية ، وقد استفادت الخلافة الأموية من هذا الصراع لإيجاد التوازن بينهما ، بالإضافة إلى تنمية موارد الدولة المالية حتى أن هشاما مال إلى اليمنية فى بداية حكمه ، ثم تحول عنهم ومال إلى القيسية ، لأنه كما يرى أحد الدارسين (٥) عرف كيف يستميلهم لما طبعوا عليه من حب المال ، فعهد إليهم بحكم الولايات التى عرفوا كيف ينتزعون منها الضرائب ، وأرى أن هذا رأى قد جانبه الصواب لما فيه مبالغة فى حق هشام بن عبدالمك أحد ساسة بنى أمية المشهور لهم بالكفاءة وحسن السياسة والكياسة ، فليس من المعقول أن يميل هشام مرة إلى هذه القبيلة ومرة أخرى لتلك القبيلة لمجرد جمع المال، وإنما الصواب هو أنه كان يرى أن هذه القبيلة لا تصلح فى هذه الفترة ، وإن رأى فى ظروف جديدة تستدعى تغير نظام حكمه هذه القبيلة لما فيه من المصلحة ونشر الإسلام بين البربر ، ومن الجدير بالذكر أن القبائل

(١) وقد دخل مدينة الأربس فى العصر الأموى بنو غافق ، ووجوده من جند بنى أمية ، وخاصة خلال خلافة هشام بن عبدالمك ، ولكن هؤلاء اضطروا إلى ترك المدينة إلى قسنطينة ، وبلاد

الجريد نتيجة لإصطدمهم بالبربر [ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج١ ، ص ٨٢ ، ٨٣]

(٢) اليعقوبى : البلدان ، ج١ ، ص ٣٤٨.

(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٨٦.

(٤) اليعقوبى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٣٤٨.

(٥) دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، ص ١٤١.

اليمنية قد إعتد عليها معاوية بن أبى سفيان فى العمليات البحرية فى الشام
لما عرف عنهم من حب للتنظيم والطاعة (١)

العصبية ودورها فى المجتمع البربرى :

العصبية : هى شعور بالتماسك ، والتضامن ، والإندماج بين من تربطهم
رابطة الدم ، وتقوم أساسا على النسب بالإضافة إلى أنها تعتبر رابطة
إجتماعية تربط أفراد جماعة قائمة على القرابة بصفة دائمة ، ويظهر هذا
بوضوح عندما يكون هناك خطر يهدد الأفراد كأفراد ، أو جماعة (٢)

والعصبية نوعان : الأولى عصبية الدم هى أساسا تعتمد على القرابة فى
البيت الواحد.

الثانية : عصبية الإنتماء إلى أب أو جد مشترك من نسله تكونت القبيلة أو
القبائل المنتسبة إليه (٣) وتدل كلمة عصبية على التنازع ، والفرقة ، والإهتمام
بالأنساب ، وقد استقر فى الأذهان ، أن العصبية دعوة إلى الفرقة ، والعمل
على نصره فريق ضد آخر .. ولكننا لا نجد هذا إلا فى حالة النزاع فقط ،
لأن الحياة القبلية تعتمد فى حالة الحرب ، والدفاع عن النفس إلى اتحاد أكثر
من قبيلة حتى تستطيع إثبات وجودها بين القبائل ، وفى هذا المعنى نجد أن
العصبية تعنى "شدة ارتباط المرء بعصبته ، أو جماعته" ، والجد فى نصرتها
والتعصب لمبادئها (٤) وتساعد العصبية على الترابط الإجتماعى بين أفراد
القبيلة ، بالإضافة إلى أن العصبية تعتبر من أهم الصلات القبلية ، وإلى هذا
يشير ابن خلدون قائلا : " إن صلة الرحم طبيعى فى البشر إلا فى الأقل ، من
صلتها النعرة على ذوى القربى ، وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم
هلاكة ، فإن القريب يجد نفسه غضاضة من ظلم قريبه ، أو العداة عليه ،
ويود لو يخول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك" . (٥)

(١) د/ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣ .
(٢) محمد عابد الجابرى : العصبية والدولة ، ص ٢٥٣ : ٢٥٤ ، سنة ١٩٧١ م ، الدار البيضاء .
(٣) د/ السيد عبدالعزيز سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، ص ٩ .
(٤) لويس معلوف : المنجد فى اللغة ، ص ٥٠٨ . الجابرى : مرجع سابق ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٢٨ .

وصفوة القول : أن العصبية ضرورة من ضروريات حياة المجتمع القبلي، فلا وجود للقبيلة إلا بعصبيتها ، والعصبية تضمن سلامة القبيلة ، وتحمى بقائها، وتدافع عنها وعن طريقها تلتمس لنفسها أسباب الحياة في المجتمع القبلي.

ومن الجدير بالذكر أن القبيلة بها عدد من العصبيات ، ولا بد لأحدهما أن تكون لها السيطرة على باقى العصبيات ، وذلك لتحقيق قوة القبيلة فابن خلدون يذكر : "أن القبيل الواحد ، وإن كانت فيه بيونات مفرقة ، وعصبيات متعددة ، فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها ، تغلبها وتستتبعها ، وتلتحم جميع العصبيات فيها ، وتصير كأنها عصبية كبرى ، وإلا وقع الإفتراق المفضى إلى الإختلاف ، والتنازع". (١)

ومما لا شك فيه أن استقرار الأسر العربية فى إفريقية "بلاد البربر" قد ساعد مجتمع البربر فى انتشار الإسلام بين قبائله ، فقد خضع هذا المجتمع بعد الفتح العربى فى نظمه الإجتماعية ، وأخلاقه ، وتقاليده ، وعاداته لقواعد الإسلام ، فنجد أن العرب قد توالوا على إفريقية منذ بدأت مرحلة الفتح الأولى، فقد شاركت أعداد كبيرة منهم فى حملة عبدالله بن سعد بن أبى سرح فى سنة ٢٧هـ / ٦٤٨م وتصدرت قريش هذه الأعداد بكثير من أبنائها بما فيهم أعداد من الصحابة ، بالإضافة إلى القبائل المحيطة بالمدينة المنورة ، مثل جهينه وسليم ، وغفار ، وغطفان (٢) كما ضمت حملة معاوية بن حديج عام ٣٤هـ / ٦٥٤م عددا من المهاجرين والأنصار ومن أبنائهم ، وخاصة ممن كانت لهم خبرة بالحرب فى إفريقية ، فنجد عبد الملك بن مروان ، وسليمان بن يسار ، وجبله بن عمرو الأنصارى (٣) بالإضافة إلى عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، ويحيى بن عبدالحكم (٤) كما دخل أهل الشام مع **حسان بن النعمان** ٧٤هـ / ٦٩٣م (٥) وكانوا فى الغالب من العرب اليمنية ،

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٣٩ .

(٢) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٣ .

(٤) المالكى : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ١٨ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٥) المالكى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

كما دخلت جموع من العرب اليمنية مع موسى بن نصير ٨٧ هـ / ٧٠٦ م وظل العرب يتوافدون على إفريقية طوال العصر الأموي ، وخاصة العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز عام ١٠٠ هـ / ٧١٨ م إلى جانب العرب الذين وفدوا إليها للتجارة والإستقرار بها ، بالإضافة إلى جيش كلثوم بن عياض القشيري الضخم الذي أتى لإفريقية لقمع ثورات البربر التي اندلعت في أواخر العصر الأموي ١٢٢ هـ / ٧٤٢ م (١) ومما هو جدير بالذكر أن استقرار القبائل العربية في إفريقية أدى إلى نقل العادات والتقاليد العربية إلى قبائل البربر المختلفة ، وقد ساهم ذلك التشابه الكبير بين العرب والبربر في العادات ، والتقاليد ، ونمط الحياة مما جعل هذا التأثير واضح ، فقد حاول العرب في بداية فتحهم لإفريقية إلى كسب ثقة البربر ، وأن العرب جاءوا بالإسلام ، ومبادئه السمحة قوم غير اليونان ، والرومان فعمل العرب على نشر الإسلام ، وتوضيح مبادئه ، ولم يكن هذا العمل بالأمر السهل ، وخاصة في بلاد المغرب "البربر" نظرا لطبيعة البلاد ، وكثرة المحتلين لأرضهم ، والذين تسببوا في ترك بقايا من الخوف ، والكراهية لدى البربر لكل ما هو شكل من أشكال الحكم ، والسلطة ، فكان على العرب إزالة هذه البقايا ، وتمهيد الطريق لنشر الدعوة الإسلامية ، ومن حسن الطالع أن مساوي الروم قد ازدادت في الفترة التي سبقت فيها دخول العرب بلاد المغرب ، وذلك بعدما فقدت الروم مصر ، فركزوا على بلاد المغرب ، كي تمدهم بالحبوب اللازمة لدولتهم وإلى ^{جانب} الضرائب الكبيرة التي بالغوا في جمعها من السكان فما كان منهم إلا أن تركوا مزارعهم ، ومتاجرهم ، والنجاة بأنفسهم ، أدى هذا كله إلى وجود حالة من الكراهية ، والعداء بين الجانبين ، فما كان البربر إلا أن تلمسوا سبيل الخلاص من الروم (٢)

على الجانب الآخر نجد أن عقبة بن نافع الفهري شرع في بناء مدينة القيروان عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م والتي ساعدت على اجتذاب السكان إليها ، فنهض العرب في نشر الإسلام بين السكان الأصليين "البربر" في جد ، واجتهاد ، وخاصة بعد أن تهيأت للعرب فرصة الإتصال بالبربر بالإضافة

(١) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧١ .

(٢) محمد بن تاويت : الأدب المغربي ، ص ٤٤ .

إلى أن العرب حرصوا على إشراك جند من البربر مع جنود العرب فى الفتوح ، فنجد أن أبا المهاجر عندما ظفر بكسيلة زعيم قبيلة أوربة ، فما كان أبو المهاجر إلا أن عرض عليه الإسلام فأسلم ، ثم أحسن إليه أبو المهاجر (١) ولم يجد العرب أية صعوبة تمنعهم من الإختلاط بهؤلاء السكان ، وإنما وجدوا أحوالهم العامة تشجع على الإندماج ، والوحدة السريعة معا داخل الدين الإسلامى ، فالتشابه الكبير بين العرب ، والبربر فى البيئة التى يغلب عليها الطابع الصحراوى ، وهو الأمر الذى ترتب عليه نتائج ذات طبيعة متشابهة من حيث الإجتماع والعمران ، فكأن المغرب "البربر" عرفوا التنظيم القبلى مثل العرب ، وعرفوا حياة الحضر ، والإستقرار ، كما عاشوا حياة التنقل ، والبدوة ، فطبيعة بلاد المغرب الصحراوية تشبه جغرافية بلاد العرب ، وأن العصبية القبلية مثلما هى عند العرب أساس نظامهم الإجتماعى (٢) وهذا التشابه فى العمران أوجد عادات وتقاليد مؤلفة أو متقاربة ، وقد لاحظ حسان ابن النعمان تتطابق السمات والظروف بين العرب والبربر ، فقسم الأراضى والفئ بينهم بالمساواة التامة (٣) أى أنه لم يفرق بين العربى والبربرى فى الواجبات والحقوق ، بالإضافة إلى التسوية بينهم فى الحرب وعند النصر فى الأسلاب والغنائم ، أدت هذه المعاملة الحسنة التى عامل بها حسان البربر وخاصة بعد انتصاره على الكاهنة ، فلم تأخذه نشوة الإنتصار والإنتقام من البربر ، فضرب لهم حسان المثل والقُدوة فى المعاملة ، والتى يدعوا إليها الدين الحنيف ، أدى هذا تدعيم الصلات والتقارب بين العرب والبربر ، وكان من الطبيعى أن يقبل البربر على الإسلام بمبادئه السمحة حين يتم النصر للعرب (٤)

ومن الجدير بالذكر أن حسان بن النعمان يعتبر من أول الولاة الذين خطوا خطوات كبيرة ومؤثرة فى دعم العلاقات بين البربر والعرب ، فقد أشرك حسان البربر ضمن صفوف جيشه بل أكثر من هذا ، فقد ولى محمد

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٢٨ : ٢٩ .

(٢) د/ سنوسى يوسف اباهيم : زناته والخلافة الفاطمية ، ص ٤٩ .

(٣) المالكى : رياض النفوس ، ص ٣٦ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٨ .

- الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج١ ، ص ٩٤ .

(٤) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

ابن أبى بكر ، وهلال بن اللواتى على مقدمه جيشه وهم من البربر ، بالإضافة إلى الجنود التى بلغت اثنى عشر ألفا الذين انضموا إلى الجيش الإسلامى عقب انتصار حسان على الكاهنه ، فعقد حسان عليهم لولدى الكاهنة فخرج هذا الجيش يجاهد مع إخوانهم العرب ضد ممن لم يدخلوا فى الإسلام سواء كانوا من الروم ، أو البربر (١) وقد حاول موسى بن نصير تغيير الحالة السيئة لبلاد المغرب ، تلك الحالة حولت أهلها إلى السكون ، بعد أن أرهقهم منازعات عمال الروم ، فاتجه موسى إلى بث روح الإسلام فى السكان ، وذلك بالعمل على الرفع من شأنهم ، وتكريمهم ، بأن الإسلام يهدف إلى حماية حقوقهم ، وأموالهم من عدوان الحكام ، كان هذا خير نافذه يسلك منها موسى لأهل المغرب ، ومشاركتهم فى السراء ، والضراء ، فقد ثبت أن موسى بن نصير دأب على الخروج لمواساة الناس أثناء المجاعات التى تعرضوا لها ، فخرج مع الناس مرة إلى الصحراء للإستسقاء ، وقام فيها إلى منتصف النهار ثم خطب الناس ، ولكنه لم يذكر الوليد بن عبدالمك ، فقيل له ألا تدعوا لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى ، فاستجابت السماء لصلاة الإستسقاء وانهمرت الأمطار وعمرت البلاد بالزروع والأقوات (٢)

وعمل موسى أيضا على احترام السكان بالسهرة على مطالبهم ، وراحتهم ، فأدى ذلك إلى إزالة الرواسب التى تخلفت لدى البربر عن أصحاب السلطان ، فاعتبر العرب الأراضى التى كانت تابعة للسكان الأصليين "البربر" أرضًا مفتوحة صلحا ، وتركوها فى يد أصحابها يؤدون عنها المال للدولة ، واعتبروا البربر أحرارا لهم ما للعرب من حقوق ، عليهم ما عليهم من واجبات ، من ناحية أخرى ، اعتبر العرب الأراضى التى كانت تابعة للروم أراضى مفتوحة عنوة ، واعتبروا من بقى فيها من الروم ، وتابعيهم موالى يتصرفون فى شئونهم كما يريدون (٣) هذا إلى جانب أن العرب تركوا

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١١٢ .

- ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٤٢ .

- ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص .

(٣) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٧٧ .

حرية التصرف للبربر فى شئونهم الخاصة ، بحيث تكون لكل قبيلة من القبائل نظام ، أو خطة تتصرف فيها ، وتؤدى مالها ، وتكون مسنولة عنها ، هو الشئ الذى لم يألفه البربر من قبل من الروم ، فأدت هذه الخطوة إلى تقارب القبائل بصفة عامة إلى العرب حيث التشابه فى طبيعة البلاد والنظام الإجتماعى ، فكان من السهل على العرب تقوية حلقة الإتصال ، وجعلها متينة تقوم على أساس من الإحترام المتبادل ، والثقة الكاملة ، فساهم ذلك فى الإمتزاج الحقيقى بين الطرفين ، والقضاء على وثنية الحضارات القديمة ، وسيطرة الروم ، ونقل المغرب إلى الحياة الإسلامية العربية الجديدة ، وكان التطور سريع واسع الخطى (١)

وقد ساعد موسى بن نصير على الإنطلاق السريع فى أداء رسالته ما تمتع به من حرية كبيرة فى تصريف الأمور ، فقد فوضته الخلافة فى إختيار العمال الذين بعث بهم إلى شتى أنحاء بلاد البربر ، وقد ثبت أن أولئك العمال كانوا على درجة عالية من المقدرة ، وحسن التصرف فى تنفيذ ما جاء به العرب إلى أرض البربر ، وقد كفل التنظيم الإدارى الذى وضعه موسى بن نصير لبلاد المغرب ، الإستقرار والهدوء ، حيث ألف البربر الفاتحون الجدد "العرب" وإدارتهم . هذا وقد اعتمد موسى بن نصير على أبنائه فى الرقابة الإدارية على العاملين فى المغرب لأنهم أصحاب خبرة كبيرة ، ومكانة عالية بشئون المغرب بفضل ما قاموا به من حملات فى شتى أرجائه (٢) وقد ظهرت ثمار التطور فى بلاد المغرب ، وخاصة موسى بن نصير الذى صنع من أبنائها جندا يتسابقون فى رفع راية الإسلام ، ولم يكتفى موسى بذلك ، وإنما أتاح للتطور الطبيعى لعلاقة العرب بالبربر بأن يعهد بالقيادة العليا للجيش الموجود بطنجة إلى رجل من البربر وهو "طارق بن زياد" ، وهذه الخطوة كانت فريدة من نوعها حيث أنها لم تقتصر على البربر فقط ، وإنما عمل تحت قيادته جند من العرب قدر بحوالى سبعة عشر ألفا ، بالإضافة إلى اثنى عشر من البربر (٣) ويعتبر ظهور طارق بن زياد خير دليل على ما

(١) شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى ، ص ١٧٤ ، ١٨٥ .

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٢٢٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٤٢ .

تجلى به هذا القائد من دعم الصلات بين العرب والبربر ، وخاصة بعد أن أصبح المغرب يطل على أرض جديدة هي أوروبا إذا علمنا الدور الكبير الذى لعبه البربر مع العرب فى فتح الأندلس ونشر الإسلام بها .

ومن الجدير بالذكر أن القبائل العربية التى هاجرت إلى بلاد المغرب ، واتلقت بالبربر قد قامت بعملية تطعيم لهذه البلاد بألوان الحضارة الإسلامية^(١) التى وصلت إلى مستوى مرتفع فى عهد عبدالملك بن مروان الذى كان له الفضل فى نقل الدواوين إلى العربية فى الشام ومصر والعراق ، ومن الواضح أنه شمل إفريقية حيث كون حسان بن النعمان نظام إدارى وحياة حكومية منظمة تقريبا^(٢)

وكان أهم الدواوين فى بلاد المغرب التى تنفذ سياسة الأمويين وتتولى الإشراف على مصالح العرب والبربر على قدم المساواة "ديوان الجند" الذى ينظم توزيع العطاء أى رواتب الجند ويسجل أسمائهم ، ويصرف لهم عطائهم^(٣) هذا ، ويعتبر البربر البتر أسرع إندماجا بين الفاتحين الجدد ، وذلك بسبب التشابه الشديد بين العرب ، وبينهم سواء كان فى النظام القبلى أو أسلوب الحياة^(٤)

عناصر المجتمع فى بلاد المغرب :

البربر : وهم الغالبية العظمى التى يتكون منها سكان بلاد المغرب وقد تحدثنا عنهم بالتفصيل فى التمهيد^(٥)

= - ليفى بروفنسال : نخب تاريخية ، ص ١١ ، سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٣ م ، المغرب .
 - حسن ابراهيم حسن : زعماء الإسلام ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٣ م .
 (١) د/ محمد المعتصم سيد : القاهرة والحضارة الإسلامية فى إفريقية ، ص ١٥ .
 (٢) د/ شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ص ١٨٢ .
 - د/ السيد سالم : التاريخ الحضارى للدولة العربية ، ص ٤٢٢ .
 (٣) د/ شكرى فيصل : مرجع سابق ، ص ١٨٢ . د/ عبدالشافى عبداللطيف :
 العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص ٥٦١ ، سنة ١٩٨٤ م القاهرة .
 (٤) د/ حسين مؤنس : عالم الإسلام ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، الزهراء للإعلام العربى سنة ١٩٨٩ م .
 (٥) راجع التمهيد ، ص ١ : ٢٦ .

الأفارقة : أطلق عليهم العرب منذ بداية الفتح عجم إفريقية ، أو الأفارقة الأعجم ، وكان استقرارهم بصفة خاصة في مدينة قابس التي عرفت بأنها مدينة الأفارقة الأعجم (١) أما أهم الأعمال التي كانوا يقومون بها فإن معظمهم إما زراع ، وإما تجارا ، بالإضافة إلى وجود أصحاب الحرف بينهم ، لذلك نجد هؤلاء الأفارقة يحرصون على الإلتزام بدفع الجزية للعرب ، وخاصة في بداية الفتح لابن أبي سرح من الأموال التي نتجت عن الإلتجار في زيت الزيتون (٢) وكان لهم نشاط في ثورات الخوارج ، فقد مالوا إلى الصفرية ، وكان عبدالأعلى بن جريح الأفريقي زعيما لهم ولاه ميسرة حكم مدينة طنجة(٣)

الروم : استقر الروم في عدة مدن منها مدينة الزاب وقسنطينة ، وتورز بالإضافة إلى استقرارهم بالساحل (٤) وقد اصطدم العرب بالروم في بداية الفتح ، ثم اتحدوا مع البربر لمقاومة الفاتحين العرب ، ولم يعدل الروم عن سياسة مساندة البربر إلا بعد أن لحقت بهم أضرار ، وخسائر من جراء سياسة الكاهنة التخريبية للبلاد ، ومن هنا لجأوا إلى حسان ، واستتجوا به وقدموا له الأموال (٥) لكن الروم أغاروا على قرطاجنة فما كان من حسان بن النعمان إلا أن أمر بهدم المدينة عام ٦٩٧ / ٧٨ . (٦)

ويضم مجتمع البربر بين جنباته أيضا عدد من الأقليات مثل النصارى، واليهود.

- (١) الأفارقة أو "الأفارق" : هم خليط من المستعمرين اللاتين وبقايا الشعب القرطاجني القديم ومزارعي البيزنطيين وصناعهم ونفر من البربر المتحضرين استقروا ، ودخلوا في طاعة البيزنطيين ، وكانوا يسكنون النواحي الساحلية العامرة المحيطة بالمداين البيزنطية ، ويجمع هذا الخليط حياة مشتركة في الأرض ، والإرتباط في المعيشة ، فهم إما زراعا ، أو تجارا ، أو أصحاب مهن ، ولكنهم ليسوا أرباب حكم ، أو أصحاب سلطان ، لذلك دخلوا في طاعة المسلمين بلا مقاومة [د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥ .
- د/ شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٢ م ، دار العلم للملايين ، بيروت]
- (٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٨ .
- (٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ١١٩ .
- (٤) المالكي : رياض النفوس ، ج١ ، ص ١٧ .
- (٥) ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٣٢ .
- (٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٤ .

النصارى : استقر النصارى بمناطق متعددة في بلاد المغرب ، وخاصة في المدن الساحلية حيث كانوا يشتغلون بتجارة الزيتون (١) فقد اشتهرت مدينة تطوان بأنها كانت عامرة بالنصارى قبل دخول الإسلام إليها (٢) كما وجدوا في مدينة القيروان منذ انشائها ، كما وجدوا أيضا في مدينة تونس التي عمرت منذ بداية إنشائها بمائة أسرة قبطية من مصر منذ ولاية حسان بن النعمان (٣) ، من ناحية أخرى تمكن معظم النصارى من الهرب من إفريقية أثناء تخريب الكاهنة لإفريقية عندما ظنت خطأ أن العرب إنما يطلبون الاستيلاء على المدن والذهب والفضة ، فأمرت قومها بقطع الشجر ، وهدم الحصون ، وإتلاف المزارع ، والمراعى ، فخرج يومئذ من النصارى ، والأفارقة خلق كثير ، مستغثين مما نزل بهم من الكاهنة ، ففرقوا على الأندلس ، وسائر الجزر البحرية (٤) فمنهم من هاجر إلى أسبانيا ، وصقلية والولايات البيزنطية الأخرى ، وخاصة بعد أن صفى حسان بن النعمان ، وموسى بن نصير الموقف الحربى (٥) أما البقية الباقية منهم ، وخاصة كبار الزراع ، وأصحاب الصناعات ، والتجار ، لا يعنيه بالدرجة الأولى من يكونون هؤلاء الفاتحين بقدر ما يهتموا بمصالحهم الخاصة ، ومن الجائز أن يستجيبوا لهم فيما يدعون إليه ، تدفعها إلى ذلك حاجتها التي تحكمها ، والتي تسيطر عليها فهي أقرب إلى أن تتخلى عن لغتها إلى لغة أخرى وما ينطبق على اللغة ، يسرى على الدين لأنهم عندما يتركوا لغتهم ، ويتحولوا إلى لغة هؤلاء الفاتحين ، وهى اللغة العربية ، سوف لا يمنعهم مانع من تغيير دينهم إما عاجلا ، أو آجلا ، والدخول فى الإسلام ، وأما من تمسك بدينه فقد وجد فى الإسلام حرية ، وسماحة للعقيدة ، فنجد أن حسان قد صالح عجم ، ونصارى إفريقية على الجزية (٦) وثبتت هذه الرواية أن حسان بن النعمان ، على إرساء المبادئ الإسلامية فى السكان بصفة عامة ، وغير المسلمين بصفة

(١) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ١٣١ .

(٢) محمود داود : تاريخ تطوان المجلد الأول ، ص ٦٤ ، طبعة تطوان بدون تاريخ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٧ ، ٣٩ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) د/ شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٦) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٨ .

خاصة ، ولم يقم بالتعذيب ، أو الطرد ، أو النفي ، وإنما أقرهم على دينهم ، وصالحهم على الخراج ، والجزية .

واصل موسى بن نصير ما بدأه الولاة السابقين ، وخاصة حسان في إرساء المبادئ الإسلامية ، فعند فتوحاته لمدينة أغمات هيلانة ، وجد بها جماعات من المسيحيين الذين ذاقوا ألوان الإضطهاد الديني على أيدي الروم ، ولم يثبت أن موسى عامل هؤلاء المسيحيين كما عاملهم الروم ، ولكن عمل موسى على ترك مجموعة من الفقهاء العرب يعلمون السكان القرآن ، والفرائض ، ويثبت أركان الدين الجديد في الطرف الشمالي من بلاد المغرب^(١) ويعد السماح للنصارى ببناء كنائس أكبر دليل على سماحة الولاة في العصر الأموي لهذه الطائفة من المجتمع ، ولم يذكر لنا أبو العرب أى من هذه الكنائس ، ومكانها ، وأهم الأعمال التى كانوا يمارسونها سوى حرفة الطب ، والتجارة^(٢)

اليهود : دخلت الأفكار اليهودية إلى المغرب منذ وقت مبكر مع المهاجرين الذين أتوا من الشام منذ الإضطهاد الرومانى^(٣) ثم مع المتهودين الذين جاءوا من اليمن ، وقد سكن بربر اليمن الجبال فى الغالب ، وبربر الشام سكنوا جزيرة جربة حيث توجد بقاياهم إلى الآن^(٤) وربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية ، وأخذوا عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم للشام ، فدخلوا المغرب ، وكانت قبيلة الكاهنة أهل جبال أوراس التى كانت تدين باليهودية يقاتلون العرب لأول الفتح^(٥) ويعتبر اليهود أقلية ليس لها تأثير فى المجتمع ، وقد استقروا فى عدة مدن منها مدينة جادوا^(٦) حيث يسكنها يهود كثيرون ، كما وجدوا أيضا فى مدينة أغمات حيث كان لهم نشاط كبير فى

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ١١٢ .

- د/ عبدالمنعم : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٢) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٩٩ ، ١٨٤ .

(٣) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٤) الكعك : البربر ، ص ٥٠ .

- د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٥) الكعك : مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٦) مدينة جادوا : وهى إحدى مدن جبل نفوسه [البكرى : المغرب ، ص ٩]

التجارة الخارجية والداخلية (١) وقد استقروا أيضا فى مدينة القيروان وابتشروا فى أرجائها وكان لهم سوق خاص بهم (٢)

استطاع هؤلاء اليهود نشر ديانتهم بين البربر ، حتى إنه يروى أن الكاهنة كانت تعتنق اليهودية (٣)

ويضم مجتمع البربر فئات مختلفة أخرى مثل الرعاة ، والفلاحين ، والصناع ، والتجار .

الرعاة : عرف العرب ، والبربر النظام القبلى ، وهذا النظام ينفق مع طبيعة البيئة الصحراوية التى عاشوا فيها ، من ناحية أخرى كان نشاط هذه القبائل يتفاوت حسب طبيعة البيئة ، ما بين الزراعة عند أهل الإستقرار ، وبين الرعى عند أهل البداوة ، فالرعاة ينتشروا فى كل أنحاء المغرب ، وخاصة المغرب الأوسط ، حيث وجود نبات الحلفا ، كما نجد مدينة برقة التى تشتهر بمراعيها التى تجود فيها تربية الغنم المعروفة بلذة لحمها ، وكثرة شحمها (٤) ورعاة الغنم ينتقلون عادة بقطعانهم بين المراعى المرتفعة الموجودة على الجبال ، والتلول لما تتميز هذه المناطق بالدفء الضرورى للحيوان ، وخاصة من أجل النتاج (٥)

من الجدير بالذكر أن رعاة الغنم ، والإبل ينتشرون حيث توجد النباتات الخشنة الصالحة لرعى الإبل ، والتى لا تصلح طعاما لغير من الحيوانات الصغيرة ، وتوجد هذه النباتات فى صحراء المغرب الأقصى يطلق على هذا النوع من الرعاة "الرعاة العظام" (٦)

الفلاحون : سكن الفلاحون فى الأقاليم ، والقرى الزراعية الجيدة مثل باجة ، وتونس ، وطبرقة ، وبونة ، وبجاية ، وقسنطينة ، ومعظمها مدن تشتهر

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦ ، ٣٧ .

(٢) الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٩٨ .

(٣) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٤) مجهول : الإستبصار ، ص ١٤٣ .

(٥-٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٢١ .

بزراعة القمح (١) هذه المدن تتوافر بها الأمطار ، وأيضا المناطق الساحلية فى المغرب الأقصى ، بالإضافة إلى الأقاليم الشرقية من المغرب فى مرتفعات غرب ، وشمال تونس ، وفى جبل نفوسه جنوبى طرابلس ، هذا إلى جانب جبل برقة. (٢)

ومن الجدير بالذكر أن أهم العوامل التى أثرت على مجتمع البربر "العامل الإقتصادى" ومدى تأثيره فى حياة القبائل البربرية ، من ناحية ضعفه وقوته ، ومما لا شك فيه أن تطور مجتمع البربر له دور فى تحسين ، وارتفاع مستوى معيشة أفرادها ، ويضم العامل الإقتصادى ، الزراعة والصناعة ، والتجارة .. وفى الزراعة اشتهر الشمال الأفريقى بالزراعة لاعتدال مناخه وجودة تربته ، وقد زرعها الرومان قبل الإسلام ، فلما فتحه المسلمون وجدوا ظلال أشجاره متصله من طرابلس إلى قرطاجنة ومنها إلى شمال قسنطينة (٣) بالإضافة إلى القمح ، يوجد الشعير الذى يزرع فى أماكن متفرقة من البلاد ، فقد زرع بالقرب من مدينة برقة هذا إلى جانب شهرة جبل نفوسه بزراعة أنواع جيدة منه كما وجد أيضا فى مدينة طنجة وبونة (٤)

أما محصول الأرز فكانت زراعته قليلة ، واقتصر وجوده على بعض الأماكن من بر العدو فى المغرب الأقصى لقله الطلب عليه ، ولذا لم يولوه العناية الكافية (٥) محصول الذرة .. زرع فى أماكن قليلة من بلاد المغرب ، وكان يأتى فى المرتبة الثالثة لمحصول غذائى بعد القمح ، والشعير ، وقد اهتمت بزراعتها مدن ودان ، وزويلة (٦) وكان محصول الذرة يستخدم كغذاء للفقراء فى مدينة أودغست بينما كان الأغنياء الميسورين يأكلون القمح (٧)

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٦ .

- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٤ ، ٦٧ .

- الإدريسى : صفة المغرب ، ص ٩٩ .

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٣) حسن حسنى : بساط العقيق ، ص ٣٢ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) الفلقسندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٥ .

(٦) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ٦ ، ١٣٣ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ١٥٨ .

وأغلب أشجارها من الزان الذي كان يرسل إلى إفريقيا. (١)

النشاط الصناعي :

كان لوفرة أعداد المواد الأولية اللازمة للصناعة ببلاد المغرب ، عاملا هاما في استمرار وتطور الإنتاج الصناعي ، والمواد الأولية المختلفة سواء كانت معدنية ، أو نباتية ، أو حيوانية، والخامات المعدنية متعددة منها الحديد والفضة ، والذهب ، والنحاس أضف إلى هذا معدن التوتيا المستخدم في صنع النحاس الأحمر، وتحويله إلى نحاس أصفر (٢)

أما الحاصلات الزراعية ، والثروة الحيوانية ، فقد استخدمت في توفير بعض المواد اللازمة للصناعة فإلى جانب الأخشاب ، والقطن ، والكتان ، والحريز ، والزيتون ، فقد وجد شجر التاكوت الذي يدبغ به الجلد الغدامسى ، هذا إلى جانب أشجار الهرجان التي يستخرج منها الزيت (٣)

أما الثروة الحيوانية فقد اهتم السكان في بلاد المغرب بتربية الحيوانات للحصول على لحومها ، وألبانها ، وجلودها ، بالإضافة إلى الأعمال المتصلة بالزراعة من حرث ، ودرس ، ونقل ، ورفع المياة من الآبار ، وقد ساعدهم على ذلك انتشار المراعى الخصيبة في أجزاء متفرقة من البلاد ، فقد اشتهرت مدينة برقة بتربتها الخصبة ، ومراعيها الدائمة الخضرة حيث تصلح فيها السائمة (٤) كما أن مدينة سرت تتجمع مراعيها بعد هطول الأمطار في نواحيها ، بالإضافة إلى مناطق الرعى بالمغرب الأوسط ، فكانت المناطق المرتفعة ، وخاصة في جبال أوراس حيث تتوافر المياة الغزيرة والمراعى الكثيرة (٥) تضم هذه المراعى حيوانات متنوعة ، وكثيرة

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٤ .

(٢) المراكشى : المعجب ، ص ٣٦١ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧١ ، ٣٣٠ .

- الزهرى : كتاب الجغرافيا ، ص ١١٨ .

(٤) مجهول : الإستبصار ، ص ١٤٣ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٨ ، ٨٤ : ٨٥ .

العدد من الخيل ، والبغال ، والحمير ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، والماعز ،
أما الجاموس فلا يوجد عندهم (١)

ومن الجدير بالذكر أن الصناعة في بلاد المغرب كانت منظمة، وخاصة في العصر الأموي فنجد المكان المعد للصناعة ويسمى "القيصرية" وهو عبارة عن دكاكين تقوم الحكومة " الوالى " بنائها على نفقتها فى مكان مربع الشكل محاط به من كل الجهات ، ويدخل إليه من باب واحد ، ويعمل بهذا المكان أصحاب الصناعة مقابل أجر مناسب للحكومة فى كل شهر ، أو كل سنة حسب الإتفاق (٢) وقد راعوا فى تنظيم هذه المنشآت الصناعية ، إبعاد بعض الصناع عن قلب المدينة ، إما لحاجتهم إلى مكان فسيح ، أو لأن عملهم فى منتجات كريهة الرائحة تضر بالصحة ، أو ربما تكون الصناعات المقلقة للراحة ، وكان ينطبق هذا على صناعات متعددة ، منها صناعة الزجاج ، ودباغة الجلود ، والحدادة ، وصناعة الطوب ، والفخار (٣) ويدل تعدد النشاط الصناعى لدى البربر ، وخاصة البرانس فى المغرب الأقصى على إكتمال العمران الحضري ، لأن العمران البدوى لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط ، وخاصة المستعمل من الضروريات ، وإذا تحضر المجتمع ، وارتقى، تزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو إلى عوائد الترف ، وأحواله. (٤)

وقد وجدت صناعات متعددة فى المغرب فى العصر الأموي مثل صناعة الصوف وخاصة التوزرى (٥) وصناعة القطن ، والحريز بالإضافة إلى صناعة الجلد التى لم تكن أقل نصيبا من المنسوجات ، ومن الصناعات

(١) الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١١٣ ، ١٧٦ .

- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

(٢) هذا النظام كان متعارفا عليه ، ومنتشرا فى جميع مدائن المشرق ، والمغرب ، وقد اقتبس

الأمويون هذا النظام من البيزنطيين ، وقد أدخله الخليفة هشام بن عبدالملك فى المدائن

المغربية [حسن حسنى : الورقات ، ج ٢ ، ص ٧٢]

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٥١٣ ، ٥٦٢ ، سنة ١٩٧٥ م ، القاهرة .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٠١ .

(٥) نسيه إلى مدينة توزر فى الجنوب الغربى بتونس حاليا، [د/ محمد زيتون : القيروان ،

ص ١٥٨ .]

أيضا الزجاج ، وصناعة الزرابى التى نقلت من فارس فى العصر الأموى (١) وقد دخلت القيروان فى نهاية العصر الأموى مع الجيش الخراسانى (٢)

مظاهر الحياة الإجتماعية:

أولا الملابس : كان للبربر زى متعدد من الملابس خاص بهم ، ويتحكم فى هذا الزى طبيعة المكان ، والوقت ، ويصنع هذا الزى بصفة عامة من الأقمشة الصوفية (٣) والجوخ (٤) إلا أن الخاصة ، والمايسير من البربر كان فى إمكانهم إرتداء من الأقمشة الرفيعة المصنوعة من القطن ، والكتان ، وهذا النوع من القماش يسمى "الإفريقي" ، وهو قماش رفيع من القطن ، والكتان معا ، أو من الكتان وحده ، وهذا النوع من القماش يعتبر أجل كساوى المغرب (٥) ونوع آخر يسمى "النفسارى" ، ويصنع من حرير ، وقطن ، ونوع آخر من القماش يعرف "بالجزرى" وهو صوف رفيع جدا (٦) وقد صنعت من هذه الأقمشة عدة أزياء منها :

١ - **القشابة :** وهو رواء من الصوف مقفل من أمام ، وبه كمان ، وغطاء للرأس موصول به من خلف ، يقى من برد الشتاء ، ولا يعوق الحركة ، ويستر الجسم كله حتى الرأس ، يفضل لبسها أهل الجبال من البربر (٧)

٢ - **البرنس :** يصنع من الحرير ، أو الصوف أو القطن ، أو خليط منهم ، ويبلس فوق الثياب ، وينسج قطعة واحدة مفتوحا من الأمام ، لا يخاط إلا ما

(١) حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤ : ٣٦ .

(٢) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٥٨ .

(٣) الإدريسى : صفة بلاد المغرب ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، يرتدى سكان المغرب الأقصى الأكسية الصوفية لاشتغالهم بصناعة تلك الأكسية الصوفية [ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ،

ص ١٧٦]

(٤) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ص ٢٢ .

(٥) العمرى : المصدر السابق ، ص ٨ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٧) ديبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٢ : ٤٣ .

يقابل الصدر ليشده إلى الجسم وللبرنس غطاء للرأس موصول به من خلف يقي الرأس من البرد ، والأمطار ، والعواصف (١)

٣ - السراويل : وهى نوعان : الأول السراويل القصيرة التى تنتهى إلى أسفل الركبة وهذا النوع مازال موجودا فى تونس إلى اليوم.

النوع الثانى : السراويل الطويلة التى تصل إلى الكعبين ، وهذا النوع مازال موجودا بطرابلس ، ويلبسون بالتكه (٢) وأما غطاء الرأس فيسمى "الفنور" وهو عباة عن قلنسوه من الصوف ، عاليه ، ملبدة ، مدورة توضع على الرأس ، ويلبس فوقها لحاف صغير من الصوف رهيف ينسج خصوصهما للرأس، وتوضع من فوقه بعمامة سوداء تتخذ من خيوط الوبر (٣)

ومن الجدير بالذكر أن المرأة البربرية كانت ترتدى القفطان واضعة فوقه الحزام الذى يصنع من الحرير ، أو الصوف (٤)

وقد ورث البربر عن الفنيقيين الصباغة الذين اشتهروا بها ، وقد أقاموا لهم مراكز أهمها قرطاجنة ، فلهذا انتشرت الألوان بين الأقمشة لدى البربر ، فابن حوقل يذكر عن أهل إفريقية أنهم كانوا معروفون بحمرة ثيابهم (٥)

لبس البربر النعال فى أقدامهم ، واتخذوها من الجلود ، ومنها ما كان يستر القدم ، ومنها ما يستر القدم وحده ، ومنها الأحذية المدورة ، والموصولة التى تستر الساق إلى الركبة (٦) ويخضع الملبس للعوامل المناخية، كما تؤثر فيه عوامل أخرى كالعادات ، والتقاليد ، واتصالات القبائل

(١) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٤٢.

(٢) التكه : عبارة عن خيط يدخل فى حواشيه من أعلاه فيشد به إلى الخصر [دبوز : المرجع

السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣]

(٣) دبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣.

(٤) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٩٧.

(٥) أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٦٩.

(٦) دبوز : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٣.

ببعضها ، وقد تساعد الحرارة على انتشار العرى عند قبائل الطوارق ، وقد قضى الإسلام فى المناطق التى انتشرت فيه هذه الظاهرة (١)

وضع المرأة :

جرت العادة أن يكون النظام الأبوى هو السائد فى المجتمع البربرى ، فرب العائلة له من النفوذ المطلق على جميع أفراد الأسرة ، وكل من ينضم إلى الأسرة سواء بالزواج ، أو المصاهرة ، أو التبني ، وهذا الأخير قضى عليه الإسلام ، ونظام التبني كان معروفا لدى البربر ، فقد ذكر عن الكاهنة ، وهى ملكة جبال أوراس ، أنها تبنت خالد بن يزيد القيسى "العيسى" (٢) وأخت بينه ، وبين ولديها بوضع الطعام المعروف لديهم "بالبسيصة" على ثديها ليأكلوا منه سويا ، ثم قالت لهم ، أنهم صاروا أخوة (٣) وكانت العائلة البربرية على قدر من التماسك والإتحاد (٤) يدل على ذلك أن الأوغاد فى البربر قلائل ، والوغد عندهم هو المنفرد الوحيد الذى لا أخ له ، ولا ابن عم (٥) وقد احتلت المرأة البربرية مكانة بارزة فى المجتمع البربرى فى بلاد المغرب ، وقد بلغت مكانه المرأة البربرية إلى درجة أن بعض القبائل البربرية كانت تمجد المرأة كل التمجد ، ولا يغيب عنا ما وصلت إليه كاهنة جبال أوراس من سيطرتها على أتباعها (٦) فقد كان بها من الصفات ما جعلها ملكة عليهم ، فقد كانت قوية الشخصية ، ذكية الفؤاد ، حسنة التدبير لشعبها ، فأحبها البربر فحضعوا لها ، ودانوا برعاتها (٧) والقاعدة العامة التى يتبعها البربر فى الزواج هى التزوج بامرأة واحدة (٨) وللمرأة البربرية حق فى اختيار

(١) د/ أحمد سويلم العمري : الإفريقيون العرب ، ص ٣٩ ، مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٧م.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

- الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

- الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٤) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ١٣٦ .

(٦) الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٧) دبوز : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(٨) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥١٢ .

شريكها^(١) وكانت المرأة البربرية لا تكره على وضع الحجاب^(٢) لذلك كانت تعتنى بزینتها ، وتتأنق فى ملبسها ، فوجد مثلا نساء السوس اشتهرن بجمالهم الفائق ، وحسنهن البارع ، وأنشأطن للعمل ، وطاعتن لأزواجهن^(٣) بالإضافة إلى نساء المصامدة اللائى كان لهن اهتمام بشعرهن ، فكن يصبغنه بالحناء ويغسلنه برقيق البيض والطيب الأندلسى^(٤)

ومن الجدير بالذكر أن المرأة البربرية كانت موصوفة بالجمال ، فالخليفة الأموى هشام بن عبدالمك كتب إلى عبيدالله بن الحجاب واليه على المغرب فى طلب الجوارى البربريات واصفا إياهن بالجمال الآخذ بالقلوب^(٥) وقد وصف الرقيق المرأة البربرية "تساء لم يرى الناس فى الدنيا مثلهن"^(٦) وقد أعجب العرب بالمرأة البربرية اعجابا شديدا فقول "أن تزوجوا فى نساءهم، ولا تواخوا رجالهم"^(٧) والمرأة فى كل زمان ، وكل مكان تحب الحلى والتزين به ، وقد تحلى البربر بالأقراط ، والخواتم ، والخلاخل ، والأساور المتخذة من مختلف المعادن ، وكانت الحلى مستعمله لدى الرجال ، والنساء على حد سواء^(٨)

والمرأة البربرية : تتمتع بكل حقوقها ، ولها من الإحترام حيث أنها أساس الأسرة ، فهى أم ، وزوجة ، وأخت ، وقد أيد الإسلام حقوق المرأة فى المجتمع البربرى ، ولا زالت كثير من نواحي المغرب تحتفظ بهذه المكانة^(٩)

المأكل والمشرب : لا شك أن الطعام من أبرز العادات الإجتماعية اليومية التى تبرز مستوى المعيشة ، وقبل بداية تجهيز الطعام ، لابد من تنظيف

(١) عبدالعزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ص ٢٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥١٢ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٠ .

- السفطى : آداب الحسبة ، ص ٥٠ .

(٤) الحميرى : مصدر سابق ، ص ٣٣٠ .

(٥) حسن حسنى عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٦ ، المطبعة التونسية ، سنة ١٣٥٣ هـ .

تونس .

(٦) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٤٦ .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٦٩ .

(٨) أحمد صقر : مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٩) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

الأواني المستعملة مع نظافة من يقوم بالطبخ (١) وتستخدم التوابل بشكل كبير في تحضير الطعام عند البربر (٢) ومن عادات الطعام أن الخبز كان يدخل كل وجبة من وجبات الطعام ، يستوى في ذلك الغنى ، والفقير ، وكان الخبز من القمح ، أو الشعير المتوفر لدى البربر ، وخاصة السوس الأقصى (٣) وينقسم الطعام إلى قسمين أولاً : طعام الأغنياء وشيوخ القبيلة ، ثانياً : طعام العامة الذي اقتصر على عامة السكان.

أولاً طعام الأغنياء وشيوخ القبيلة : كان كثير من أغنياء الناس وأتباعهم قد تعودوا على أن يوضع على كل مائدة بين يدي الرجال ألوان مفردة لون بعد لون. (٤) أولاً البقلية المكررة : تصنع من لحم الضأن السمين ، وتوضع في قدر ملح ، وبصل ، وفلفل ، وكزبرة يابسه ، وكراويا ، وزيت ، ثم يرفع على نار معتدلة ، فإذا نضج اللحم يضاف إليه ماء الكزبرة الرطبة (٥)

ثانياً التفايا : وتتكون من لحم الضأن ، والملح ، والفلفل ، والكزبرة ، وقليل من الماء ، وبصلة مدقوقة ، يضاف إليها مغرفة من الزيت ، ثم يوضع على نار بسيطة ثم تحرك ، ويضاف إليه شئ من اللوز المقشر المقسوم ، وهو غذاء مولد للدم ، صالح للأصحاء ، والناقهين (٦)

ثالثاً السويق : ويصنع كالأتي يخلط دقيق الشعير ، أو القمح ثم يقلى بالزيت ، أو السمن ثم يضاف العسل ، وقد تطور السويق ، فصار يحلى بالسكر ، والتمر ، ويصنع منه نوع من الكعك للأعياد ، ولا زال موجوداً في أنحاء

(١) مجهول : الطبخ في المغرب والأندلس ، ص ٧٩ تحقيق أمبروزيو أديني ميراندا ، منشورات

معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد التاسع والعاشر ، سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢ م ، طبعة مدريد.

(٢) تتكون التوابل من جزء من الفلفل ، وجزءان من الكراويا ، وثلاثة أجزاء من الكبر اليباس ، يدق جميع ذلك ، وينخل ، ويستعمل . [مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٩]

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٣٠.

الوزان : وصف إفريقية ، ص ١٢٧.

(٤) لون : كان الصنف الواحد من الطعام يسمى في بلاد المغرب بهذا الاسم فيقال لون المخلل أي صنف المخلل.

(٥) مجهول : المصدر السابق ، ص ١٥٩.

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٨.

المغرب ، ولا سيما فى وادى ميزاب ، وهو زادهم فى الأسفار ، ويقدم لضيوفهم حيث أنه غذاء صحى لا يفسد بطول الزمان لائق لكل الفصول (١)

رابعا لون المثلثة وطريقته : يقطع لحم "الصدر" فى القدر ، ويصب عليه من الخل أربع مغارف ، ومن الفلفل ، والكرابيا اليابسة ، وزن درهم من كل واحد ، ومغرفتان من الزيت ، وجزء من اللوز ، ومن الماء ما يغمر به اللحم، وما يلقى فى القدر حوالى سته فصوص ثوم ، ثم يوضع فى القدر على النار ، فإذا طبخ اللحم جيدا ألقى فى القدر أربع بيضات ، وقبل النضج يوضع عليه شئ من النعناع (٢)

خامسا لون المرى : يصنع بأن يجعل اللحم فى القدر ، وتوضع عليه توابل ، وبصله مدقوقة بكزبرة خضراء ، وملح ، ثم تلقى عليه ثلاث مغارف مرى ، ومغرفة واحدة من خل ، ومثلها من الزيت ، ويغضى بالماء ، ويطبخ حتى ينضج ، ثم يحمر ، وينثر عليه فلفل ، وقرفه (٣)

سادسا لون الفرطون : اسم لإناء ، وهو على شكل كأس كبير ، واسع الفم، ضيق من أسفل ، يوضع على نار بسيطة ، وبه زيت يترك حتى يغلى ثم يوضع عليه البيض ، والخل ، والزعفران ، والقرفة ، واللوز المخلل المطبوخ ، ويصب الجميع بداخل إناء الفرطون على الزيت المغلى ، ويترك حتى يعقد والتأكد لئلا يلتصق بالإناء (٤)

سابعا لون المعسل : الذى يحلى به بعد انتهاء الطعام .. فهو عبارة عن عسل نقى يضاف اليه من النشا أربع مغارف ، أو واحدة لكل رطل من العسل، مذاب فى ماء الورد ، ويوضع فى قدر ، ويقلب حتى يقارب على الإنعقاد ، ويصب عليه من الزيت العذب قدر ما يطبخ لئلا يحترق ، ويجمل بلوز

(١) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٢) مجهول : الطبخ فى المغرب ، ص ١٢١ ، ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق : ، ص ١٢٠ ، ١٤٣ .

(٤) المصدر السابق : ، ص ٢٧ .

مقسوم ، وإذا كمل طبخة أنزل ، وفرغ فى صحفه ، وقد يزداد فيه شئ من السمسّم المقشّر (١)

القسم الثانى : الأكلات البسيطة المنتشرة بين عامة سكان البربر

أولا العصيدة : وتتكون من ماء مغلى يضاف إليه دقيق القمح ، ثم يحرك حتى ينضج ، ويرفع عليه مرق الزيت ، واللحم ، والبقول ، ولا تزال العصيدة سائدة فى أنحاء من جنوب تونس ، وفى طرابلس ، ولا سيما فى جبل نفوسه ، ويسمىها البربر "أرواى" (٢)

ثانيا : الكسكس (٣) : هو عبارة عن دقيق القمح ينضج بالبخار ثم يوضع فى القدر مع مرق الحليب والسمن ، ومن مرق اللحم (٤)

ومن الأكلات المنتشرة : الشواء .. حيث يتم شواء اللحم ، وخاصة السمين فيؤخذ هذا اللحم ، ويشرح بسكين تشريحا رقيقا ، ويصب على اللحم قدر الحاجة من المرى ، والنعناع ، والخل ، والزعر ، والفلل ، والثوم المدقوق ، وقليل من الزيت ، ثم يضرب الجميع ، وتمرغ فيه الشرائح ، ثم توضع فى أسياخ متساوية لا تكون متداخلة حتى تتمكن منها النار ، وتدار الأسياخ على الفحم إدارة دائمة حتى تتضج ، وتحمر ، كما كان الشواء يتم أحيانا فى الطاجين، ويوضع اللحم فيه ، ويوضع فى الفرن ، من ناحية أخرى كان يدخل فى الشواء الدواجن كالدجاج ، والأرانب ، وبعض الحيوانات كالخرفان والعجول (٥) وقد اشتهر أهل السوس الأقصى بأكل الجراد سواء كان مقلوا أو مملحا (٦) ، وقد اعتمد الرعاة فى غذائهم على ألبان الإبل ، ومن الحيوانات على اللحوم المقددة معنى هذا أن معظم البربر يعتمدون على النظام فى

(١) مجهول : الطبخ فى المغرب ، ص ٢١٥ .

- ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه الأطعمة بهذا الشكل لم تكن موجودة فى معظم بلاد البربر ولا فى العصر الأموى إلا بصورة بسيطة ثم حدث لها تطور حتى كانت بهذا الشكل .

(٢) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٣) الكسكس : يسمى "سكسو" باللغه البربرية وهى أصل كلمة الكسكس وهو الطعام المفضل لدى

معظم البربر [أحمد صقر : مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٦٢]

(٤) دبوز : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٥) مجهول : مصدر سابق ، ص ٢٨ : ٣٣ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٠ .

غذائهم على الجانب النباتي المتوفر لديهم ، بالإضافة إلى بعض اللحوم هذا إلى جانب اعتمادهم على النظام في الأكل (١) وكان هناك طريقة لتقديم الأطعمة أكثر شيوعا في المغرب بين الخاصة ، والعامّة على السواء ، وهي أن يوضع على كل مائدة بين يدي الرجال ألوان بعد ألوان ، وقد شاع استخدام هذه الطريقة منذ خلافة عمر بن العزيز (٢)

أصناف الحلويات:

أولا القطائف : عبارة عن ماء يوضع في قدر حتى يغلي ، ويضاف إليه دقيق حتى يصبح غليظ ، ويسوى على نار حتى يصير عصيده ، ثم يخرج من القدر ، ويوضع في صحفه ، ويقلى عليه العسل (٣)

ثانيا الجزيّنقات : وهي عبارة عن حشو العجين المماثل للكعك بالوز ، والسكر المجروش ، وتشكل على هيئة أزهار ، وورود ، تعد جميع القطع كذلك ثم تنقش ، وتقلّى في مقلاه نظيفة بزيت عذب ، ثم تخرج ، وتوضع في مصفاه ، ويوضع عليه ماء قليل ، ويرفع (٤)

ثالثا القاهريات : طريقة عملها : يؤخذ رطل ، ونصف من السكر ، ويوضع عليه ماء قليل ، ويرفع على نار هادئة ، ثم يضاف إليه اللوز المقشر المدقوق مقدار رطلان ، ويقلب الجميع ، وينزل ، ويترك ساعة ، ويضاف إليه شئ من القرنفل مسحوق بماء الورد ، وشئ من الكافور ، ويقلب الجميع حتى يجف ، ويصنع من كعك ، وتترك حتى تجف قليلا ، ثم تغمس من النشأ المحلول في صحفه ، وتترك حتى تجف ، وحينئذ توضع في مقلاة زيت ، وبعد ذلك تغمر في شراب الورد أو في عسل مصفى (٥)

رابعا الشراب : نجد سكان المنطقة الشمالية بصفة عامة ، وسكان جبل درن بصفة خاصة يشربون عصير العنب ، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد

(١) أحمد صقر: مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٢) مجهول : الطبخ في المغرب والأندلس ، ص ٨٩ .

(٣) مجهول : المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٤) مجهول : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

الجبل وتلجه (١) بالإضافة إلى عصر "أنزير" وهو من العنب الحلو الذي يطبخ حتى يذهب منه الثلث ، ويرفع عن النار ، ويشرب ، ولا سبيل إلى شربه إلا أن يخلط بمثله ماء ، وأهل السوس يرون شربه حلالا مالم يتعدى إلى حد السكر ، لأنه يفعل بشاربه مالا تفعله الخمر (٢) ويعتمد معظم سكان البربر على شرب الماء الصافي في حياتهم اليومية (٣)

المنزل :

يوجد اختلاف واضح في المنزل في بلاد المغرب ، ويتحكم في هذا الاختلاف طبيعة المكان ، والأرض ، والمناخ ، وعلى ضوء هذا يتم البناء ، فنجد منازل المنطقة الشمالية المعتدلة التي يسكنها البربر الحضر عبارة عن قرى (٤) ومنازل صغيرة تبنى بالحجارة ، أو الطين (٥) ، وتسقف بالورق ، والأغصان مع تبليلها من أعلى بالطين منعا للمطر أن ينفذ إلى البيوت ، ومن سكان هذه المنطقة من يتخذ من الجبال منازل له حيث يحفرون في الجبال عدة أمتار ، ويتشكل المسكن بطبيعة الحال بسقفه العالي ، والنوافذ المتعددة (٦) بالإضافة إلى إتخاذ سكان الجبال المنازل من الحجارة (٧) ففي جبل "شيشاوة" وهو فرع من جبل درن تبنى جدران المنازل من الحجر الجاف، أو المملط من الخارج ، وتدعم الأسطح بأعمدة عبارة عن جذوع أشجار مجردة من قشرتها ، ويتسع أعلاها لتحمل ثقل الأخشاب العمودية (٨)

(١) مجهول : الإستبصار في عجائب الأمصار ، ص ٢١١ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣٥ .

(٢) الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .

(٣) أحمد صقر : مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٤) أحمد صقر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٥) القرية : وحدة إدارية تضم كل قريتين أو ثلاث قرى تربط بينهما وحدة إدارية يكونون قبيلة

[محمد عبدالفتاح إبراهيم : إفريقية الأرض والناس ، ص ٥٨]

(٦) لهذه المنازل فوائد منها اعتدال الحرارة في فصل الصيف ، والدفيء في فصل الشتاء هذا إلى جانب الأمان من الأعداء ، وتوجد هذه المنازل بجبال أوراس ، وجبل نفوسه [دبوز : تاريخ

المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤١ ، ٤٢]

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٧٥ . أحمد صقر : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٨) عبدالعزيز بنعبدالله : الآثار الإسلامية بالمغرب ، ص ٣٦١ ، سنة ١٩٥٧م ، فاس .

وتأخذ المنازل شكل شبه مائلا للسقف حتى يسهل عملية انصراف المطر ،
والتلج المتساقط عليها (١)

على الجانب الآخر نجد الجفاف ، وقلة المطر يسود المناطق الجنوبية،
التي يسكنها البربر الوبر فيعتمدون فى البناء على الطوب ، والسقف من
الخشب ، وبعض النباتات ، ويورد لنا الأستاذ دبوز (٢) طريقة للبناء فيقول
عنها أنها عجيبة لدى البربر ، فهى عبارة عن بناء جدارين متوازيين ،
ويملئون ما بينهما بالحصى فيصير جدارا واحدا مرصوصا ، هذه الطريقة
غير مكلفة بالإضافة إلى أنها تقاوم البرد، والحر.

وتصنع أبواب المنازل من أخشاب مسمرة فى إطار فوق عوارض
عمودية ، وقد نقش عليها رسوم بدائية ، وتتوسطها مطرقة من حديد على
أنماط شتى (٣) وتفرش الأرض بالحصير الناعم ، ويستخدمون أغطية طويلة
من الصوف يبلغ طولها من عشرة إلى عشرين ذراعا (٤) وتحوى المنازل
على الأدوات المنزلية مثل القصعات من خشب محفورة بالسكين ، والمغارف
والملاعق الخشبية ، والقدر المصنوعة من الفخار (٥) هذا ، ونعتقد أن منزل
شيخ القبيلة ، والأثرياء من كبار التجار كانت تحوى حجرات عديدة منها
للخدم ، ولخزن المون ، وأماكن للماشية ، ويحيط بالمنزل الحدائق ،
والبساتين (٦)

الإحتفالات العامة والخاصة :

أثر العرب فى المجتمع ببلاد المغرب ، فأدخلوا كثيرا من التقاليد
الإجتماعية التى لم تكن معروفة لديهم من قبل ، كالإحتفالات بالأعياد
الإسلامية الدينية ، ومشاركة الحكومة للناس فى الإحتفال بها ، وهى الإحتفال

(١) الجربى : مؤنس الأحبة ، ص ٣٣ ، ٤ .

(٢) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٣) عبدالعزيز بنعبدالله : الآثار الإسلامية فى المغرب ، ص ٣٦١ .

(٤) الوزان : وصف إفريقية ، ص ١٠٩ .

(٥) الوزان : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٦) عبدالعزيز بن عبد الله : مرجع سابق ، ص ٣٦٢ .

بعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، والإحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ، والإحتفال بروية هلال رمضان ، وكان بداية انتشار هذه التقاليد ، وثباتها في العصر الأموي ، نتج عن هذا تغير النظم الإجتماعية الخاصة بالزواج ، والطلاق ، والميراث ، وآداب السلوك ، والعلاقات الاجتماعية ، وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية . فقد كان إحياء ليالي رمضان مناسبة دينية جلية ، وحدثا اجتماعيا عند البربر ، فقد كانت المدن ، والقرى يتغير نمط الحياة فيها لمدة شهر كامل كل سنة.

وكان يتم احياء ليالي هذا الشهر المبارك بالخروج إلى المسجد الذي تتضاعف إنارتة الليلية ، وتغطي على دروسه النهارية مواد الدين على مختلف المستويات ، وبالتالي تتصاعد أعداد قاصديه ، ويحرص المسلمون على أداء صلاة التراويح ، وقيام لياله (١) كما تكثر الإجتماعات لسماع القرآن ، والذكر ، فيقرأون جزءا من القرآن ، ويسمعون من كتب الواعظ ما أمكن ، ويذكرون ربهم بأنواع التهليل ، والتسبيح ، والتقديس في العبادة ، وكان يحتفل في هذا الشهر الكريم بليلة القدر في السابع والعشرين منه احتفالا خاصا ، إذا فيها أنزل القرآن الكريم ، وكان فيها يقرأ القرآن الكريم بأكمله خلال الليل في المساجد ، وكان يتناوب في هذا رجال نذروا أنفسهم لذلك (٢) كما كانت وجبات الطعام تؤخذ عند الغروب ، ثم في آخر الليل ، وكانت تكثر الدعوات عند تناول الإفطار . (٣)

وإلى جانب تناول طعام الإفطار ، والإمساك ، فقد كان جزء من الليل يصرف في الإجتماعات ، ففي رمضان كانت تتم الزيارات الليلية للأقارب والأصدقاء .

الإحتفال بالعيدين :

الأعياد الإسلامية التي عرفها المسلمون واحدة في جميع الأقطار الإسلامية ، وهما اثنان عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، ويستعد المسلمون

(١) الونشريسي : المعيار المغرب ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٢) الونشريسي : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٥٥ ، ج ١١ ، ص ٢٨٠ : ٢٨٣ .

(٣) التادلي : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ١١٧ .

ومنهم البربر للاحتفال بعيد الفطر إذا قاربت ليالى رمضان على الإنتهاء يبدأ الاحتفال بمشاهدة هلال شهر شوال ، وفى الصباح المبكر من أول أيام عيد الفطر يخرج الناس إلى المسجد لصلاة العيد ، ويحرص المسلمون على تقديم الزكاة بيومين ، أو ثلاثة ، أو تأخيرها حتى قبل صلاة العيد (١) كما كانت الهبات والعطايا تهدى للمعلمين (٢) كما كانت تعطى إلى الفقراء فنجد أن اسماعيل "تاجر الله" كان يوزع على الفقراء والمساكين فى ليلة عيد الفطر (٣)

أما عيد الأضحى : فهو يوافق العشر من شهر ذى الحجة من كل عام ، حيث يخرج المسلمون فى الصباح الباكر لأداء صلاة العيد ، ثم يقومون بنحر الأضاحى ، وتوزيعها على الفقراء ، والمعوزين (٤) من ناحية أخرى ، سلك البربر طريق الحج ، فكان يبدأ الموكب من المغرب الأقصى مارا بالمغرب الأوسط والأدنى مارا بطرابلس ، وبرقة ، ومصر. (٥) ونعقد أنهم كانوا يخرجون مع ركب الحجاج المصريين.

المولد النبوى :

من الإحتفالات الإسلامية التى يعتنى باحيائها البربر المولد النبوى ، فهو عيد كريم يحتفل به تعظيما لرسولنا ، بتلاوة القرآن والأحاديث النبوية ، وذكر آثار الرسول (ص) ، ومعجزاته ، وتتبع سنته العظيمة ، بالإضافة إلى التزين بأفضل الملابس عندهم ، فهو يوم فرح وسرور (٦)

إن الإحتفالات الدينية المتبعة لدى قبائل البربر لم تختلف عن الإحتفالات فى سائر بلدان العالم الإسلامى .

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

- (١) الونشريسى : المعيار المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .
- (٢) الونشريسى : مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٤ .
- (٣) الورقات : حسن حسنى عبدالوهاب ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ : ٣٢٨ .
- (٤) الونشريسى : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٢ .
- (٥) العبدرى : رحلته ، ص ١٥٦ .
- (٦) الونشريسى : مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٢٧٩ .

الفصل الخامس

إنتشار الإسلام واللغة العربية بين البربر

- دور الولاة والصحابة والتابعين في نشر الإسلام .
- دور ريفع بن ثابت في نشر الإسلام .
- دور معاوية بن عبد مناف في نشر الإسلام .
- دور عقبة بن نافع في نشر الإسلام .
- زهير بن قيس البلوي ودوره في نشر الإسلام .
- جهود عثمان بن عفان في نشر الإسلام واللغة العربية .
- دور موسى بن نصير في نشر الإسلام واللغة العربية .
- دور عمر بن عبد العزيز في إيسار الإسلام ونشر اللغة العربية .
- عوامل إقبال البربر على الإسلام .
- أماكن التعليم .
- الخواص ودورهم في نشر الإسلام .

انتشار الإسلام واللغة العربية بين البربر

أدت العلاقات التي نشأت بين العرب والبربر منذ الفتح الإسلامي لإفريقية إلى كثرة الإحتكاك بين الطرفين ، مما جعل البربر على مقربة من مبادئ الدين الإسلامي ، ولغة هؤلاء الفاتحين الجدد ، فنجد أن أول المدن التي فتحها العرب بعد الأسكندرية هي برقة ، والتي قد تأثرت تأثراً كبيراً بالطابع الإسلامي منذ فتحها ، وصحب ذلك انتشار اللغة العربية ، مما أدى إلى تغيير وجه برقة التي كانت تستوطنها قبائل البربر قبل الإسلام ، وتمثل هذا في اللغة ، والعادات ، والتقاليد ، ومما ساعد على هذا الانتشار السريع أن أهل برقة كانوا ساحظين على حكاهم البيزنطيين لعسفهم ، وظلمهم ، ورأوا في قدوم العرب ما يخلصهم من البيزنطيين (١)

كان الهدف الأول للفاتحين العرب هو : نشر الإسلام ، ولغته ، فنجد أن عمرو بن العاص بدأ في نشر الإسلام عقب فتح مدينة برقة ، وأسلم معظم من بها ، وصالح أهلها على العشر ، ونصف العشر (٢) من ناحية أخرى أرسل عمرو بن العاص ، عقبة بن نافع الفهري إلى جنوب برقة ، وخاصة في صحرائها التي لم يجد صعوبة في فتحها ، ولم يجد عقبة مقاومة في طريقة حتى بلغ زويلة ، وما بينها ، وبين برقة من مسلمين كلهم طاعتهم حسنة ، وقد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم الجزية (٣)

(١) د/ محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٩ .

(٢) العشر : يدفعه تجار أهل الحرب .

نصف العشر : يدفعه تجار أهل الذمة من اليهود والنصارى .

ربيع العشر : يدفعه التجار المسلمين باعتبار أنه زكاة ، أو صدقة

[د/ بدوى عبد اللطيف : النظام المالى الإسلامى المقارن ، ص ٦٦ ، سنة

١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، مطابع الأهرام التجارية ، مصر . السيد محمد يونس : الحضارة الإسلامية

في العصر الأموى ، ص ١٧٣ : ١٧٤ ، رسالة دكتوراة بمكتبة جامعة الأزهر ، تحت رقم

[١٤٩٦/ ٩٥٣،٠٣

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٦٤ .

وقد بذل عقبة جهودا كبيرة استمرت حوالى ربع قرن من الزمان يدعوا سكان هذه البلاد إلى الإسلام ، واستطاع ضم معظم قبائل البربر الموجودة فى هذه المنطقة فدخلوا فى الإسلام (١)

ثم يأتى دور عبد الله بن سعد ، الذى أراد أن يزيل السمعة السيئة التى لصقت به ، وأراد أن يكفر عنها بنشر الإسلام بين قبائل البربر ، فقد بذل مجهودا كبيرا فى هذا المجال ، وقد ساعده على ذلك وجود عدد كبير من الصحابة والتابعين بين جنوده فى غزو إفريقية ، حتى لقد سميت هذه الغزوة "بغزوة العبادلة" ، وسمى الجيش جيش العبادلة ، لأنه اجتمع بهذا الجيش سبعة من أفاضل الصحابة كل واحد منهم يسمى عبد الله وهم :

الأول : عبد الله بن أبى سرح ، وقد سبق الحديث عنه فى الفصل الأول ص ٣٦ .

الثانى : عبد الله بن عباس عبد المطلب بن هاشم : كنيته أبو الفضل ، ابن عم الرسول (ص) ولد قبل الهجرة ، دعا له النبى (ص) اللهم علمه الكتاب ، والحكمة فكان أعلم الناس بمعانى القرآن يقال له "الحبر ، والبحر" سمي ترجمان القرآن ، اشتهر بالعلم ، والفقہ ، والحديث ، كان مجلسه جامعا للعلوم المختلفة ، غزا إفريقية مع ابن أبى سرح ، قسم الفئ فيها بين المساكين ، شهد مع على موقعتى الجمل ، وصفين ، روى عن النبى ، وكثير من الصحابة ، ذكر له ١٦٦٠ حديثا ، أخرج له الشيخان ٢٣٤ حديثا اتفاقا على ٧٥ ، وانفرد البخارى بـ ١١٠ حديثا ، ومسلم بـ ٤٠ حديثا ، توفى عام ٦٨ هـ / ٦٨٨م بالطائف ، وقيل أقل من ذلك ، وقيل أكثر . (٢)

الثالث : عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد ، ولد عام الهجرة ، أو بعد الهجرة بعشرين شهرا ، وهو أول مولود للمسلمين بالمدينة بعد الهجرة ،

(١) من هذه القبائل لواته ، نفوسه ، نفزاوة ، هواره ، زواغة [ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٥]

(٢) المالكى : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٤١ . ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠ : ٢٢ .

- أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٤ .

- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٤ .

ويذكر أنه أول من كسا الكعبة بالديباج ، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح قتل جرجير ملك الروم ، وقدم بكتاب الفتح على عثمان ، ثم غزا إفريقية ثانية مع ابن حديج ، شهد فتح جلولاء ، كما شهد الجمل مع عائشة ، له موافق مع الأمويين ، والشاميين ، منها أنه بويع بالخلافة بعد يزيد معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٤م ، حدث عن الرسول أحاديث ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان وخالته عائشة ، وغيرهم ، روى عنه الكثير ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٧٣هـ/٦٩٢م . (١)

الرابع : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، شهد معظم المشاهد الإسلامية ، فتح مصر ، وغزا إفريقية مرتين ، الأولى مع ابن أبي سرح ، والثانية مع معاوية ابن حديج ، قيل فيه إنه جيد الحديث ، ولم يكن جيد الفقه ، كان يحفظ ما يسمع من رسول الله (ص) اتصف بالكرم ، والعبادة ، والورع ، وحرص على اتباع آثار الرسول (ص) وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم ، روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ، ذكر له ٢٦٣٠ حديثاً ، انفرد البخارى بـ ٨١ ومسلم ٣١ حديثاً ، وأخرج له الشيخان ٢٨٠ توفى سنة ٧٣هـ/٦٩٢م وقيل ٧٤هـ/٦٩٤م (٢)

الخامس : عبد الله بن عمرو بن العاص القرشى السهمي ، أسلم قبل أبيه ، وكان يسكن مكة شهد مع أبيه فتح الشام ، وصفين مع معاوية ، ثم ندم ، وقال مالى ولقتال المسلمين ، شهد فتح مصر ، ونزل بها فى دار أبيه ، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ، أكثر من الرواية عن الرسول (ص) وكان قد أذن فى كتابة الحديث عنه ، وكان يقول حفظت عن النبي ألف حديث ، قال عنه أبو هريرة "ما كان أحد أحفظ لحديث الرسول (ص) منى ، إلا عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يعى بقلبه وأعى بقلبي ، وكان يكتب وأنا لا أكتب" ،

(١) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٤١ .

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

- أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٤ .

- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٤ .

(٢) أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٧٣ .

- المالكي : مصدر سابق ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

- الزاوى : مرجع سابق ، ص ٦٤ .

روى عن أبى بكر وعمر وغيرهما ، روى عنه أنس بن مالك ، وكثيرين
اختلف فى مكان ، وزمان وفاته على أقوال كثيرة من سنة ٦٣ إلى ٧٣ -
٦٨٣ - ٦٩٢ م فى مصر ، أو فلسطين ، أو مكة (١)

السادس : عبد الله بن جعفر ... كنيته أبو عبد الرحمن ، أسلم باسلام أبيه ،
شهد بدرا ، وأحدا ، وكان عمره يوم بدر ١٢ سنة ، غزا إفريقية مرتين
الأولى مع عبد الله بن أبى سرح ، والثانية مع معاوية بن حديج ، وكانت معه
فى إفريقية أم ولد توفيت بها ، وكان له منها أولاد (٢) **ومن الجدير بالذكر أن**
معظم هؤلاء الصحابة. لم يكتثوا فى إفريقية فى هذه الغزوة إلا مدة لم تكف
لإقامة حلقات علمية ، ولم يكن هناك مكان ليستقروا فيه كالقيروان فنجد أن
ابن أبى سرح عاد إلى مقر ولايته فى مصر ، بعد أن قضى خمسة عشر
شهرا فى هذه الغزوة، فوصل إلى مصر فى سنة ثمان وعشرين هجرية (٣)
بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الصحابة والتابعين (٤)

(١) المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٤٣ : ٤٤ . ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ،
ص ١٧ .

- أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٣ .

- محمود شيت خطاب : قادة فتح الشام ومصر ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٤ .

(٣) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣١ .

(٤) **منهم : عقبة بن عامر بن عيس الجهنى** ، من قبيلة قضاة أسلم بعد هجرة الرسول (ص)
صحابى سكن مصر ، كان واليا عليها ، غزا منها إفريقية ، وروى عنه من الصحابة ابن
عباس ، ومسلمة بن مخلد ومن التابعين كثير ، شهد أحد ، وصفين ، توفى فى خلافة معاوية
بن أبى سفيان بالشام سنة ٦٧٨/هـ ٥٨ م ، وقيل بمصر [أبو العرب : مصدر سابق ص ٥٨ ،
محمود شيت خطاب : مرجع سابق ، ص ٢٤٩]

ومنهم : أبو عبد الرحمن بن حفص العمري ، روى عنه ابن عبد الرحمن ، والليث بن
سعد ، وآخرون ، اختلف فى قيمة حديثه ، والأكثر على أنه توفى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م
[أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٦٢]

ومنهم أبو عبد الرحمن المسور بن محرمة "مخرمة" القرشى ، أسلم أبوه يوم فتح مكة ، ولد
فى السنة الثانية من الهجرة ، وتوفى النبى وهو ابن ثمان سنوات ، وأمّه أخت عبد الرحمن
ابن عوف ، صحب النبى (ص) وروى عنه ، من فقهاء الصحابة ، وفضائلهم ، شهد فتح
إفريقية مع ابن أبى سرح ، اختلف فى وفاته والأرجح أنه توفى عام ٦٤هـ / ٦٨٤م عمره
٧٣ سنة [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٦٨ ، المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٤٥]
ومنهم : أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى المخزومى ، صحابى ، اشتهر بشعره ، غزا
إفريقية مع ابن أبى سرح ، اختلف فى وفاته زمانا ، ومكانا ، قيل مات فى طريق مكة ، وقيل
فى مصر ، وقيل غازيا بأرض الروم ، كان ذلك فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه
[أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٦٨] =

وتعتبر غزوة عبد الله بن أبي سرح أو غزوة (العبادللة) أكبر غزوة يكون بها هذا العدد الكبير من صحابه رسول الله (ص) ومن التابعين غزت

=ومنهم : أبو صالح حمزه بن عمرو الأسلمي ، صحابي ابن صحابي، روى عن النبي ، وأبي بكر ، وعمر ، ذكر له تسعة أحاديث ، اشتهر بصون الدهر ، شهد فتح إفريقية مع ابن أبي سرح ، له فيها مقامات محمودة توفى سنة ٦١هـ/٨١م [المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٤٩ . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٧٤]

ومنهم : أبو مسلم سلمه بن عمر بن الأكوخ الأسلمي ، صحابي سكن المدينة ، شهد بيعة الرضوان ، بايع الرسول (ص) وغزا عدة غزوات ، كان شجاعا ، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ، روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وروى عنه ابن عباس ، وآخرون ، روى له عن الرسول (ص) ٧٧ حديثا ، توفى بالمدينة سنة ٦٤هـ/٦٨م ، وقيل تأخر إلى سنة ٧٤هـ/٦٩م وهو الأشهر [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٧٤]

ومنهم : عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، يكنى أبا محمد ، صحب النبي (ص) اختلف في زمن إسلامه ، روى عبد النبي (ص) أحاديث : وعن أبيه ، روى عنه عبد الله بن عمر وآخرون ، دخل إفريقية غازيا ، اختلف في وفاته ، فقيل عام ٥٣هـ/٦٧٣م ، وقيل ٥٩هـ/٦٧٩م [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٧٥ . المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٦]

ومنهم : ربيعة بن عباد الديلي ، من قبيلة الديل بن بكر بن عبد مناه بن كنانة ، قرئ اسم أبيه بالكسر ، والتخفيف ، وهو الأشهر ، صحابي ، عمر دهرًا طويلًا ، دخل إفريقية مع ابن أبي سرح ، توفى بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٥ . المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥١ : ٥٢]

ومنهم : أبو العباس معبد أخو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ولد في عهد الرسول (ص) ، لم يسمع منه ، دخل إفريقية غازيا مع ابن أبي سرح ، قتل في شبابه عام ٣٥هـ/٦٥٦م في ولاية عثمان ، وقيل استشهد بعد ذلك في خلافة معاوية ، ذكر أن عليا وواه مکه [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٧٩]

ومنهم : عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، اختلف في صحبته ، يعد من التابعين ، روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعمرو بن العاص ، وروى عنه مروان بن الحكم ، وغيرهم ، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ، أخرج له البخاري حديثا [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٩]

ومنهم : أبو عمر عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولد في حياة النبي (ص) لم يرو عنه ، وإنما روى عن أبيه ، روى له البخاري ، ومسلم ، دخل إفريقية مجاهدا في غزوة ابن أبي سرح ، توفى بالريذة قرب المدينة عام ٧٠هـ/٦٨٩م [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٩]

ومنهم : مروان بن عبد الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي ، ابن عم عثمان بن عفان ، وكتابه في خلافته ، روى عن عمر ، وعثمان ، وعلى ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم ، روى عنه جماعة من التابعين منهم ابنه عبد الملك وغيرهم أنكر بعضهم أن تكون له رواية وصحبه أما حديثه فلم يتهمه أحد ، شهد فتح إفريقية ، والجمل مع عائشة ، وصفين مع معاوية بويح بالخلافة لكن مات فجأة عام ٦٤هـ/٦٨٤م ، وقيل ٦٥هـ/٦٨٥م [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٩ . د/عبد الشافي عبداللطيف : العالم الإسلامي ، ص ١٣٨]

منهم : عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ولد في عهد الرسول (ص) روى عن أبيه وعمه عمر ، وعبد الله بن مسعود دخل إفريقية مع ابن أبي سرح مات مع ابن الزبير ٧٣هـ/٦٩٢م [أبو العرب : المصدر السابق ، ص ٧٩ . الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ١٨٧]

إفريقية ، وهذه الغزوة لها تأثير فى إفريقية أوسع من غزوة عمرو بن العاص لعدة أسباب .

١- أن هذه الغزوة توغلت داخل إفريقية "بلاد البربر" وهذا التوغل أعطى المسلمين العرب خلفية جديدة لم تكن موجودة لديهم ، وخاصة حالة السكان الإجتماعية ، وروحهم المعنوية ، بالإضافة إلى معرفة قوة الروم المادية ، وعلاقة الروم بالبربر ، ومدى ارتباطهم ببعض ، هذا إلى جانب الإحتكاك المباشر بين المسلمين العرب ، وبين الروم والبربر مما مكن العرب من دراسة إفريقية عن كثب ، وخاصة بعد ما عزموا على فتح هذه البلاد ، ونشر الإسلام بها (١)

٢- من ناحية أخرى نجد نتيجة هامة لغزوة ابن أبى سرح ، فقد كان من بين أسرى هذه الغزوة ، وزمان بن صقلاب البربرى (٢) جد بنى حرز ، وهو يؤمّنذ أمير قبيلة مغراوة ، ورفعوه إلى عثمان بن عثمان رضى الله عنه فأسلم على يديه ، ومن عليه ، وأطلقه وعقد له على قومه (٣)

٣- أن هذه الغزوة كان لها أثر كبير فى اسلام كثير من قبائل البربر ، وخاصة البتر منهم مثل قبائل زناتة (٤)

٤- تعتبر هذه الغزوة المحك الرئيسى بعد غزوة عمرو بن العاص ، وقد كانت بداية موفقة لنشر الإسلام ، ودعم مبادئه بين العرب والبربر ، وقد مهدت هذه الغزوة الطريق بعد ذلك لولاه استطاعوا بذل مجهودات كبيرة فى هذا المجال على الرغم من عدم بقاء ابن أبى سرح مدة طويلة فى إفريقية ، فقد قضى خمسة عشر شهرا فى هذه الغزوة فى إفريقية (٥)

(١) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٦٧ .

(٢) وزمان بن صقلاب البربرى : شيخ قبيلة معزاوة وسائر قبيلة زناتة البترية ، قبض عليه ابن أبى سرح وأرسله إلى عثمان بن عفان ، فأسلم على يديه فما كان من عثمان إلا أن ولّاه على قومه وعقد عليهم [ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٠٧ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٩ ، ٣٠]

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .

(٤) الزاوى : مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٥) د/ محمد زيتون : مرجع سابق ، ص ٣١ .

دور رويفع بن ثابت والى برقة فى نشر الإسلام:

أما عن دور رويفع بن ثابت (١) والى برقة ، فقد كان لبقائه بين قبائل البربر فائدة كبيرة فى إرساء قواعد الإسلام ، فقد أمر أصحابه بأن لا يأتوا السبائيا إلا بعد أن يعرضوا عليهم الإسلام ، ونهاهم عن استعمال دواب الغنيمة إلا بعد القسمة ، وقد ساهم رويفع على نشر الإسلام ، وساعد على نشأة جبل جديد من طلاب العلم ، والمعرفة فى إفريقية حين اختط مسجد الأنصار (٢) وهو أقدم مساجدها وأفضلها (٣)

كان قبر رويفع بن ثابت غير معلوم المكان ، حتى عثر فى برقة على حجر مكتوب عليه "هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصارى صاحب رسول (ص)" وأصبح هذا القبر معروفا ، تلتمس عنده الرحمات لقصد صحابته للنبي (ص)(٤)

(١) رويفع بن ثابت الأنصارى بن السكن بن عدى بن حارثة ، وقيل بن خارجة الأنصارى بن مالك بن البخارى ، صحابى جليل ، شارك فى فتح مصر ، وسكنها ولاة ابن حديج على طرابلس ، سنة ٤٦هـ/٦٦٦م ، غزا جربة من طرابلس ، وفتحها ٤٧هـ/٦٦٧م ، توفى ببرقة ، وهو أمير عليها سنة ٥٣هـ/٦٧٣م زمن ولاية مسلمة بن مخلد على إفريقية من قبل معاوية ابن أبى سفيان [الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٨ ، ٧٩]

دخل مع رويفع اثنين أحدهما صحابى والآخر تابعى :

الأول: فضالة بن عبيد الأنصارى الأوسى ، شهد فتح مصر ، تولى القضاء بها لمعاوية بن أبى سفيان ، غزا إفريقية ، توفى بدمشق ، سنة ٥٣هـ/٦٧٣م قيل سنة ٦٩هـ/٦٨٨م [المالكي: رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٥٢. الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ٨٨ . الجربى : مؤنس الأحبة ، ص ٣٧ : ٣٨]

والثانى: حنش بن عبد الله السبائى الصنعائى قيل نسبة إلى صنعاء ، وقيل إنه من اليمن ، شهد غزو الأندلس مع موسى نصير ، له آثار ، ومقامات بإفريقية ، اختط بها دار ، ومسجد لايزال موجودا ، وبه معلم للقرآن يعلم الصغار من الذكور ، والأناث ، توفى بالقيروان عام مائه هجرية ٧٢١م [الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، الجربى : مصدر سابق ، ص ٣٨]

(٢) مسجد الأنصار : هو مسجد كبير بناه رويفع أحد الصحابة ، سنة ٤٧هـ / ٦٦٧م ، بمحرس الأنصار ، وعليه بنى هذا المحرس ليكون محرسا عليه ، وذلك قبل أن يختط عقبة القيروان [د/محمد زيتون : القيروان ، ص ٨٧]

(٣) الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٤) الزاوى : مرجع سابق ، ص ٧٩ .

دور معاوية بن حديج فى نشر الإسلام:

عمل معاوية بن حديج على فتح مدن سواحل إفريقيا ، وخاصة قابس ، وسوسة ، وبنزرت ، ومن جانب آخر إنتهز الروم فرصة إنشغال المسلمين بفتنه عثمان ، والخلاف بين على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، فنقضوا عهودهم ، وارتد بعضهم ، ولكن ثبت بعضهم على اسلامه ، وقد نشأت ألفة ، وتفاهم بين من أسلم ، وبين من بقى فى إفريقيا من المسلمين ، ومن الجدير بالذكر ، أن استقرار جماعة من المسلمين بإفريقية تعتبر بادرة تدل على ضعف شأن الروم ، كما أنهم أول خطوة فى استقرار الإسلام فى إفريقيا، ومزاحمته للمسيحية فى دورها ، ومناطق نفوذها (١)

لقد مر على العرب منذ أن غزوا إفريقيا إلى آخر غزوات معاوية بن حديج ست وعشرون سنة لم يتمكنوا من الإستقرار فى إفريقيا ، وإنما كانوا يكتفون من الروم والبربر بعقد الأمان ، ودفن الجزية ، ثم يرحلون عن البلاد(٢)

كان من حسن الطالع أن حملة ابن حديج كانت تضم عددا كبيرا الصحابة والتابعين من المهاجرين ، والأنصار ، ولا شك أن هذه المجموعة قد أدت دورا كبيرا فى نشر الإسلام فى إفريقيا (٣) وخصوصا أن أهل إفريقية

(١) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٧٦.

(٢) سبب رحيل العرب عن إفريقيا : أن سكان إفريقية كانوا يدينون بغير دين العرب ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعتبرون العرب غزاه فاتحين ، يجب عليهم أن يطردهم من بلادهم ، والعرب يعلمون هذا منهم ، لذلك ما كانوا يأمنون على أنفسهم ، غدرهم وخصوصا أن نجده العرب كانت تصل من مصر ، والشام ، والمدينة وهى مناطق بعيدة عنهم ، إلى جانب أن الروم لا يحترمون العهود والمواثيق فكانوا كما رحل العرب عنهم نقضوا عهدهم ، ومنعوا ما كانوا يؤدونه ، وارتد من أسلم منهم [الزاوى : المرجع السابق ، ص ٧٩]

(٣) من هؤلاء الصحابة والتابعين :

أ- عبد الله بن عمر بن الخطاب سبق الترجمة له ، ص ١٨٥.

ب- أبو زمعه البلوى : من قضاة من قبيلة "بلى" صحابى سكن مصر ، واسمه عبد الله أو عبيد بن أرقم ، وقيل عبد الله بن آدم ، وقيل مسعود بن الأسود ، من أصحاب الشجرة ممن بايع النبى فى بيعه الرضوان ، سكن مصر ، وسار إلى إفريقية فى غزوة بن حديج الأولى سنة ٦٥٤/٥٢٤م ، ومات بالقيروان ، ودفن بمقبرة باب تونس بالبلوية وبه سميت بالبلوية [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٧٦ : ٧٧. المالكي : رياض النفوس ، ج١ ، ص ٥٤]=

ثاروا ، وغضبوا من حاكم هرقل الجديد "أوليمه" (١) لمحاولة فرص ضرائب كبيرة عليهم.

استطاع معاوية بن حديج أن يثبت سلطة العرب ، ويطرد القوات البيزنطية من ساحل سوسه ، ويستولى على حصن جلولاء بالإضافة إلى نشر الإسلام بين قبائل البربر هناك. (٢)

دور عقبة بن نافع في نشر الإسلام:

يعتبر عقبة بن نافع أول قائد عام لبرقة ، وطرابلس ، وإفريقية ، وقد صال وجال في إفريقية مدة كبيرة جعلته على معرفة ، ودراية بأحوال قبائل البربر ، وطباعتهم ، وأخلاقهم ، وعاداتهم ، وكان جل اهتمامه موجهاً إلى دعوة أهل إفريقية إلى الإسلام ، فنجد أن بربر لواته ، وهوارة ، ونفوسه ، وزناته الذين يشكلون سكان طرابلس ، كان معظمهم عند الفتح وثنيون ، ودان بعضهم بالمسيحية وبعضهم باليهودية وقد لقنهم عقبة الدين الإسلامي الذي يكفل لهم سلامه الدارين ، حيث نجح في هداية أكثرهم حتى إنه شكل منهم كان له دور هام في حروب إفريقية (٣)

ولا ريب أن عقبة قد ترك في المغرب جماعة من الفقهاء في المناطق التي كان يغزوها ، ولا سيما التي لم يتم إسلامها لتعليم البربر أمور الدين ، ونشر كتاب الله بينهم ، وتعلمهم العربية ، وليزيدهم إرتباط بالدولة الإسلامية (٤)

=ج- خالد بن ثابت بن طاعن بن العملاق الفهمي: جد عبد الرحمن بن خالد أمير مصر ، وشيخ الليث ، شهد فتح مصر ، دخلها مع ابن حديج ، ولى مصر سنة ٥١هـ/٦٧١م ، وقيل اغزاه مسلمه بن مخلد ، سنة ٥٤هـ/٦٧٤م [أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٣]

(١) د/ محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٢٤ .
- الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٧٣ .

(٢) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٣) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٢٨ .

(٤) ديوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

أبا ليلى دجين بن عامر الحجري : أحد التابعين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل إفريقية ، وأقام بها ، شهد مع عقبة بن نافع المشاهد كلها ، بالإضافة إلى الحروب ، والفتوحات التي كانت بإفريقية روى عنه من أهل القيروان عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، =

ومن الجدير بالذكر أن بناء مدينة القيروان ، وإنشاء مسجدها يعتبر من الأعمال المهمة التي ساعدت على نشر الإسلام ، وتثبيت أقدام المسلمين فى إفريقيا ، لأنها أصبحت حصنا لهم ، فقد أخذ البربر يفدون على القيروان فاختلف البربر بالعرب ، ووجد العرب سبيلا إلى بث ، ونشر الدعوة الإسلامية، فأخذ البربر يتذوقونها (١)

من ناحية أخرى يعتبر إنشاء مدينة القيروان حدثا غريبا من حيث النشأة ، والتكوين لأن هذه البلاد لم تعرف قبل العرب إلا المدن الفينيقية مثل طنجة وقرطاجنة (٢) التي خربت ، وتحولت إلى قرى ، والتي تختلف عن المدن العربية القابلة للتطوير ، والتعديل بحسب حاجات البلاد ، فعلى هذا النمط صارت قرى المغرب ، وبدأت تتحول إلى مدن إسلامية بها المساجد ، والمكاتب لتدريس اللغة العربية ، ونشر مبادئ الإسلام (٣)

استطاع عقبة أن يفتح بلاد كثيرة فى إفريقيا ، ويضمها إلى دولة الإسلام ، وأن يكون جيشا كبيرا من البربر ، مما يدل على أن الإسلام قد أخذ ينتشر بين أهل هذه البلاد "البربر" ويتخذوه ديننا لهم (٤)

وعلى الرغم من الأعمال الجليلة التى قام بها عقبة بن نافع فى ولايته الأولى ، فقد فوجئ بعزله ، بعد أن مكث بها خمس سنوات ، وحل محله أبو المهاجر دينار الذى اتبع سياسة جديدة مغايرة لسياسة سلفه ، فقد اعتمد عقبة على استعمال الشدة مع البربر فى أحيان كثيرة (٥)

=ويزيد بن منصور [المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٩٠ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢٢٤]

- (١) الزاوى : تاريخ العربى فى ليبيا ، ص ٨٦ .
- (٢) محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٧٢٥ .
- (٣) د/حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٨ .
- (٤) د/ محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٢٨ .
- (٥) لعل التعامل مع شعب كبير كالبربر كانت تجربة جديدة واجهت العرب لأول مرة فى تاريخهم ، وكانوا قد عرفوا قبل ذلك الشعوب المسالمة ، والمتعاونة ، ولم يعرفوا شعبا عنيدا يمارس المعارضة عمليا بالحرب فى كل مكان كالبربر ، وتعتبر الزعامة البربرية زعامة قبيلة غير متطورة ، تريد إظهار القوة فى الحرب بلا نهاية ، ولهذا جاء اتجاه القادة العرب ، ومن بينهم عقبة فى بعض حالات التعامل مع البربر مخالفا لسياستهم فى التسامح ، والعفو ، وعدم التطرف فى العقوبة ، هنا نجد خبرة عقبة فى التعامل مع البربر فوجود عقبة بين البربر منذ بداية فتح العرب للمغرب ، جعله يتخير وقت استعمال الشدة بالحزم لأن البربر =

أما أبو المهاجر فقد سلك طريقة استطاع بها كسب المودة عن طريق التفاهم والحوار مع البربر فأنت هذه الطريقة بنتيجة طيبة جذبت كثيرا من البربر إلى الإسلام ، وعلى رأسهم زعيم قبيلة أوربة البربرية "كسيلة" ، وقبيلته الكبيرة ، ويكفي أبو المهاجر فخرا أنه الوالى الوحيد الذى استطاع إدخال قبيلة برنسية كبيرة فى الإسلام ، وكان معظم من أسلم قبل ذلك من البربر البتر (١) كما اشتمل جيشه أثناء حملته على بلاد المغرب على جنود من البربر (٢) بالإضافة إلى أنه صالح عجم إفريقية - النصارى - ودخل من دخل منهم فى الإسلام ، نتيجة للسياسة التى اتبعتها ، وبهذا يعتبر أبو المهاجر قد قام بدور هام فى نشر الإسلام بين البربر (٣)

وعقب عودة عقبة مرة أخرى لولاية إفريقية سنة ٦٢٢هـ/٦٨٢م ، وقبل الخروج من القيروان لمواصلة الفتح ، ونشر الإسلام ، جمع الناس وأولاده وخطب فيهم موضحا هدف الحملة ، وهو الجهاد فى سبيل الله كما أوصاهم بوصية تضمنت : النهى عن الإهتمام بالشعر على حساب حفظ القرآن ، وترك الإستدانة ، ثم الزهد فى أخذ العلم عن المغرورين (٤)

معنى هذا أن هناك شعر يلقى ، وقرآن يحفظ ، وعلم يؤخذ ، وهذا يدل على أن عقبة قد جعل من مدينة القيروان مركز اشعاع فكرى ، وحضارى فى بلاد المغرب.

= كانوا إذا دخل اليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام ، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا ، وارتد من أسلم [ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٣٤] فاستخدام الشدة له ما يبرره حتى يفكر أكثر من مرة من أراد الخروج على النظام.

(١) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٨.

(٢) أمثال حسين بن عبد الله الصنهاجى [المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٢٠]

(٣) المالكي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١.

- د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٦٦.

(٤) نص وصية عقبة بن نافع "ياكم أن تملنوا صدوركم شعر ، وتتركوا القرآن ، املنوا صدوركم من كتاب الله فإنه دليل على الله ، وخذوا من كلام العرب ما تهتدى به ألسنتكم ، ويدكم على مكارم الأخلاق، ثم انتهوا عما وراءه ، وأوصيكم ألا تداينوا ، ولو لبستم العباء ، فإن الدين هم بالليل ، وذلل بالنهار فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعرضكم ، وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم ، ولا تقبلوا العلم من المرخصين فيجهلوكم دين الله ، ويفرقوا بينكم ، وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا ديننا إلا من أهل الورع والإحتياط فهوا أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا ، وعليكم سلامة الله ، وأراني لاتردوني بعد يومكم هذا اللهم تقبل نفسى فى رضاك ، واجعل الجهاد رحمتى من دار كرامتى عندك" [المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٢ .
الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ٤٨ . د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٢١٧ ، ٢١٨]

وفى سبيل نشر الإسلام اتجه عقبة إلى المغرب الأقصى ، وقد استجابت عدة قبائل من البربر ، وخاصة المصامدة لدعوة عقبة ، فترك من أصحابه (١) من يعلمهم اللغة والقرآن ، ولم يعرف المصامدة عقبة بن نافع حتى أسلم أكثرهم طوعا على يديه (٢)

تعتبر ولاية عقبة الثانية ٦٢ - ٦٤هـ / ٦٨٢ - ٦٨٤م إمتدادا لجهوده السابقة ، وفى هذه الفترة كانت معظم جهوده موجهة ضد الروم ، ولايخلوا الأمر أن يكون مع الروم جماعة من البربر ، والأفارقة ، أما البربر فلا نجد لهم أثرا كبيرا فى الدفاع عن إفريقية ، فنجد أن العرب عند فتحهم لإفريقية يمرون فى قلب بلاد البربر ، حيث مروا ببرقة ، وهى موطن لواته ، وبسرت ، وطرابلس وهى موطن هوارة ، وهذه القبائل كانت من أكبر ، وأقوى قبائل البربر ، ومع ذلك لم تقم فى وجه عقبة من خلال إمارته الثانية ، فوجود هذه الكثرة من قبائل البربر فى طريق العرب إلى إفريقية ، وعدم مقاومتها لهم فى كثير من الأحيان دليل على أن البربر نظروا إلى فتح العرب لبلادهم نظرة لا تتفق مع رغبات الروم ، ونتيجة لما لا قوة منهم من سوء معاملة ، واستبداد (٣)

لقد أسلم على يدى عقبة كثير من البربر الذين أحبوا الإسلام ، ودخلوا فيه ، وكون البربر فيما بعد نواه الجيوش التى أتمت فتح باقى بلاد المغرب تحت قيادة العرب (٤) فى النهاية استطاع عقبة بمعاونة البربر الذين دخلوا فى الإسلام فى القضاء على الحكم الرومانى فى شمال إفريقية جملة واحدة (٥)

(١) ترك عقبة أحد أصحابه ويدعى شاكرا بن عبد الله الأردى لتعليم البربر ، وله رباط يعرف باسمه فى دولة المغرب ، وهو حاليا يعرف بسيدى شاكرا [التادلى : التشرف إلى رجال التصرف ، ص ٢٦ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٧ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٠٢ . د/حسن ابراهيم : انتشار الإسلام فى إفريقية ، ص ٧١]

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٢ .

- د/ محمد زيتون : تاريخ المسلمين المغرب الأندلس ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٣) الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٩٣ .

(٤) الزاوى : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٥٢ .

دور زهير بن قيس البلوى فى نشر الإسلام :

أما زهير بن قيس ، فقد كان من رؤساء العابدين ، وأشرف المجاهدين لدرجة أنه رحل إلى المشرق خوفا على نفسه من الفتنة ، ومن بريق الحكم والإمارة فتركها زهدا وورعا (١) ويعبر عن ذلك الناصرى السلاوى بقوله "أما زهير فإنه لما رأى ما منحه من الظفر ، والنصر خشى على نفسه الفتنة فترك القيروان آمنه" (٢)

غير أن أحد الدارسين يرى غير ذلك ، حيث يقول "كانت الأقاليم الشرقية من المغرب فى ذلك الوقت فريسة لغارات تخريبية من جانب الروم ، وهذا هو السبب من غير شك فى عودة زهير نحو المشرق" (٣) وهذا رأى لا ينطبق مع منطق الأحداث ، لأن زهير كان قد انتصر على كسيلة زعيم أكبر قبيلة بربرية "أوربة" (٤) ولو علم بتجمع الروم ، وتخريبهم المدن الإسلامية

(١) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٠ .

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا : ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٣) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٤) يعتبر اسلام كسيلة نقطة تحول كبيرة فى نشر الإسلام بين قبائل البربر ، على الرغم من ارتداده عن الإسلام كما يقال ، لكن أحد الدارسين يرى أن كسيلة لم يرتد عن الإسلام ويدل على ذلك بمعاملته الطيبة للمسلمين عندما استولى على القيروان ، وما كان ليرتد عن الإسلام بعد أن حسن اسلامه ، ويبرر ما حدث بأنه سوء فهم عندما أساء عقبة له ، وأنها مسألة شخصية لا علاقة لها بمبادئ الإسلام المبني على الإخاء ، والمساواة ، ويبرر تأر كسيلة من عقبة لتخليص صديقه أبى المهاجر من يديه [د/سعد زغلول: مرجع سابق ، ج ١، ص ٢٠٧] نقول لو أن كسيلة بالله حق الإيمان لما وقف حجر عثره فى طريق الفتح الإسلامى كما أشار على أبى المهاجر بتخريب مدينة القيروان ، علاوة على أن كسيلة لم يكن الوحيد الذى أسلم على يد عقبة ، ولم نسمع أن عقبة قد أهان واحدا منهم ، لأن هذا ليس هو الإسلوب الصحيح لجذب الناس للدخول فى دين الله أفولجا ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن إهانة عقبة لكسيلة قد تكون مرجعها إلى ، إدراك عقبة أن إسلام كسيلة غير ثابت ، فتصرف عقبة معه بهذا الشكل ، ليكون عبره ، وعظة لكل من تسول له نفسه بالخروج على المسلمين ، فلا يقدمون على محاربتهم ، أما المعاملة التى عامل بها كسيلة المسلمين ، فنجد أنه عندما استولى على القيروان وجد فيها جماعة من المسلمين لم يستطيعوا الرحيل ، فلم يتعرض لهم بأذى ، لأن فيهم جماعات من البربر قد أسلمت ، فاذاؤهم يقلب عليه قلوب قومه [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٨ : ٣٩]

كان اسلام كسيلة حديثا لم يفهم معناه ، ففى أول اختبار حقيقى له ارتد عن الإسلام ، إلا أن اسلام كسيلة قد مهد الطريق لنشر الإسلام بين القبائل المجاورة ، وانخرط بعضهم فى جيش المسلمين ، إلى جانب العرب ، وتعتبر هذه هى المرة الأولى التى يسير فيها العربى بجوار البربرى بهذه الطريقة الودية لفتح البلاد ، ونشر الإسلام ، وتعلم اللغة سويا لدرجة أن استشهاده عقبة ترك أثرا فى نفوس الأهليين [د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ،

لأعد لهم العدة الكاملة ، ولما عاد ، وترك المغرب ، يدل على هذا أنه عندما تصدى للروم كان معظم جنوده موجودين بالقيروان ، ولم يبق معه من أصحابه إلا سبعين رجلا من أشرف الناس (١) ولا يمكن أن يذهب إلى قتال العدو بأشرف الناس وبهذا العدد القليل الذي لا يزيد عن سبعين رجلا فقط ، هذا يدل على أن زهير لم يكن على معرفة بما حدث في برقة إلا وهو في طريق عودته ، بعد أن قرر العودة (٢)

جهود حسان بن النعمان في نشر الإسلام:

أما حسان بن النعمان ، فبعد هزيمته من الكاهنة في "وادي العذارى" عام ٦٩٣هـ/٧٤م انسحب متراجعا إلى طرابلس ، ومكث بها حوالي خمس سنوات ، عاد مرة أخرى إلى المغرب ، وتمكن من هزيمة الكاهنة في جبال أوراس عام ٦٩٧هـ/٧٨م ، ثم بدأت مواهبه تظهر في نشر الإسلام ، فقد اختار مجموعة من جلة التابعين لم تمدنا المصادر بأسمائهم لسوء الحظ ، حتى نتبع جهودهم في تعليم البربر القرآن ، وفرائض الإسلام ، بالإضافة إلى بناء المساجد ، وقد استعملوا في المساجد التي عزموا أن يجعلوا فيها الجمعات (٣)

ومن الجدير بالذكر أن الكاهنة قد ساعدت بطريق غير مباشر على انضمام عدد كبير من البربر إلى حسان ، وهذا راجع إلى سياسة التخريب التي اتبعها ظنا منها أن العرب يريدون المدائن ، والذهب ، والفضة ، ويعتبر لجؤ هذا العدد الغير قليل ، والذي يقدر بحوالي اثني عشر ألفا من البربر إلى حسان ، إلى ثقة البربر الكبيرة في حسان ، على الرغم من أنه بالأمس القريب كان عدوهم الأول ، وذلك راجع إلى حسن سياسة حسان تجاه البربر بالإضافة إلى ما سمعوه ، وما لمسوه من إخوانهم الذين سبقوهم ، ودخلوا تحت راية الإسلام ، ومبادئه السمحة.

فما كان من حسان بن النعمان إلا أن ضم هؤلاء البربر إلى الجيش الإسلامي ، فاعتبر هذا الجيش ذراع قوية للدولة الإسلامية يحمى به ما فتح

(١) ابن عبد الحكم : فتوح العرب للمغرب ، ص ٢٠٢.

(٢) د/ ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان ، ص ٢٥٣ ، بدون تاريخ.

(٣) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٢٣.

من إفريقية ، وصد أي غارات من البربر أو الروم (١) وخطى حسان خطوة هامة أخرى ، وعقد لولدى الكاهنة (٢) على هذا الجيش فخرجوا يجاهدون مع العرب مما يعد قوة جديدة أضيفت إلى قوة المسلمين ، كان من نتيجتها أن البربر لهم دور ضخم في فتح معظم بلاد المغرب الأقصى ، بالإضافة إلى الدور القوى الذى لعبوه في فتح الأندلس ، وضم رقعة جديدة إلى مساحة الدولة الإسلامية. (٣)

دور موسى بن نصير فى نشر الإسلام:

أما موسى بن نصير ، فيعتبر أحد الولاة النشطين فى إعلاء شأن الإسلام ، فقد تمكن من نشر الإسلام فى أرجاء المغرب ، وخاصة بلاد المصامدة الذين دخلوا فى الإسلام طواعيه (٤) وكان لسياسة موسى بن نصير الرامية إلى اتخاذ عدد كبير من الموالى ، أثر كبير فى تجميع أعداد من حوله، مما جعله يشتري عددا كبيرا من الأسرى ، والرقيق ، وإدخالهم فى الإسلام ، وتعليمهم اللغة العربية. وفى سبيل ذلك خصص جزاء كبير من المال الذى يعطيه للخليفة لهذا الأمر ، وكان يأخذ على هؤلاء العهد ، والميثاق بأن يكونوا جنودا أوفياء للإسلام ، وكان يختارهم من الرقيق المعروض للبيع عقب أى انتصار من انتصاراته من خلال فتوحاته فى المغرب من كل من توسم فيه الرغبة فى اعتناق الإسلام ، وخاصة ما ينحدرون من بيوت كريمة (٥) بالإضافة إلى أن موسى كان يترك فى النواحي التى فتحها ،

(١) قدم البربر عقب هزيمتهم من حسان اثنى عشر ألفا من الجنود إلى صفوف المسلمين وهى سياسة لم تحدث فى مصر ، ولا فى أى جزء من ولايات الدولة الإسلامية ، وكان العلماء ، والفقهاء فى الجيش يقرأون لهم القرآن ، ويفسرونه لهم ، ويعلمونهم أحكام هذا الدين ، وما فيه من مبادئ [د/زاهر رياض : شمال إفريقية فى العصور الوسطى ، ص ٤٥ ، سنة ١٩٨١م ، القاهرة]

(٢) كان للكاهنة ولدان : أحدهما يدعى يفرن والثانى يسمى يزديان.

(٣) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨٥ : ٢٨٧.

(٤) كان نشر الإسلام يسير مع الفتح جنبا إلى جنب ، فقد أخذ موسى يفقد الناس فى الدين ، وينشئ المساجد فى البلاد التى فتحها [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٧ ، ٤٣ .

د/حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلامى فى القارة الإفريقية ، ص ٩٠]

(٥) كان موسى بن نصير يختار من الأسرى من يظهر بمظهر الشاب النشط ، وكان أول الأمر يعرض عليهم أن يعتنقوا الإسلام ، فإذا ما تحولوا إليه ، استخدمهم على سبيل التجربة ، فإذا ثبت أن لديهم المقدرة ، وظهرت منهم بوادر مشجعة أعتقهم ، وضمهم إلى جيشه فكان من هؤلاء البربر مستعربون انكبوا على تعلم اللغة العربية ، فأصبحوا قواد للمسلمين ، منهم =

ولا سيما المغرب الأقصى من يعلم أهلها فرائض الإسلام ، ويحفظهم القرآن مثل : حنش بن عبد الله السبائي الصنعائي ، فأسلم كثير من البربر في عهده، وحسن إسلام كثير من هذه النواحي ، فأتم بهذه المساعي الحميدة ما بدأه الفاتحون الأولون (١) بهذا أضاف موسى كثيرا من البربر إلى الإسلام ، سوى بعض جماعات قليلة بقيت على دينها ففرض عليها الجزية (٢)

وقد استطاع موسى بن نصير بما عرف عنه من حب للعدل (٣) والإنصاف أن يجذب إليه معظم أعيان البربر ، وبذلك أثبت أنه قائد ماهر في الحروب ، وفي شئون الدولة ، وتم على يديه جعل بلاد البربر جزء من أجزاء الدولة الإسلامية. (٤)

عمر بن عبد العزيز ودوره في نشر الإسلام في المغرب بين البربر

كان عليه لتحقيق هذه السياسة أن يغير ولاية الدولة الموجودين هناك ، ويعين بدلا منهم ولاية جددا يقومون بتنفيذ سياسته ، فعين على المغرب اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، وقد جمع له في ولايته الحرب ، والخراج والصدقات ، وقبيل ولايته كانت هناك فصل بين أمور السياسة ، والحرب والشئون المالية ، فيكون لكل عاملها الخاص بها ، ولأول مرة يجمع عمر بن عبد العزيز ، أمر الحرب ، والخراج ، والصدقات لوال واحد ، مما يدل على أن عمر كان يثق في هذا الوالي ثقة كبيرة ، ويطمئن إليه ، وكان

=طارق بن زياد فاتح الأندلس ، كما ترك موسى، طارق على طنجة ، وما ولاها ، ومعه عدة آلاف من العرب ، وأمرهم أن يعلموا البربر ، وأن يفقهوهم في الدين ، أما إذا كانت الثانية ، أعادهم إلى بقية الأسرى [ليفى برونفسال : نخب تاريخيه ، ص ١١ . أنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٦٦ ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ . عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ص ٦٣ . د/ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢ ، ص ٣٥٠]

(١) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، ١٣٦ .

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١١١ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦١م ، بيروت . - محمد بن تاويت : الأدب المغربي ، ص ١٠٠ .

(٣) يعتبر موسى بن نصير أول من استقصى في المغرب بعد الفتح ، فقد عين أبا الجهم عبد الرحمن بن رافع التوحى التابعى قاضيا للمسلمين ، وقد اختير فيما بعد من العشرة التابعين لتعليم البربر شرائع الإسلام ، استقصى ، سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م ، توفى بالقيروان سنة ١١٣هـ / ٧٣١م [المالكي : رياض النفوس ، ص ٧٢ . الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ١٩٨ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٠]

(٤) دبور : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

اسماعيل عند حسن ظن الخليفة ، فأحسن السيرة بين الرعية ، وخاصة بين قبائل البربر في المغرب ، فكان خير أمير ، وخير وال ، كما قيل عنه (١)

اهتم اسماعيل بنشر الإسلام بين البربر ، ودعاهم إليه فاستجاب معظم البربر لدعوته ، "فلم يبق في ولايته يومئذ من البربر أحد إلا أسلم" كما ذكر ابن عبد الحكم (٢)

بالإضافة إلى أنه أبطل كثيرا من العادات غير المستحبة ، حيث أن قبيلة لواته كانت تتبع في خراجها بعض أبنائها فقال لعماله "من كانت عنده لواته فليخطبها إلى أبيها ، أو فليردها إلى أهلها" وذلك تطبيقا لمبادئ المساواة التي نادى بها الإسلام ، كان عمر بن عبد العزيز حريصا على نشر الإسلام بقوة بين البربر ، وعلى تعليمهم شرائعه فأرسل مع واليه على المغرب اسماعيل بن عبيد الله (١٠٠ - ١٠١هـ / ٧١٨ - ٧١٩م) عشرة من فقهاء التابعين من الشخصيات القوية ، والنفوس النيرة ، وأمرهم أن يتوزعوا في أنحاء المغرب ، ليفقهوا البربر في الدين ، وليكون الإسلام في سلوكهم كما كان في وجدانهم (٣) وهؤلاء التابعون العشرة هم :

١ - أبو عبد الرحمن الحبلى أو عبد الله بن أبي يزيد الإفريقي (٤)

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ .
 (٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٣ . أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٩٣ ، سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، القاهرة . ويبدو أن قول ابن عبد الحكم شئ من المبالغة ، وليس من المعقول أن يكون البربر كلهم قد أسلموا على يد اسماعيل بن عبيد الله كما ذكر ، وإنما لخطأ في القول بأن معظم البربر كان قد أسلم حتى ذلك الحين ، وإذا كانت قد بقيت في البلاد أقلية لم تدخل في الإسلام بعد ، فستدخله على مر الأعوام [مونس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٨]

(٣) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
 (٤) أبو عبد الرحمن الحبلى ، واسمه عبد الله بن يزيد المعافري ، بعثه عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية ليفقه أهلها في الدين ، فبث فيهم علما كثيرا ، وانتفعوا به ، روى عن جماعة من الصحابة منهم ، عبد الله بن عمر ، وأبو أيوب الأنصاري ، كان رجلا فاضلا ، شهد فتح الاندلس مع موسى بن نصير توفى بالقيروان ، سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م ، ودفن بباب تونس [المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٦٤ : ٦٥ . الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ١٤١ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ . د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٦٥]

٢- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي الكندي (١)

٣- اسماعيل بن عبيد الله الأنصاري يعرف "بتاجر الله" (٢)

٤- أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع التنوحي (٣)

٥- موهب بن حي المعافري (٤)

٦- حيان بن أبي جبلة القرشي (٥)

٧- أبو ثمامة بكر بن سودة الجذامي (٦)

(١) أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي الكندي : بعثه عمر ليفقه أهل القيروان ، وما حولها ، صحب جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، منهم أبو الدراء ، سكن القيروان ، ويبدو أنه حضر ثورة الخوارج سنة ١٢٣م/٧٤١م أيام حنظلة بن صفوان ، وتوفى بعدها مباشرة في القيروان [ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ . المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٦٦ : ٦٧ . أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٧ . د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٠]

(٢) اسماعيل بن عبيد الله الأنصاري : يعرف "بتاجر الله" أطلق عليه هذا اللقب لأنه جعل ثلث كسبه لله تعالى يصرفه في وجوه الخير ، وكان له علم وفقه ، صحب جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، منهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وينسب إليه بناء المسجد الكبير بالقيروان ، سنة ٧١هـ/٦٩٠م ، والذي يعرف الآن بمسجد الزيتون ، وكذلك السوق المجاور للمسجد الذي باسمه ، توفي سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م [المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ص ١٤٦ ، ١٤٧ . أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٨٤ . د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٩٠]

(٣) أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع التنوحي : ولاء موسى بن نصير قاضيا على القيروان سنة ٨٠هـ/٦٩٩م ، روى عنه جماعة ، سكن القيروان وتوفى بها سنة ١١٣هـ/٧٣١م [المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٧٢ . الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٥١ . ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٨ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠]

(٤) موهب بن حي المعافري "بن جنى /واين حبي" : تابعي صحب ابن عباس ، وروى عنه ، وعن غيره من الصحابة ، كان من أهل العلم ، والفضل ، سكن القيروان ، وتوفى بها سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م [أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٨٤ . المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٧٣ ، الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦١ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٦٥]

(٥) حيان بن أبي جبلة القرشي : من موالى بنى عبد الدار ، من أهل الفضل والدين ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم ، سكن القيروان ، وتوفى بها سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م [المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٧٣ . الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٤٨ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠]

(٦) أبو ثمامة بكر بن سودة الجذامي : كان فقيها ومفتيا ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عقبة ابن عامر ، ومن التابعين منهم سعيد بن المسيب ، وابن شهاب الزهري توفى بالقيروان سنة ١٢٨هـ/٧٤٥ - ٧٤٦م [الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

٨- أبو سعيد جعتل بن هاعان بن عمير البتور (١)

٩- أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (٢)

١٠- طلق بن جابان الفارسي (٣)

هؤلاء التابعون كان يحثون الناس على الدخول في الإسلام دون أن يفرضوا ذلك عليهم ، ويبصرونهم بشئون دينهم ، ويقيمون الحدود ، ويحرمون الخمر ويحاربون المفسد (٤) ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء التابعين كانوا على درجة كبيرة من العلم بحيث ذاع صيتهم ، ووفد الناس من شتى النواحي للأخذ عنهم ، فنجد أن عمران بن عوف الغافقي من أهل مصر أخذ العلم عن اسماعيل بن عبيدالله الأنصاري ، وقد أخذ أيضا من أهل إفريقية عنهم كما يذكر المالكي (٥) جماعة منهم "سواده الجرمي ، وعبد الرحمن سبأ" أخذوا عن اسماعيل بن عبيد الأنصاري" هذا إلى جانب توافد الكثير من البربر على المساجد للإستماع إلى الدروس التي كانت تلقى بها (٦) ومن هذه المساجد التي كانت تقوم بهذا بين البربر "مسجد الرباطي الذي بناه أبو عبد الرحمن

-
- =المالكي: رياض النفوس، ج ١ ص ٧٤. د/السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ . د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٦٥]
- (١) أبو سعيد جعتل "جعيل" بن هاعان بن عمير البتور تولى قضاء الجند في إفريقية في أول خلافة هشام بن عبد الملك ١٠٥هـ/٧٢٤م ، توفي فيما يقرب من سنة ١١٥هـ/٧٣٣م [المالكي: رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٧٥ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ . د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٦٥]
- (٢) أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الأعمور القرشي المخزومي بالولاء. استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ، ليحكم بكتاب الله ، ويفقههم في الدين ، أسلم على يديه خلق كثير من البربر ، فكان خير وال ، وخير أمير ، كان ذا علم ، وفقه ، روى عن جماعة من التابعين ، سكن القيروان وتوفي بها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩ - ٧٥٠م [أبو العرب: طبقات علماء إفريقية ص ٨٤ ، الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ١٥٤ . المالكي : مصدر سابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠]
- (٣) طلق بن جابان "ابن طفان" ، "ابن جابان" الفارسي : روى عنه بعض الأفارقة ، والمصريين منهم موسى بن علي ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، روى عنه من أهل مصر يونس بن أبي أيوب توفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م [الدباغ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٢ . المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٧٦ . أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٨٦ . د/السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ . د/سعد زغلول : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٦٥ : ٢٦٦]
- (٤) د/ حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، ص ٩٠ .
- نقولا زيادة : ليبيا العصور الحديثة ، ص ٣٦ .
- (٥) المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٩ .
- (٦) د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٦ .

عبد الله بن يزيد المعافري الإفريقي ، هذا إلى جانب جامع الزيتون الذى بناه اسماعيل بن عبيد الله المعروف بتاجر الله (١) وهذا الدور كانت تقوم به معظم المساجد فى المغرب ، وكان المتعلمون بهذه المساجد يقضون بعض الوقت فى الدراسة ، وخاصة فى القيروان ثم يعودون إلى قبائلهم ، ونواحيهم فيولون وظائف الدين ، والقضاء ، ويعلمون الناس أصول الإسلام. (٢)

ويبدو أن هؤلاء التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز قد اتخذوا من مدينة القيروان مكانا رئيسيا لتعليم الناس ، يدل على هذا ، أن معظمهم سكنوا القيروان ، واختلطوا بها دورا ، ومساجد ، وقبوراً لهم (٣)

عوامل اقبال البربر على الإسلام:

هل انتشر الإسلام بين البربر بالدعوة أم بالقوة؟

لاشك أن الإسلام لا يجبر أحدا على الدخول فيه ، بل إنه يكفل حرية الدين ، والعبادة بين الناس عامة ، وقد انتهج الإسلام الحرية الدينية أسسا سمحه نبيلة، هى أقصى ما يمكن أن يصل إليه تشريع فى حرية الإديان ، فالإسلام فى جوهره دين عقلى ، وبسيط فى العقيدة ، فكل ما يطلب من يدخل فى الإسلام قبول الشهادتين ، لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، ثم تأتى بقية الأركان (٤) ومن هذه الأسس:

١- أنه لا يجبر أحدا على ترك دينه ليعتنق الإسلام إذ "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي" (٥) ، فالناس أحرارا فيما يعتقدون "لكم دينكم ولى دين" (٦)، وأمر الله رسوله (ص) أن يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة واحترام الإسلام معتقدات مخالفية ، ودور عبادتهم ، والأكثر من هذا أن الإسلام على الرغم من القوامه التى هى للرجل على

(١) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ١٣٨ : ١٤١ .

(٢) د/ حسين مؤنس : فتح العرب المغرب ، ص ٢٩٧ .

(٣) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٨٢ : ٨٧ .

- المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٧٥ : ٦٤ .

(٤) أننولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٤١ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٦) سورة الكافرون : آية ٦ .

المرأة ، فيما يخص مصلحة الأسرة ، والصالح العام ، لم يجز للمسلم المتزوج من كتابية أن يمنعها من أداء عبادتها، وشعائر دينها (١)

٢- إن الإيمان الصحيح فى نظر الإسلام هو ، ما كان منبعثا عن يقين واقتناع، لا عن تقليد ، واتباع ، لأن التقليد بغير عقل ، ولا هداية شأن الكافرين ، وأن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه ، وعرف بنفسه حتى اقتنع به ، فمن تربي على التسليم بغير عقل ، وعلى العمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن (٢)

٣- إن الإسلام أباح الإجتهد فى فروع الشريعة لكل قادر ، ومن المتمكن من الكتاب ، والسنة ، واللغة العربية ، وقواعد الإستنباط ، فمن المقرر شرعا أن المجتهد ولو أخطأ مشكور مأجور (٣) وقد ساعد استقرار القبائل العربية بين قبائل البربر ، واختلاطها بهم ، على اتخاذ البربر الدين الجديد عقيدة ، واللغة العربية لسانا لهم ، وقد قدر عدد العرب الذين استقروا بين البربر منذ الفتح الإسلامى ، وحتى اتمام بربع مليون عربى (٤)

وقد أدى تحول البربر إلى الإسلام إلى استعراب الكثير منهم ، أى اتخاذهم اللغة العربية أداة لهم فى الحديث ، والكتابة ، والخطابة ، وأخذهم بالثقافة العربية فى شتى صورها ، إذ يكفى أن تكون اللغة العربية أداة هذا الدين ، ولغة كتابته (٥)

ويذكر الإدريسي "أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر ، فنقلوهم إلى لسانهم بطول المجاورة لهم ، حتى صاروا جنسا واحدا" (٦) مما أدى إلى

(١) وقد رأت بعض المذاهب أن ينبغى أن يصطحبها إلى حيث تودى هذه العبادات فى كنيستها أو فى مكان صلاتها [على عبد الواحد : حقوق الإنسان فى الإسلام ، ص ٣٢١ ، سنة ١٩٥٦م .

دار النيل للطباعة ، مصر]

(٢) على عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) باذل دافدس : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ص ٢٠ ، دار الثقافة ، بدون تاريخ ، بيروت .

(٥) محمد بن تاويت : الأدب المغربى ، ص ٤٧ .

(٦) الإدريسي : نزهة المشتاق : ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

تعلم البربر اللغة العربية التي أخذت في الإنتشار بين الناس ، وخاصة في العصر الاموى ، وأرست قواعد الإسلام (١)

وهناك عوامل أخرى ساعدت اللغة العربية على الإنتشار منها:

- ١- انضمام البربر إلى الجيش العربي للعمل ، والمساعدة في الإدارة العربية.
- ٢- إقامة مدن عربية خالصة بصفة دائمة أنشئت في العصر الأموى ، مثل القيروان ، وتونس.
- ٣- وجود عمليات البيع ، والشراء ، والمعاملات التي كانت تتم في الأسواق ، أدى هذا إلى اختلاط ، واحتكاك متبادل بين العرب ، والبربر في كثير من المجالات.
- ٤- التشابه الموجود بين العرب ، والبربر في نمط الحياة القبلية ، والنشاط الإقتصادي ، والإجتماعى على سهولة الإندماج بينهما.
- ٥- كثرة السبى المتمثل فى الخدم ، والجوارى ، والإماء ، والزوجات الذى دخل بيوت العرب خدما ، وجوارى ، وأمهات ، وأولاد .. إلخ ، أدى إلى إزدياد الإحتكاك اليومي ، والتداخل ، والزواج بينهما ، مما يسرع بحركة التعريب ، وخلق جيل جديد النشأة ، والتكوين ، تتفاعل فيه الأفكار ، والأراء ، بهذا يبلغ التعريب اسمى غاياته ويستكمل كل أطرافه ، ونواحيه (٢) من ناحية أخرى تمكنت اللغة العربية (٣) من الإنتشار بالتدريج فى المغرب ، وساعدها

(١) د/ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) على اليمنى دردير : الحياة الأدبية والنقدية فى الفسطاط ، ومسجدها الجامع ، ص ٢٧ : ٢٨ رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية ، تحت رقم ٢١٧٩ .

(٣) من الجدير بالذكر : أن أى لغة إذ التقت بلغة أخرى ذات تراث حضارى متفوق ، وكان حظها من ذلك التراث قليل ينتهى الأمر بتغلب هذه اللغة ، وكانت أغلب اللغات الإفريقية قليلة الحضارة ، فلم تستطيع أن تصمد طويلا أمام العرب ، وثقافتهم ، ودينهم ، فخضعت لهذه المؤثرات خضوعا تاما [د/حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية بإفريقية ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ١٩٦٣م ، دار النهضة العربية]

على الجانب الآخر ، تعتبر اللغة البربرية لغة فقيرة ، فلقد كانت دون معظم اللغات حظا من الإتساع ، والغنى ، وهى لا تكاد تعدو الحياة اليومية دون أن يكون وراءها الكثير من الثقافة ، والفكر ، وعلى الرغم من فقر اللغة البربرية الثقافى إلا أنها صمدت أمام اللغة العربية بصفة خاصة فى المناطق الصحراوية ، وفى الواحات ، وفى المناطق الجبلية الوعرة حيث كانت =

على ذلك ما أمر به عبد الملك بن مروان من إتخاذها لغة الكتابة الرسمية فى دواوين جميع الولايات الإسلامية ، مما نتج عنه إندثار كثير من اللغات الأعجمية التى كانت سائدة فى إفريقية ، وقد لعبت هذه العوامل جميعها ، دورا كبيرا فى خدمة اللغة العربية ، وقد تعاونت فيما بينهما لإحلال اللغة العربية محل اللغة البربرية ، هذا وقد أدى اختلاط القبائل العربية بالبربر أيضا إلى تطعيم هذه البلاد بألوان من الحضارة التى ساعدت على تفهم هذه الشعوب للأسلوب الحضارى الذى حمله لهم العرب (١)

وقد استفاد البربر من الفتح العربى لبلادهم إستفاده كبيرة ، فقد كان البربر كالعرب قبل الإسلام أمه لا شأن لها ، كانوا قبائل متفرقة يتناحرون فيما بينهم على مناطق المياه التى يعتمدون عليها فى حياتهم اليومية ، الغلبة عندهم للقوى ، ولكنهم أصبحوا أمة كبيرة ، مستقرة فى منطقة الشمال الإفريقى بعد طرد الرومان حكامهم السابقين ، والأجناس الأخرى ، أو من بقى من الروم والأفارق. (٢)

هذا وقد اندمج العرب ، وقبائل البربر فى حكومة مركزية قوية ، بعد اتمام الفتح ، والقضاء على ثوراتهم ، واستطاع الإسلام أن يوحد معظم هذه القبائل تحت قيادة والى الخليفة الذى كان يبعثه إلى إفريقية والمغرب ، فدانت له بالولاء فى هذه الفترة ، بالإضافة إلى نتيجة مهمة لإتجاد هذه القبائل حيث أصبح معظم جيش المسلمين مكونا من هؤلاء البربر الجدد ، لدرجة أن موسى بن نصير ترك لطارق بن زياد عندما ولاءه طنجة إثنى عشر ألفا من البربر والعرب وهو عدد ليس بالقليل ، إذا أن طنجة مدينة واحدة من مدن المغرب الكثيرة والمتعددة ، هذا إلى جانب الدور العظيم للبربر فى فتح الأندلس.

ومن الجدير بالذكر أن البربر قد استفادوا من الفتح العربى لبلادهم ، فبدخولهم فى الإسلام كانت تسقط عنهم الجزية ، وكان لكثرة الضرائب التى

=لغة السكان الأصليين فى المغرب [د/شكرى فيصل: المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول

الهجرى ، ص ١٨١ : ١٨٢]

(١) د/ محمد المعتصم سيد : القاهرة والحضارة الإسلامية فى إفريقية ، ص ١٥ .

(٢) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٧٧ .

فرضت على البربر قد أثقلت كاهلهم ، وجعلتهم يتحنون الفرصة للتخلص من حكمهم الروم ، فلم يتردد أكثر البربر فى التخلص من الروم ، عندما أحسوا بالفاتحين الجدد ، ووجدوا الخلاص من العبودية فى اعتناقهم الدين الجديد "الإسلام" فأقبلوا عليه ليفك أغلالهم ، ويعيد كرامتهم إليهم ، وكان باستطاعة المسلمين الجدد من البربر أن يحصلوا على الأرض ، أو يحتفظوا بها حيث يدفع عنها العشر ، ويحصلوا على العطاء نتيجة التحاقهم بالجيش الإسلامى ، بالإضافة إلى اهتمام بعض الخلفاء الأمويين لهذه البلاد ، وعطفهم على أهلها فنجد أن سليمان بن عبد الملك يوصى عامله على المغرب محمد بن يزيد فيقول له "اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل ، وقد وليتك إفريقية والمغرب كله" (١)

أماكن التعليم:

أولاً... المسجد: يعد المسجد مكاناً هاماً للتعليم ، ونشر الإسلام ، فللمسجد دوران رئيسيان.

الأول: دينى فهو بيت الله ، فيه تقام شعائر الصلاة ، وتؤدى فيه الخطب ، والأعياد ، وتعد مجالس الذكر ، والعبادة ، ويعتبر المكان الرئيسى لنشر مبادئ الإسلام ، والثقافة الإسلامية.

الثانى: تعليمى .. حيث تعقد به الدروس التى تهدف إلى شرح تعاليم الدين الجديد ، وتوضيح أسسه ، وأحكامه ، وأهدافه ، وقد توسع المسلمون فى فهم مهمة المسجد (٢) ، وإلى جانب العبادة ، والتعليم ، فقد اتخذ المسجد داراً

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٧.

- الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٩٣.

(٢) لم يكن الهدف الرئيسى لبناء المسجد ، إيجاد مكان للعبادة فحسب ، لأن الإسلام جعل الأرض مسجداً للمسلمين ، وإنما أراد الرسول أن يكون المسجد مكاناً عاماً لا ينتمى لأى القبائل وإنما هو بيت للجميع ، يلتقى الرسول فيه مع المسلمين للعبادة ، والمشاورة ، ويلتف حوله المسلمون يأخذون عنه مبادئ الدين ، بالإضافة إلى إنشاد الشعر ، وشنون التجارة ، حتى علا صوت المتساوين ، والتجار أحياناً على صوت المصلين ، مما جعل عمر بن الخطاب يخصص مكاناً بجانب المسجد لمثل هذه الأحاديث ، ليظل المسجد مخصصاً للعبادة ، والتعليم ، والقضاء ، وقد ظل المسجد محتفظاً بمظهره الأول حتى الآن ، واتخذ الخلفاء ، والولاة بناء المسجد عند فتحهم بلاد جديدة سنة عن الرسول (ص) [أحمد فكرى : مسجد القيروان ، ص ٧ . د/أحمد شلبى : المجتمع الإسلامى ، ص ٥٦ ، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٤م]

للقضاء ، وساحة تتجمع فيها الجيوش ، ومنزلا لاستقبال السفراء (١) فنجد أن عمرو بن العاص فتح طرابلس أقام بها مسجدا ، كما بنى مسجدا آخر فى غابة زنزور فى طرابلس (٢) ثم مسجد الأنصار الذى اختطه روفيع بن ثابت بالقيروان ، وهو أقدم مساجدها ، وأفضلها (٣) ثم يأتى عميد المساجد بالمغرب وهو مسجد القيروان الذى كان به مجلس عكرمة (٤) مولى ابن عباس ، وعلى يديه نشأ جيل من أبناء التابعين فى بلاد المغرب ، وكان يروى فيه الحديث ، والتفسير عن مولاة ابن عباس ، وكانت حلقات الدرس تقام بالمسجد الجامع بالقيروان حتى أصبح يضيق بالمصلين ، فلما علم هشام بن عبد الملك بذلك أمر بشراء الأرض التى كانت بجانب المسجد لتوسعته (٥)

ثانيا الزاوية:

وكان من معاهد العلم فى المغرب "الزاوية" وهى مأخوذة من الفعل انزوى ينزوى بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للإعتكاف ، والتعبد ، وقد الحقت الزاوية بالمسجد ، وأنشئ للمعتكفين مساكن ملحقة أيضا بالمسجد كالموجود حتى الآن ببعض مساجد إفريقية ، والقاهرة ، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة فى شكل دور ومساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ، ويعقدون فيها الحلقات الدراسية فى علوم الدين وما يتصل بها من العلوم المختلفة ، من جانب آخر نجد أن الزاوية قد اتسعت

- (١) ابن عبدون : رسالته فى القضاء والحسبة ، ص ٢٤ ، سنة ١٩٥٥م ، القاهرة .
 - محمد بن تاويت : الأدب المغربى ، ص ٦٠ .
 - د/ احمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٨٥ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٠م ، مصر .
 (٢) التجانى : الرحلة ، ص ٢١٥ : ٢٤٥ ، سنة ١٩٥٨م ، تونس .
 (٣) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ١٢٤ : ١٢٥ .
 (٤) عكرمة : هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربرى التابعى مولى ابن عباس كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازى ، وكان كثير الرواية عن مولاة ، كما روى عن عبد الله بن عمرو ، وأبى هريرة ، دخل إفريقية ، ومات بها ، سنة ١٠٥هـ / ٧٠٤م ، وقيل مات بالمدينة ، سنة ١١٥هـ / ٧١٥م [المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ص ٩٢ . أبو العرب : طبقات علماء ، إفريقية ص ٨٣ . دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ : ٢٨٠]
 (٥) أبو العرب : مصدر سابق ، ص ٨٣ .

حتى شملت المسجد كله في العصر الأموي ، وخاصة جامع الزيتون الذي قام بتوسيعه بناه عبيد الله بن الحجاج سنة ١١٤هـ / ٨٣٢م (١)

وقد تطلق الزاوية في المغرب على مسجد خاص بطائفة من الصوفية ، أو حديق لأحد الأولياء ، وكثيرا ما تلحق بالزاوية حجرات ينزل فيها أبناء السبيل ، والمنقطعون للعلم ، والعبادة (٢)

ثالثا الرباط : هو تكنه يربط بها المتطوعون لمدة معينة لحراسة الثغور المختلفة ، وهو عبارة عن جزئين الأول علوى يكون مهمته حراسة الثغور ، ومراقبة سفن العدو ، وتوقد به ليلا علامات نارية للإرشاد ، والحراسة ، والتأكد من قيام المرابطين بالعمل ، واليقظة ، أما الجزء الثاني أرضى ، ويقوم فيه بقية المرابطين كل بعمله ، فالطبيب يعالج بالمجان ، والمعلم ، والنساخ كذلك (٣) ويعرف الملازمون ، للربط بالمرابطين ، فالمرابط في العرف المقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه ، وبسيفه الخطر عن البلاد (٤) ، وأقدم رباط عرف في إفريقية والمغرب في العصر الأموي هو الرباط شاكر بن عبدالله الأزدي. (٥) صاحب عقبة بن نافع الذي تركه ليقوم بمهمة تعليم البربر اللغة العربية ، ونشر الإسلام ، ويقع هذا الرباط على ضفة وادي تانسيفت جنوب مراكش (٦) ونعتقد أن مهمة الرباط في بداية نشأته كانت لنشر شريعة الإسلام ، ثم تطور بعد ذلك حتى أصبح مؤسسة متعددة المهام.

(١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ٦٢ ، سنة ١٩٦٥ ، بدون مكان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ، ج ١ ، ص ٣٣٢.

(٣) عثمان الكعاك : مرجع سابق ، ص ٦٢.

(٤) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، ج ٢ ، ص ٢٨٧.

(٥) التادلى : التشوف إلى رجال التصوف ، ص ٢٦.

- د/حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في إفريقية ، ص ٧١.

- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٠٢.

(٦) عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، ص ٢٠٩.

رابعاً الكتاب:

كان عبارة عن خيمة من الخيام الموجودة مع الفاتحين ، وكان وجود الكتاب في بداية الفتح الإسلامي ، وقبل أن تنشأ المدن ، بالإضافة إلى أن جيش المسلمين كان يصطحب معه معلمين ، وخطباء (١) ويعد الكتاب من أهم المراكز لنشر القرآن الكريم ، ولغته (٢)

وكان استقرار العرب في إفريقية كبير ، وخاصة بعد انشاء مدينة القيروان عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م مما جعلهم حريصون على أن يتخذوا لأبنائهم المعاهد الصغيرة الملحقة بالمساجد ، يدرسون فيها القرآن ، والحديث ، واللغة، فوفد عليها نفر من أهل إفريقية يتعلمون العلم ، وذلك بعدما أقاموا في القيروان ، وأنشأوا الدور ، والمساجد ، ثم إنتفتوا إلى تعليم أبنائهم فاتخذوا لهم محلاً "كتاباً" بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن ، يدل على ذلك أن سفيان ابن وهب الخولاني (٣) كان يمر على الغلمان بمدينة القيروان ، ويسلم عليهم في الكتاب ، وكان سفيان بن وهب قد دخل إفريقية سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م يدل هذا على أن الكتاتيب كانت موجودة قبل ذلك التاريخ بالقيروان (٤) وكان المسلمون في المغرب يرسلون أبناءهم إلى الكتاب حيث يوجد بها المعلم ، أو المؤدب للقيام بهذه المهمة (٥)

(١) محمد بن تاويت : الأدب المغربي ، ص ٨٠.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ص ٦٤.

(٣) سفيان بن وهب الخولاني : أحد صحابة رسول الله (ص) دخل مدينة القيروان في العصر الأموي ، وكان يقوم بتعليم الصبيان ، ويمر على الكتاتيب ، ويسلم على الغلمان الموجودة بها لتلقى العلم ، وخاصة في مدينة القيروان ، وغيرها من المدن [المالكي : رياض النفوس، ج١ ، ص ٥٨ : ٥٩ . د/حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٨]

(٤) المرجعان السابقان .

(٥) اشتق اسم المؤدب من الأدب ، وهو اسم أفضل من لقب معلم صبيان ، أو معلم كتاب ، ومعنى التأديب أن يعلم الأولاد حسن الألفاظ في القراءة ، بالإضافة إلى الحظ الحسن ، ويأمر من كان كبيراً بالصلاة ، ويكتب له التشهد ، وما يقول في الصلاة . ويصف ابن عبدون أكثر المؤدبين بأنهم جهال بصناعة التعليم ، ويسوق السبب حيث يوضح أن حفظ القرآن شئ والتعليم شئ آخر لا يمكن إلا عالم به ، وللمؤدب شروط: منها أن يكون شيخاً خيراً ، متديناً، عفيفاً ، وربما ، قليل الكلام ، والشهوة إلى استماع مالا يعنيه، ولا يهمل الصبيان ، ولا يزول عنهم إلا لأخذ الطعام ، والصلاة ، وأن يتحلى بالعدالة ، وأن لا يحضر الجنائز البعيدة [ابن عبدون : رسالته في القضاء والحسبة ، ص ٢٤ : ٢٥ . د/أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٤٥]

كانت طريقة التعليم في الكتاب تعتمد على كتابه القرآن على ألواح لحفظها ، ثم تغسل ، ويتعلمون القراءة ، والكتابة ، ومبادئ الحساب ، ثم يختارون منه ما يكتبون ليتعلموا الكتابة ، ومع القراءة ، والكتابة يتعلم التلاميذ قواعد اللغة العربية (١)

ويبدو أن الكتاب في البداية كان بداخل المسجد ، ولكن وجد أن الصبيان لا يتحكمون في نظافة أنفسهم ، ولا يخلو من النجاسات ، وخاصة في أرجلهم ، وثيابهم فكان هذا هو الداعي إلى إنفصال الكتاب عن المسجد ، أو جعله ملتصقا بالمسجد أو في حوانيت الدروب ، وأطراف الأسواق (٢)

وكان موسى بن نصير قد اهتم بنشر الإسلام بين الأهالي ، وأنشأ مساجد ، وكتاتيب في كل معظم جهات المغرب لتعليم ، وتلقين القرآن الكريم، والشريعة واللغة العربية (٣)

خامسا الرحلة في طلب العلم :

تعد الرحلة في طلب العلم وسيلة من وسائل الحركة العلمية من خلال نقل العلم من مواضعه بالمشرق عن طريق مجموعة من العلماء ، والفقهاء ، وكانت أعداد هؤلاء الفقهاء بالمغرب قليلة ، ومعظمهم مقيم بالمدن ، وخاصة في القيروان ، وتونس ، فكانت فائدتهم شبه محصورة على العرب القاطنين في هذه المدن ، فوجد سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي (٤) في أوائل المائة الثانية من الهجرة يكون بعثة علمية سافرت إلى البصرة لطلب العلم ، وعرفت بحملة العلم الخمسة ، وقد مكثت هذه الحملة خمس سنوات ، وعند عودتهم إلى بلادهم ولوا عليهم أبا الخطاب عبد الأعلى (٥) ، وقد أعد اسماعيل

(١) الجزنائي : زهرة الأس ، ص ٨٣ . د/ أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٣٦ .

(٢) ابن عبدون : رسالته في القضاء والحسبة ، ص ٢٤ . د/ أحمد شلبي : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٣) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٣١ .

(٤) سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي : قدم من المشرق في بداية القرن الثاني الهجري لنشر دعوة الخوارج في إفريقية وكان شديد التعصب لنشر هذا المذهب [الزاوي : تاريخ الفتح العرب في ليبيا ، ص ١٢٠ : ١٢١]

(٥) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري : إمام الإباضية في طرابلس قتل سنة ١٤٤هـ / ٧٦٣م [ابن خلدون العبر ، ج ٦ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧] اسماعيل بن دار الغدامسي من جنوبي طرابلس [الزاوي : مرجع سابق ، ص ١٢١]

ابن دراز الغدامسى لتولى القضاء ، والإفتاء ، وعند عودة هؤلاء إلى المغرب تنازل كل من تولى الفتوى لحملة العلم. (١)

ومما هو جدير بالذكر أن الخوارج قد لعبوا دورا كبيرا فى هذه الرحلة، ويعتبر سلمة بن سعد أول من جاء بمذهب الخوارج الإباضية إلى القيروان ، فقد أتى من البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس على بعير واحد يعتبر الظهور الحقيقى للخوارج فى إفريقية أواخر القرن الأول ، وبداية القرن الثانى الهجرى (٢) وكان سلمة بن سعد أباضيا شديد الحماس لهذا المذهب ، فيؤثر عنه قوله "وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب - يقصد مذهب الخوارج الإباضية - يوما واحد غدوة الليل فما أبالى ضرب عنقى" (٣)

الخوارج ودورهم فى نشر الإسلام:

الخوارج : هم طائفة دينية وسياسة ظهرت فى أواخر عصر الخلفاء الراشدين، ونواه هذه الفرقة هم بعض شيعة الخليفة على بن أبى طالب ممن خرجوا عليه بعد موقعة صفين عام ٦٣٨هـ/٦٥٨م ولكنهم خرجوا عليه لقبوله التحكيم ، ووجه خلافهم معه ، أن بيعته كانت صحيحة بإتفاق مجموع الأمة ، فما كان له أن يلجأ إلى التحكيم بينه ، وبين معاوية ، وبذلك أثار فتنة بين المسلمين ، وقد انقسم الخوارج إلى أكثر من عشرين فرقة ، تختلف بعضها عن البعض بأقوال تنسب إلى مؤسس كل فرقة منها ، فنجد فرقة الأزارقة تابعة لنافع بن الأزرق ، والإباضية تابعة لعبد الله بن أباض ، وفرقة الصفرية ، أو "الزيادية" تابعة لزياد بن الأصفر ... إلخ

(١) تنازل محمد بن عبد الحميد بن معطير الحناوى ، عند الفتوى معتذرا بأن حملة العلم أولى منه بالفتوى ، وكان ابن الحناونى قد رحل فى طلب العلم إلى العراق ، ورجع إلى وطنه قبل أن تسافر البعثة العلمية التى قام بإعدادها سلمة بن سعد ، والتى كان لها شأن فى كثير من النواحي ، وخاصة الناحية الدينية ، والعلمية .

وقد بقى ابن الحناونى مرجعا فى التدريس ، والفتوى ، حتى تخرجت البعثة العلمية فى البصرة ورجعت إلى المغرب باسم حملة العلم [على يحيى معمر : الإباضية فى موكب التاريخ ، ص ٢٨ ، القسم الأول ، بدون تاريخ ، مكتبة وهبه]

(٢) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٣) الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ١٢١ .

- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

ومن الجدير بالذكر أن الخوارج فى الفترة الأولى من نشأتهم كانوا أهل عبادة حتى سنة ٦٤هـ/٦٨٤م وكانوا متفقين على مسائل أهمها:

١- أن الخلافة حق لكل مسلم مادام كفاً لها بمعنى أنهم يخالفون كل من الشيعة ، وبنى أمية على السواء ، فى أن يكون الخليفة قرشياً ، أو تنتقل إليه الخلافة بالوراثة.

٢- تكفير كل من عثمان ، وعلى ، وأصحاب الجمل ، وتكفير الحكيمين ، وكذلك معاوية ، وأصحابه.

٣- تكفير مرتكبى كبار الذنوب ، إذ فى رأيهم أن الإعتقاد بالله ونبيه دون العمل بتعاليم الدين ، لا يختلف عن الكفر.

٤- الخروج على الإمام الجائر.

وقد حاول الخلفاء الأمويون أن يقضوا على الخوارج ، وعندما اشتد الضغط عليهم ذهبوا إلى أطراف الدولة الإسلامية ، ومنها بلاد المغرب (١) وللخوارج بصفة عامة دور كبير ، وهام فى نشر الإسلام داخل قبائل البربر، ونخص بالذكر هنا فرقتين كان انتشارهم كبير ، وهما الإباضية ، والصفوية "الزيادية"

الأولى: فرقة الإباضية : تنسب إلى عبد الله بن أباض التميمي ، عاش فى القرن الأول الهجرى ، وعاصر الدولة الأموية إلى خلافة عبد الملك بن مروان توفى سنة ٨٦هـ/٧٠٥م والإباضية جماعة من المسلمين متفرقة فى

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١٧ : ٥٤ : ٥٦ ، تحقيق محمد بدر ، مطبعة المعارف ، بدون تاريخ ، بمصر.

- أحمد عطيه الله : انقاموس الإسلامى ، ، ج ٢ ، ص ٢٩٢.

- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١٢٠.

- د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ، ج ١ ، ص ٢٨٤ : ٢٨٦.

- عمرو أبو النصر : الخوارج فى الإسلام ، ص ١٢١ : ١٢٢ ، سنة ١٩٥٦م ، مكتبة المعارف ، بيروت.

- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣٥٥.

- د/ عبد الشاقى عبد اللطيف : تاريخ العالم الإسلامى فى الدولة الأموية ، ص ٤٥٤ : ٤٥٦ .

- محمود اسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٣٠ ، سنة ١٩٧٦م ، بيروت.

مذهبهم ، ولكنهم بصفة عامة من الفرع المعتدل بالنسبة لمعظم فرق الخوارج ،
وأهم مبادئهم:

١- لم يقسوا فى الحكم على مخالفيهم من أهل القبلة ، واعتبروهم كفار غير
مشركين ، يجوز مناكحتهم ، وأخذ ميراثهم.

٢- لا يحل قتال غير الخوارج عليه ، ولا سبيهم إلا بعد الدعوة ، وإقامة
الحجة ، وإعلان القتال ، فإذا قاتلوهم ، وغنموا أموالهم لم يستحلوا منها غير
السلاح ، والخيل ، أما الذهب ، والفضة ، وغيرهما ، فأنهم يردونه إلى
أعدائهم.

٣- قالوا إن ديار مخالفيهم من أهل الإسلام ديار توحيد ، إلا معسكر
السلطان ، أو الحاكم فإنها دار بغي.

٤- قالوا إن مرتكبي الكبائر موحدون ، لا مؤمنون.

٥- لم يعتبروا أوامر الله ، ونواهيه موجهة إلى المؤمن فحسب ، بل إن
الكافر مطالب بها أيضا (١)

وقد انتشر المذهب الإباضى فى بلاد المغرب الأدنى ، وخاصة فى
مدينة طرابلس ، وجبل نفوسة (٢)

الثانية : الصفريّة أو "الزيادية" ، تنسب إلى زياد بن الأصفر ،
أو عبدالله بن صفار خالفوا الأزارقة ، والإباضية فى أمور منها:

١- لا يكفرون القاعدين عن القتال ما دموا متفقين فى الدين ، والإعتقاد.

٢- لم يحكموا بقتل أطفال المشركين ، ولا بتكفيرهم ، أو تخليدهم فى النار.

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٨١ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣١٧هـ ، القاهرة.

- عمرو أبو النصر : الخوارج فى الإسلام ، ص ١٢١ : ١٢٢.

- الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١٢٠.

- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣٥٥.

- أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى ، ج ١ ، ص ٦.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٢٠ : ١٢١.

٣- قالوا إن التقية جائزة في القول دون العمل.

٤- لم يكفروا مرتكب الكبيرة الأولى ، وإنما كفروا مرتكب الثانية. (١)

وتعتبر فرقة الصفرية أكثر تطرفا من الإباضية ، لذلك قل انتشارها وقد انتشر هذا المذهب في المغرب الأقصى ، وجزء من المغرب الأوسط. (٢)

ومن الجدير بالذكر أن هاتين الفرقان من الخوارج هما الذين قاما بنشر الإسلام بين قبائل البربر ، وكان لزاما عليهما لنشر مذهبهم البعد عن مقر ولاية بنى أمية ، فذهبوا إلى الصحراء ، وإنتشروا بين معظم قبائل البربر ، وكان مهمهم في المقام الأول نشر مذهبهم من خلال تعليم البربر قواعد اللغة العربية ، وساعد ذلك اتصال الخوارج مباشرة مع قبائل البربر ، وذهاب الخوارج بينهم ، مما جعل عملية التعليم ، وتلقين مبادئهم تتم بشكل واسع بين البربر ، أدى ذلك إلى توحيد لغة التخاطب بينهم ، أضف إلى ذلك تعبير سياسة ولاية بنى أمية في بداية القرن الثاني الهجرى في معاملة البربر ، واستيائهم من هذه المعاملة ، وكرهية الخوارج للأمويين ، فسوء المعاملة وجد مع توافد الخوارج من المشرق ، أدى إلى وجود عامل مشترك بين الخوارج ، والبربر ، وهو معاداة السلطة الأموية المتمثلة في عمالها ، مما أدى إلى سرعة انتشار هذا المذهب (٣)

(١) الشهر ستانى : الممل والنحل ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

- البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٠ : ٧٢ .

- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ٣٥٥ .

- عمر أبو النصر : الخوارج في الإسلام ، ص ١٢٢ .

(٢) دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

- د/سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٥ : ٢٧٧ .

(٣) د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٩٤ .

الفصل السادس ثورات البربر في العصر الأموي

- الأسباب الاقتصادية .
- الأسباب الإقتصادية .
- الأسباب العنصرية .
- الأسباب السياسية .
- دور الخوارج في قيام الثورة .
- ثورات البربر .
- ثورة ميرة الطغرى .
- كلثوم بن عياض القتيبي وموقعة بقره .
- منظلة بنه صفوان وموقعة القرن والأضنام .
- عبد الرحمن بن هبيل يقضى على ثورات البربر .

الفصل السادس

ثورات البربر فى العصر الأموى

لا شك أن أى ثورة من الثورات لها أسباب ، ومقدمات تدل عليها ، وإذا لم يكن عند الولاة حسن التصرف ، وبعد النظر لعلاج هذه الأسباب عجل ذلك بقيام هذه الثورات ، مما يؤدى إلى نتائج سلبية .

وهناك أسباب متعددة ، ومختلفة لثورات البربر على الحكم الأموى ، منها أسباب إقتصادية ، أسباب اجتماعية ، أسباب عنصرية ، وأسباب سياسية.

أولا الأسباب الإقتصادية:

بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١ هـ / ٧٢٠ م تولى يزيد بن عبدالملك ١٠١ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٣ م الخلافة ، والخلفاء فى الغالب شديدى التأثير برأى مستشاريهم "البطانة" ومن سوء حظه أن بطانته لم تكن على درجة كافية من العلم ، والأخلاق ، والرأى السديد ، بالإضافة إلى أن يزيدا لم تكن عنده مناعة يستطيع الوقوف بها ضد المغريات ، فلم يستطيع الصمود ضد الملذات ، وأسلم نفسه للهوى ، والعبث ، فكان مثار نقد ، ولا بد أن يقارن الناس بين ما كان بالأمس القريب من عدالة عمر بن عبدالعزيز ، واستقامته ، وبين ما هو كائن عليه يزيد من تهافت على الملذات حتى إن قصته مع بعض جواريه طغت على تاريخه كله (١) ويزيد بن عبدالملك كان يرى أن انتقال البربر ، ودخولهم فى الإسلام قد أدى بطبيعة الحال إلى ضياع مورد هام من موارد الدولة ، وهى الجزية التى كانت تفرض على المعاهدين من النصارى ، وأهل الذمة ، فولى على إفريقية يزيد بن أبى مسلم سنة ١٠٢هـ/٧٢١م فعزم على تطبيق سياسة الخليفة ، وهى نفس السياسة التى طبقها الحجاج فى أهل العراق ، لأن يزيد بن أبى مسلم كان كاتب الحجاج ، وصاحب شرطته ، فاستبد بالبربر ، وفرض عليهم الجزية ، واستخف بهم ،

(١) وقع الخليفة يزيد فى حب بعض جوارية مثل "حبابة" المكية ، والتى اشتراها بألف دينار ، ويقال إنه مات حزنا ، وكما عليها بعد موتها ، ولم يعيش بعدها إلا اسبوعا واحد [د/ عبدالشافى عبداللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص ١٨٥ : ١٨٦ . حسن حسنى عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٧]

واشتد عليهم فى جمع أموالهم ، وسبى نساءهم ، وأسرف فى ذلك حتى أوغر فى صدورهم (١)

الثانى: عدم توفيق عبيد الله بن الحبحاب فى اختيار عماله فنجد عمر بن عبدالله المرادى عاملة على طنجة ، قد أساء السيرة بين الناس ، وتعدى على الصدقات ، والعشر، وزعم أنهم فى المسلمين ، وذلك لم يرتكبه عامل قبله ، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام ، فكان فعله هذا سببا لانتقاض البلاد (٢)

الثالث: كان الخليفة هشام بن عبدالملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م يستحب طرائف المغرب ، ومنها أنه كان يرسل فى طلب جلود الخرفان ذات الألوان العسلية التى تسلخ من الضأن عند ولادتها ، لأنها تكون ناعمة، وقبل أن تكون خشنة بنمو الخراف ، فيصنع صوفها الناعم ، ويستخدم فى الجباب ، وكان الخليفة يفضل اللون العسلى الطبيعى الغير مصبوغ ، ولما كان من الصعب الحصول على خراف وليدة بها هذا اللون العسلى ، فما كان من الوالى إلا أن فتح بطون النعاج ، واستخرج أجنتها بحثا عن هذه الجلود العسلية ، وكان هذا النوع من الجلود قليل حتى إنه كانت تذبح مائه شاه ، وربما لم يوجد فيها جلد واحد (٣) من هنا نجد أن رغبة (٤) الخلفاء حتى ، وإن كانت شبه مستحيلة ، ومكلفة فيحاول الوالى أن يجد سبيلا لها ينال رضا الخليفة عنه ، ولو على حساب الناس ، ومن الجدير بالذكر أن الخليفة لا يرضى لهذه الطريقة المتبعة فى استحضار هذه الجلود بهذه الطريقة ، ومن عذاب صاحب قطع الغنم الذى يرى غنمه تهلك بالذبح ، ويعز عليه ضياع كل ماله بهذه الوسيلة الوحشية ، ولا يستطيع أن يفعل شئ أمام هذا الظلم ، والإستبداد ، طبعا نجد

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٦١ .

- ابن عذارى: البيان ، ج ١ ، ص ٤٨ .

- الباجى: الخلاصة النقية ، ص ١٣ .

- د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٣) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٢ .

(٤) الرغبة أو حب الشئ يختلف كل الإختلاف عن الأمر فالأمر واجب التنفيذ مهما كانت الأسباب أما الرغبة فهى غير ذلك فالولاة يحملونها أكثر من مما تحتمل لأهداف جلية واضحة كما يرى الباحث.

مبالغة من العمال الذين يقومون بمثل هذه الأعمال لأغراض لا يراعى فيها دين ولا ذمة.

ثانياً الأسباب الإجتماعية:

أولاً: كان للبربر دور كبير فى فتح الأندلس (١) وفى المغرب أيضاً ، كانوا يتوقعون أن يعاملهم العرب معاملة الأنداد ، ولكنهم رأوا تحيز بعض الولاة ضدهم مثل يزيد بن أبى مسلم ، وعبيدة بن عبدالرحمن السلمى ، وعبيد الله ابن الحبحاب ، فتغيرت نفوسهم من العرب ، مما جعل وفد من البربر برئاسة ميسرة المطغرى يذهب إلى الشام لرفع شكواهم إلى الخليفة هشام ، ولكنهم لم يتمكنوا من مقابله فتركوا رسالة جاء فيها " أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بناء بجنده ، فإذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا ، وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا ، وآخر جنده ، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد فى الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم" (٢)

ثانياً: يضاف إلى ذلك أخذ البنات الجميلات البربريات ، إما للعمل ، أو للتسلية دون موافقه آبائهم ، وإن حدث هذا بالفعل فإنه يمثل حادث فردى ، ولكن مثل هذا العمل ينتشر معرفته بسرعة كبيرة بين الناس ، ويجعل النفور بين أصحاب هذا العمل كبير ، ويجمع رأياً عاماً بين البربر ضد هذا الموقف "ثم إنهم سامونا يأخذون كل جميلة من بناتنا ، فقلنا لم نجد هذا فى كتاب ، ولا سنه ، ونحن مسلمون" (٣) هذا جعل البربر يتحولون عن العرب فتحالفت بعض قبائل البربر مثل زناته مع الأفارقة الذين ساءهم أن يضعهم العرب فى منزلة الروم الموالى ، واستولوا على أراضيهم ، وغنموا أموالهم هذا جعل

(١) أعد موسى بن نصير جيشاً أغلبيته من البربر ، وخاصة من رهائن قبائل المصامدة لفتح الأندلس ، وقد اعتمد موسى على البربر فى هذه الحملة لأنهم أكثر إماماً من العرب ببلاد الأندلس ، أو لأن موسى ربما خاف على جيشه العربى من هذه المغامرة ، فجعل الطلعة الأولى من البربر فلما تأكد من نجاح المهمة ترأس جيشاً كبيراً جله هذه المرة من العرب ، وهذه هى المرة الأولى فى تاريخ الفتوح العربية أن يتولى فيها جيش بأكمله من المغلوبين فى فتح قطر من الأقطار الكبرى كالأندلس [د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٧١ : ٢٧٢]

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٢٥٥ .

عبد الأعلى بن جريح الأفريقي ينضم إلى ميسرة المطغرى في ثورته على العرب سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م (١)

ثالثا: التعدى على الصدقات ، والإستخفاف بالبربر من جانب ابن الحبحاب الذى اعتبر معظم البربر فيئا للمسلمين من أسلم منهم ، ومن لم يسلم ، وكان الولاية قبله يقصرون هذا اللون من المعاملة على من لم يسلم من البربر ، فأبى ابن الحبحاب إلا أن يزيد الأمر سواء بوضع البربر موضع العبيد الذين يملك المسلمون رقابهم ، فأمضى فى حصر خمس البربر ، واعتبارهم رقيقا ، فلم يكن ابن الحبحاب ليستطيع أن ينفر البربر ، ويسئ إليهم بأكثر من هذا ، فهؤلاء قوم أسلموا ، ومنهم من اشترك فى جيوش المسلمين ، وكتب اسمه فى الديوان ، فكيف يعتبر بعد ذلك عبدا رقيقا (٢)

ثالثا الأسباب العنصرية:

وتتمثل فى الصراع القبلى الذى نشب بين القبائل العربية المختلفة وخاصة بين قبيلة قيس وقبيلة كلب من ناحية ، وبين العرب ، والبربر من ناحية أخرى.

كان ولاية المغرب إما يمينيين ، أو قيسييين ، وكثيرا ما كانوا يتحيزون لقبائلهم ، ولما كان أكثر عرب المغرب من أصل يكاد يكون يمينيا ، فقد كانت عاداتهم الهدوء عندما يكون ولاتهم من عصبيتهم ، أما إذا كان الولاية من قيس فيختلف الحال ، وتكثر الفتن ، والإضطرابات (٣) وبدلا من أن يعمل خلفاء بنى أمية على حسم هذا النزاع نحو بعضهم ، ينحازوا إلى فريق دون آخر ، وقد ظهر هذا التعصب بعد ولاية موسى بن نصير الذى كان يميل إلى القبائل اليمينية التى استقرت بالمغرب منذ أيام الفتح الأول (٤) فبعد عزل موسى بن

(١) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٥٣ : ١٥٤ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ، ص ٥٢ .

- د/ حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٣) الناصرى السلاوى : الإستقصا ، ج ١ ، ص ١٣٤ : ١٣٥ .

(٤) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٩ .

نصير عام ٩٦ هـ / ٧١٥ م استبدل بمحمد بن يزيد ، وكان قيسيا (١) فتعصب على اليمينية ، واشتد على آل نصير وعمل على استتصال أموالهم ، وتعذيبهم (٢) وهذا نظرا إلى التهمة الموجهة إلى موسى من الخليفة سليمان بالإهمال فى أموال الدولة (٣)

وفى ولاية يزيد بن أبى مسلم سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م عاد نفوذ اليمينية من جديد حيث أنه كان يمينا فقبض على الوالى السابق محمد بن يزيد القرشى ، وأساء إليه ، وعذبه ثم سجنه حتى مات فى سجنه ، وفى ولاية بشر بن صفوان سنة ١٠٢ - ١٠٩ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٧ م وكان هو الآخر من غلاة اليمينية فقوى جانب القبائل اليمينية ، واستمرت سياسة التعصب ضد القيسية . وفى عهد هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٣ - ٧٤٣ م ولى على بلاد المغرب ، عبيدة بن عبد الرحمن السلمى القيسى ١١٠ - ١١٥ هـ / ٧٢٨ - ٧٣٣ م فتعصب الوالى الجديد للقيسية ، واضطهد اليمينية ، وأخذ عمال بشر ، وأصحابه فحبسهم ، وأغرمهم ، وعذب بعضهم ، ومنهم أحد زعماء اليمينية من عمال بشر ، وهو "أبو الحظار الحسام بن ضرار الكلبى" الذى كان إلى جانب شرفه فى قومه شاعرا فصيحاً ، وقائدا كبيرا ، وله أبيات شعر سبق ذكرها وهى تندد بموقف الخلافة الأموية من عصبية الكلبية (٤) ولما أحس بأن رياح الثورة كادت تهب على البلاد سأل هشام أن يعفيه من الأمانة (٥) لكن من الواضح أن عبيدة لم يستطيع تكلمه ولايته على إفريقية بسبب عصبية الزائدة ، مما أدى إلى عدم توفيقه فى إدارة شئون البلاد ، فطلب اعفائه.

وسار فى هذا الإتجاه عبيد الله بن الحباب ١١٦ - ١٢٣ هـ / ٧٣٤ - ٧٤١ م الذى كان مسرفا فى عصبية فكان قيسيا زاد فى اضطهاد اليمينية حتى أثار المغرب ، وكادت هذه العصبية أن تعصف بالدولة ، ويرى بعض

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨ ، سنة ١٩٨١ م ، القاهرة.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٧.

- الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٩٤.

(٣) محسن سليم: سليمان بن عبد الملك ، ص ٩٦.

(٤) د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، ج ١ ، ص ٢٧٥.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥٠٥.

الباحثين^(١) أن إشراف ابن الحباب في قيسيته ، جعل العرب اليمانية يقفون منه موقف العدا ، ويتحنون الفرصة للإنقضاض عليه ، لكننا نعتقد أنه بالرغم من أن ابن الحباب كان متطرفا في قيسيته ، إلا أننا لا نجد أى قبائل عربية انضمت إلى الثورة ، أو أيدتها ، ولا حتى أفراد من العرب ، وإنما يصفون المعارك على أنها بين العرب ، والبربر ، فنجد أن ابن عذارى عند وصفه لموقعه الأشراف يقول "فتكاثرت عليهم البربر فانهزم العرب"^(٢) ويذكر ابن الأثير "أن الله تعالى هزم الخوارج ، ونصر العرب"^(٣) ويظهر أن مؤيدي الثورة كانوا من فئات مختلفة من قبائل البربر بالإضافة إلى الأفارقة ، وعناصر أخرى ، لم يكن بينهم أحد من العرب لأن إحساس العرب بالخطر جعلهم يلتفون حول قادتهم ، وينسون أى خلاف حتى يتخطوا هذا الموقف الضار بهم ، لو تفرقوا عن بعض فى هذا الوقت ؟ لأن البربر يعيشون على شكل قبائل تشدها العصبية القبلية إلى بعضها ، خاصة البربر البتر ، وكانوا يسكنون المناطق الداخلية من البلاد ، فالعصبية القبلية كانت من العوامل الرئيسية فى ثورة البربر ضد ولاة بنى أمية فى بلاد المغرب ، وقد كانت هذه العصبية القبلية سببا فى إقبال البربر على مبادئ الخوارج لأنها تتفق ، ونزعاتهم الحرة^(٤) ويرى د/حسين مؤنس أن الأمويين لكى يضمنوا الولاء لهم بين الجند ، واستقرار الأوضاع ، فإنهم استخدموا سياسة التفرق بين الجانبين ، فمرة يقفون مع القيسية ضد اليمانية ، ومرة أخرى يحابون اليمانية على القيسية^(٥) وأن هذه التفرقة تعتبر فى مصلحة الأمويين ، أو أى سلطة حاكمة فى مجتمع قبلى لكى يحافظوا على التوازن بين عناصر المجتمع، حتى لا تتفرد أى قبيلة ويتسع نفوذها مما يهدد مصلحة الدولة العليا، ولكنى لا أعتقد أن هذا الأمر كان سياسة عامة للخلفاء الأمويين ، فمره نجد الخليفة يزيد بن الملك يعين أحد كبار القيسية ، وهو يزيد بن أبى مسلم ، فلما أقبل أخوه هشام بدا له أن يخفف من غلواء القيسية المضرية ، ولهذا ترك بشر بن صفوان فى ولايته ، لأن ميوله كانت كلبية يمنية ، ثم مالت نفس

(١) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٦.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥٠٥.

(٥) د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦١.

الخليفة إلى إضعاف أمر القبائل اليمنية الكلبية فعين عبيدة بن عبدالرحمن السلمى إفريقية وهومن غلاة القيسية (١) على أثر ذلك نجد فى ولاية عبيد الله ابن الحبحاب أن تحول الغضب على الحكم الأموى إلى ثورة وجدت من يقودها وهو ميسرة المطغرى (٢) وقد انتهى الصراع بين القيسية ، واليمنية حينما احتل عبدالرحمن بن حبيب القيروان ، واستقر بها أميرا سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م فانتهت المنازعات بينهم ، فلم يعد لديهم المقدرة على السيطرة على هذه البلاد الواسعة ، بالإضافة إلى ضعف ، أو قرب انتهاء ميزة كبيرة تميزت بها الدولة الأموية ، وهى سيادة العنصر العربى ، فلم يعد للقيسية أو اليمنية أى رجاء فى أن تقف الدولة إلى جانبهم ، وتساعد هذه القبيلة ضد الأخرى على الطريقة التى جرت عليها العادة فى كثير من خلفاء بنى أمية (٣)

وأخيرا نجد الطموح ، والنزعات الفردية ، وحب المغامرة لدى بعض زعماء البربر لها دورها فى قيام الثورة ضد العرب ، ونجد هذا واضحا عندما بدأ الضعف يتسرب إلى الخلافة الأموية بصفة خاصة حيث بدأت تظهر ثورات البربر (٤) ويرى أحد الباحثين أن تأخر البربر فى القيام بثوراتهم إلى عام ١٢٢هـ / ٧٤٠م ويرجع إلى حسن سياسة كل من محمد بن يزيد القرشى واسماعيل بن عبيد الله عندما تولى حكومة المغرب بعد موسى بن نصير (٥)

وقد ظهرت هذه النزعات بوضوح قبل انتهاء العصر الأموى ، وبداية العصر العباسى ، فلم يكد الأمر يستقر لعبد الرحمن بن حبيب حتى ظنت البربر أن أمر العرب قد انتهى ، وجاء دورهم ليحلوا محل العرب فى الزعامة والسيادة ، وقد ظل عبدالرحمن بن حبيب يخوض حروبا عنيفة ، وطويلة حتى يفرض سيطرته على معظم بلاد البربر.

(١) د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج ٢ ، ص ٦١.

- د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٤٩ ، ١٥٠.

(٢) د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٨.

- د/ السيد سالم: مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٤.

- د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٣.

(٣) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر، ص ١٨٢.

(٤) خرج ثابت الصنهاجى بباجة ، واسماعيل بن زياد الإباضى بقباس

[ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٧٩]

(٥) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦١.

رابعاً الأسباب السياسية:

يعتبر عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١ هـ / ٧١٨ - ٧٢٠م) خطاً فاصلاً فى تاريخ الدولة الأموية عامة ، وفى تاريخ المغرب العربى خاصة ، فقد سلك سياسة اصلاحية تختلف عن خلفاء بنى أمية عامة ، حيث حاول إعادة عهد الخلافة الراشدة ، وأخذ فى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جميع رعايا المسلمين فى مختلف ولايات الدولة دون تفرقة ، فقد كان عمر يعلم تمام العلم أن المغرب قد انتشر فيه الإسلام ، واعتنقه أغلب البربر الذين كانوا فى حاجة ماسة إلى من يعلمهم أمور الدين ، وأحكام الشرع ، فبعث مع واليه اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر عشرة من العلماء والتابعين من ذوى الشخصيات القوية ، وأمرهم أن يتفرقوا فى أنحاء المغرب ليفقهوا البربر فى الدين ، ويعلموهم أحكام الشرع (١) وقد جاءت هذه السياسة متفقه مع طبائع البربر حيث أشركهم فى تسيير إدارة بلادهم ، وترك لهم حرية التصرف فى شئونهم ، وتدبير أمورهم بأنفسهم ، بالإضافة إلى حسن اختياره لولاة الأقاليم ، فاختر والياً للمغرب ، إشتهر بالورع ، والتقوى ، وتطبيق المساواة ، والعدالة الإجتماعية بين جميع الرعايا ، وهو اسماعيل بن عبيدالله بن أبى المهاجر الذى وصف بأنه خير وال وخير أمير (٢)

نكن البربر لم ينعموا كثيراً بهذه الفترة التى لم تدم طويلاً ، فب وفاة عمر ابن عبدالعزيز عادت الإدارة الأموية على ما كانت عليه من قبل من سيادة الشدة مع البربر عن طريق بعض الولاة ، والعمال ، والجباة ، ومما هو جدير بالذكر أن الخلفاء فى دمشق كانوا مسئوليين عن جميع ولاة الأقاليم التابعة لهم ، وبالرغم مما فعلوه من عزل بعض الولاة ، وتولية آخرين إلا أن ذلك لم يؤد إلى محو أسباب تدمير السكان ، وإصلاح أحوالهم .

ولا شك أن سياسة هؤلاء الولاة لابد ، وأن تكون متفقه مع أهداف الخلفاء ، وإن تعدد هؤلاء الولاة ، فالهدف الرئيسى لهؤلاء الولاة هو نشر

(١) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

- د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

- د/ محمد زيتون : القيروان ، ص ١٠٥ .

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٢ .

الإسلام ، وإرساء مبادئه في نفوس البربر خاصة حديثي العهد بالإسلام ، وإدخال المزيد ممن لم يدخلوا فيه ، هذا إلى جانب تعليمهم اللغة العربية . أما ما يحدث عكس ذلك فيعتبر خروجاً على هذه القاعدة ونخص بالذكر عاملان كان لهما أثر كبير في ثورة البربر على الخلافة الأموية .

الأول: يزيد بن أبي مسلم الذي ولاه الخليفة يزيد بن عبد الملك على المغرب سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م وكان أحد تلاميذ الحجاج بن يوسف الثقفي فأراد أن يسير في البربر بسيرة الحجاج في العراق ، وعند مجيئه واليا على المغرب كان معظم البربر قد أسلموا بفضل جهود من تقدم من الولاة . فلم يبق فيهم من يضع عليه الجزية ، هذا إلى جانب أن يزيد بن أبي مسلم لم يدرك أن المغرب غير العراق ، فالعراق كان ثائراً منافساً فولى عليه عبد الملك بن مروان ، الحجاج ليضبطه (١) ولما علم البربر أن يزيد بن أبي مسلم يريد أن يعاملهم معاملة أهل الذمة ، ولا يعترف باسلامهم ، ويضع عليهم الجزية ، فنصحوه أن يترك ما عزم عليه فرفض ، فهجموا عليه ، وقتلوه بعد شهر واحد من ولايته (٢) وبالرغم من أن مقتل يزيد بن أبي مسلم والى إفريقية كان نذيراً للخلافة في دمشق بوجوب اصلاح الأوضاع في إفريقية ، لم تكن تصنع شيئاً أكثر من تغيير الولاة بأخرين ، ولم تضع سياسة أخرى لتهدئة الأمور ، واصلاح الأحوال المضطربة .

العامل الثاني: عبيد الله بن الحباب الذي ولاه هشام بن عبد الملك إفريقية سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م (٣) ولى عمر بن عبدالله المرادي عاملاً على طنجة ، وقد اشتهر بالجهل بطبائع البربر ، وضيق الأفق فإساءة السيرة ، وتعدى الصدقات ، وأراد أن يخمس البربر (٤) وزعم أنهم في للمسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه أحد قبله (٥) وهذا مما جعل الكثير من البربر يفقدون الثقة بالأمويين ،

(١) دبور : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠١ . يذكر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ ، أن حرس يزيد بن أبي مسلم كان من البربر فعزم على وشم كل واحد منهم على يده ، فانكروا هذا الفعل ، وملوا سيرته فقتلوه في مصلاه ، ونجد نفس المعنى عند ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ .

(٤) تخميس : أى يأخذ الخمس من البربر كرقيق .

(٥) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ = .

ولا سيما بعد أن تمتعوا بالعدالة الإجتماعية ، والحقوق السياسية في ظل عمر ابن عبدالعزيز ، ويذكر صاحب البيان ، أن ابن الحبحاب وعد الخليفة ، ومناه بالكثير من الغنائم فكلف نفسه في جمعها ، أو كلفوه أكثر مما كان مما جعل الولاة يجدون في جمع المال فكثر العبث وأدى ذلك إلى التعسف وسوء السيرة^(١)

وقد ذكر أن بنى أمية كانوا يستحبون الطرائف المغربية ، ويرغبون فيها ، وكثيرا ما كانوا يبعثون في طلبها^(٢)

دور الخوارج في قيام الثورة:

في هذا المناخ ، استغل دعاه الخوارج ، مرحلة التذمر العام الذي ساد في إفريقية في هذه الفترة ، فانتشروا بين قبائل البربر دعاة ، ومعلمين ، يبسطون تعاليم الإسلام ، حسب ما يتمشى مع مبادئهم الدينية ، والسياسية تحت شعار المساواة ، والإصلاح ، والدعوة إلى العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، ووجد دعاة الخوارج نفوسا مستعدة لتلقى تعاليمهم^(٣) كما وجدوا البربر في دعوة الخوارج الخلاص من تسلط بعض الولاة عليهم ، ووجدوا فيها ما يلائم طبيعتهم ، وأفكارهم ، من هنا أدركوا التناقض الكبير بين سياسة الدولة الأموية، وبين دعوة الإسلام التي تحث على العدالة ، والمساواة بين الناس ، وأنه لا فرق بين عربي ، أو غير عربي إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، وليس من الضرورة أن يكون الحاكم من قريش ، بل يكفي أن يكون فاضلا تقيا صالحا ، يحكم بالكتاب ، والسنة ، لذا أقبل على مبادئ الخوارج الكثيرون من أهل المغرب ، فكانت الفرصة مواتية للخوارج ، لتحريض البربر على الأمويين وتحريكهم لرفع راية التمرد ، والعصيان^(٤)

= ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٢.

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٥٥.

(٣) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٨٥.

- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٥٨ : ١٥٩.

(٤) بروكلمان: المرجع السابق ، ص ١٥٩.

وكان مما ساعد على انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب ، أنهم حرصوا كل الحرص على نشر دعوتهم دون ذكر مبادئهم ، أو مذهبهم ، سواء كانوا أباضية أم صفرية ، وإنما نشروها تحت شعار المساواة ، والدعوة إلى نبذ الظلم ، والقهر ، وكان لوضوح أفكار الخوارج ، وإلتزامهم بظاهر الدين ، وعدم الميل إلى الفلسفة والتأويل أثر كبير في إنتشار أفكارهم ومبادئهم ، هذا إلى جانب ميلهم إلى الثورة على الحكام الجائرين وولاتهم (١) وأيضا لتولى مجموعة ممتازة من دعائهم لنشر هذا المذهب سواء من العرب أو من البربر (٢) وقد انتشر هؤلاء الدعاة بين قبائل البربر ، وكانت أعدادهم كبيرة وأخذوا في نشر مبادئهم دون مضايقة كبيرة من الأمويين ، فقد اختاروا لمقامهم ، ولدعاتهم نواحي المغرب الأقصى البعيدة ونواحي السوس الأقصى بوجه خاص ، لأن هذه النواحي كانت موطنًا لثلاث من أكبر القبائل الزناتية ،

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٣.

(٢) من هؤلاء الدعاة .. عكرمه مولى ابن عباس من البربر [المالكي: رياض النفوس، ج ١، ص ٩٢] طلب عكرمه العلم ، وجدا بن عباس في تعليمه القرآن ، والسنة ، وصار عكرمه من كبار الفقهاء ، والمحدثين ، فقد سمع لأبي هريرة ، وأخذ عنه الفقه ، والحديث [دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٧٩] اعتنق عكرمه مذهب الخوارج الصفرية ، وأخذ في نشرها في المغرب ، ونظرا لأنه بربري فقد كان له تأثير كبير في نفوس البربر ، يقول المالكي في رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٩٢ "دخل عكرمه إفريقية ، وأقام بالقيروان ، وبث العلم بها ، وكان مجلسه في مؤخرة جامع القيروان " حيث كان يقوم بتدريس العلوم الشرعية من حديث وتفسير ، من خلالها كان يدعوا لمذهب الخوارج الصفرية .
ومن هؤلاء الدعاة أيضا أحد زعماء زناته ويدعى عكاشة بن أيوب الغزاري ، أحد قواد الخوارج الصفرية الذين هددوا القيروان بالسقوط ، جاء عكاشة مع جيوش الفتح العربي على طليعة أهل الشام مع عبيدالله بن الحبحاب يقول [ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ ، الناصري السلاوي : الإستقصا ، ج ١ ، ص ٩٥] "بضت فيهم عروق الخارجية ، فدانوا بها، ولقنوها من العرب لناقليها من العراق ، وتعددت طوائفهم ، وتشعبت طرقها من الأباضية ، والصفرية" أما أكثر الأماكن التي انتشرت فيها آراء الخوارج الصفرية ، وكانت في القسم الجنوبي من المغرب الأقصى ، وفي المناطق الجبلية الممتدة من السوس الأدنى إلى جبال درن [د/ السيد سالم : المغرب الكبير، ج ٢ ، ص ٣٠١]

ومن هؤلاء الدعاة .. سمعوا وسمكو . الشهير بأبي القاسم : وكان من حملة العلم ، ارتحل إلى المدينة ، فأدرك التابعين ، وأخذ عن عكرمه مولى ابن عباس ، ونجح في نشر مذهب الخوارج الصفرية بين قومه من مكناسة "فكان أهل مواطن سجلماسه من مكناسه يدينون لأول الاسلام بدين الصفرية من الخوارج" ومن سجلماسه انتشروا في الأصقاع [البكري: المغرب ، ص ١٤٩ . ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٦٧ : ٢٦٨]

وقد اتبع أبو القاسم طريقة التستر التي اتبعها ميسرة ، فرحل إلى واحة تافيلالت ، وهي ملتقى القبائل الرعوية جنوبى المغرب الأقصى ، وتظاهر بتربية الماشية ، ولكنه في الأصل قام على نشر مذهب الخوارج الصفرية بين الرعاة حتى تحول هذا المكان إلى مركز لنشر مبادئ للخوارج الصفرية [ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٠٧]

وأكثرها إستعدادا للثورة وهي غمارة وبرغواطة ومكناسة بالإضافة إلى انضمام أعداد قليلة من صنهاجة (١) إلى مذهب الخوارج.

ثورات البربر

١- ثورة ميسرة المطغرى ١٢٢ هـ / ٧٣٩ - ٧٤٠ م

ينسب ميسرة المطغرى أو "المدغرى" أو "المدغرى" إلى قبيلة مطغرة، أو مدغرة ، وهي من القبائل البترية ، ويلقب بعدة ألقاب منها الفقير (٢) نسبة إلى فقره ، والحقير (٣) والسقا (٤) استهانه به ، وتصغير الشأن بدأ حياته بسيطا حيث عمل بسقاية الماء في سوق القيروان ، وهو سيد قومه رغبة منه في التستر ، والبعد عن عيون الولاة ، وقد نجح في نشر دعوته بين البربر التي كانت تقوم على العودة بالإسلام إلى نقاته الأول ، وتحقيق المساواة فى الأعطيات بين العرب والبربر فى الجيش الإفريقى (٥) ، يقول ابن خلدون (٦) "لما سرى دين الخارجية فى البربر أخذ مطغرة هؤلاء برأى الصفرية ، وكان شيخهم يعرف بالحقير ، وكان يبيع الماء فى سوق القيروان" وقد اختار ميسرة القيروان للعمل بها لأنها عاصمة إفريقية ، وبها مركز الإشعاع الدينى حيث الفقهاء ، والعلماء ، وأهل الزهد ، والورع ، والتقى ، وكان شديد الميل إلى المغامرة ، وحب الإستقلال ، بعيد المطامع ذكيا محبا للعلم ، اعتنق مبادئ الخوارج الصفرية ، وأخذ فى نشرها بين قبيلته ، وعمل على ضم كثير من القبائل ، وظل يحرضهم على العرب حتى رفعوا راية العصيان ، وخاصة قبيلة مكناسة ، وبرغواطة (٧) وكان شيخهم يدعى "صالح بن طريف" (٨) الذى

(١) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٦٧.

(٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٢. تاريخ ابن خياط : ، ص ٣٥٣.

- ابن خلدون: العبر ، ج ٦ ، ص ٤٢٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٢.

(٥) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٨٧.

(٦) ابن خلدون: مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٣٩.

(٧) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٥٠.

(٨) صالح بن طريف البرغواطى : أصله يهودى من برباطة حصن من أعمال شدونه بالأندلس مشعوذ ، وساحر ، نزل بين البربر بقرية تامسنا بالمغرب الأقصى ، أظهر الإسلام ، والزهد والصلاح ، وادعى النبوة فى عهد هشام بن عبدالمك ، فاعترف له البربر بالولاية فقدموه على أنفسهم فهو رئيس قبيلة برغواطة ، وقاندها فى ثورة ميسرة ، وكان من جملة القواد=

ومن هنا نعتقد بأن اعتناق ميسرة لمبادئ الخوارج كان قبل سفره إلى الشام ، فمن غير المحتمل أن يكون رئيسا لفرقة من خوارج البربر دون أن يعتنق مبادئهم ، ومن غير المحتمل أيضا أن تكون الدعوة قد نالت هذا التأييد الكبير خلال هذه المدة القصيرة بين سفر الوفد ورجوعه من الشام.

ويذكر الطبري: أن أهل إفريقية كانوا "أحسن أمة سلاما ، وطاعة حتى دب إليهم أهل العراق "الخوارج" الذين اجتهدوا في إثارة البربر ، وحثهم على الثورة ضد العرب ، وكان أهل إفريقية "البربر" يقولون لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال ، فقالوا أي دعاة الخوارج الذين كانوا يحرضون البربر على الفتن لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فخرج ميسرة في بضعة عشر ، أو بضعة وعشرين إنسانا حتى يقدم على هشام ، فطلبوا الإذن فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش (١) "كاتبه" فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزوا بنا ، وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا ، وقالوا إذا حاصرنا مدينته قال: تقدموا ، وآخر جنده ، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفييناهم ... ثم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال (٢) يطلبون الفراء فيقتلون ألف شاة في جلد .. فاحتملنا ذلك .. ثم إنهم سامونا يأخذون كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب ، ولا سنة ، ونحن مسلمون" (٣) ويشكك د/حسين مؤنس في رواية الطبري السالفة ، فيرى أن سفر الوفد ليس مؤكدا ، وأن زعماء البربر قد حاولوا بسط شكواهم أمام الخليفة (٤) لكنه لم يوضح الطريقة التي حاول بها البربر ذلك لكن بعض الباحثين يؤكد سفر الوفد ، وأن ميسرة إعتنق مبادئ

(١) الأبرش : رئيس وزراء هشام بن عبدالمك [د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٠٣]

(٢) السخال: سلخ سلخا الخروف أي كشط جلده [لويس معلوف: المنجد في اللغة ، ص ٣٤٤]

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ . مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٢ ، ولا أعتقد أن هذه سياسة عامة للأمويين ، وإنما هو تصرف من بعض الولاة لا يدل على أية حكمه ، ولا وعى ، ولا يخدم مصلحة الاسلام ، ولا الأمويين أنفسهم ولا نجد هذه السياسة إلا في الفترة الأخيرة من سياسة عبيدالله بن الحبحاب ، مع أن مدة الحكم الأموي في إفريقية أكثر من ثمانين عاما فإن صح هذا ، فإنها لا تعتبر سياسة عامة للدولة الأموية ، بدليل أول ما فعله الثوار قتل عامل طنجة من قبل ابن الحبحاب عبدالله المرادي لسوء سيرته.

(٤) د/حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٥٦ .

الخوارج في الشام أثناء وجوده هناك وهي مبادئ الخوارج الصفرية ، فلما رجع إلى إفريقية وقويت دعوته ، وكثر أنصاره أعلن الثورة في إقليم طنجة ، واستولى عليها وقتل واليها عمر المرادي ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م (١)

ويبدو أن د/ حسين مؤنس محقا في شكه لأن ما ذكره الطبري بشأن الوفد يعتبر في فترة سابقة على حكم الخليفة هشام بن عبد الملك ، بالإضافة إلى أن معظم المصادر التي تناولت هذا الموضوع لا تذكر سوى ميسرة ، ومن غير المشكوك فيه أن وفدا كالذي سبق ، لا بد وأن يكون أعضاءه من زعماء القوم ، وأن يكون معروفا لدى الناس ومن هنا لا بد أن يثور تساؤل عن سبب إغفال أسماء بقية أعضاء الوفد ، خاصة وقد سجلوا أسماءهم وأنسابهم في رقاع تركوها عند الأبرش كاتب هشام ، كما تشير رواية الطبري السالفة ، وربما أرسلت بهذا المعنى رسالة إلى البلاط الأموي ولم يلتفت لها إلا بعد قيام الثورة .

ويذكر الدكتور حسين مؤنس (٢) أن لثورة البربر على الحكم الأموي أسبابا سياسية قبل أن تكون دينية ، ويسمى الثوار خوارج سياسيين ، لا دينيين، ويدلل على رأيه بأن مبادئ الخوارج الصفرية (٣)، تميل إلى المسالمة، والتسامح مع المخالفين لكن الثوار كانوا متطرفين لا يعرفون حلا وسطا.

ويعد رأى د/ حسين مؤنس مقبولا ما دام الأمر يتعلق بالمبادئ الدينية نظريا ، وإن كان من المستبعد أن يتمكن قائد جيش مثل ميسرة ، وغيره من الرؤساء أن يسيطروا على أتباعهم من رجال القبائل ، وقد دفعهم نشوة النصر إلى مزيد من الإنتقام ، وسفك الدماء ، واستباحة الأعراض ، حتى أنهم قتلوا الصبيان عند احتلالهم طنجة (٤)

(١) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٥.

(٢) د/ حسين مؤنس : ثورات البربر، ص ١٥٥.

(٣) من مبادئ الخوارج الصفرية : لم يكفروا القاعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والإعتقاد ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين ، لكن الخوارج اتباع ميسرة قتلوا كل من قابلهم حتى الصبيان عند إحتلالهم طنجة [الشهر ستاني: الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٨٤]

(٤) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٢.

ومن الجدير بالذكر أن الخوارج أقتنعوا البربر بمبادئهم ، وخاصة مبدأ أن الأمامة ليست مقصورة على العرب وحدهم ، بل هي حق لكل مسلم صالح، وأن الحكام العرب حادوا عن الطريق السليم ، وأنهم أي البربر لهم الحق في الثورة عليهم ، وعلى ذلك فقد أعلن ميسرة نفسه إماما ، وتسمى بالخلافة ، وأمر أصحابه برفع المصاحف على الأُسنة كما كان خوارج المشرق يفعلون (١)

قيام الثورة وغزوة الأشراف (٥) ١٢٢ هـ / ٧٣٩ - ٧٤٠ م

وجد البربر رئيسا يقودهم وهو ميسرة ، وأخذوا يتحينون الفرصة المناسبة للخروج على الوالي ، وعماله ، وجاءت الفرصة عندما أرسل عبيدالله بن الحبحاب ، قائده حبيب بن أبي عبيدة في حملة إلى صقلية سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ - ٧٤٠ م (٢) أدت هذه الفرصة إلى قيام الثورة من جهة ، وصعوبة السيطرة عليها من جهة أخرى ، ومن الجدير بالذكر أن معظم المصادر تذكر أن الثورة بدأت في إقليم طنجة في المغرب الأقصى بسبب أن عاملها عمر بن عبدالله المرادي أساء السيرة ، وتعدى الصدقات ، وأراد تخميس البربر وزعم أنهم في المسلمين ، وذلك ما لم يفعله عامل قبله ، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يدخل الإسلام ، فكان فعله الذميمة سببا لنقص البلاد ووقوع الفتن العظيمة (٣)

وهناك رواية تخالف ما اجتمعت عليه المصادر السالفة ، وتقول إن الثورة قامت في إقليم طنجة ، والسوس الأقصى في وقت واحد ، فقد ثار

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٢.

(*) غزوة الأشراف : سميت بذلك لمقتل عدد كبير من حمادة العرب ، وفرسانهم من قريش

والأنصار وغيرهم [ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨]

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥١ : ٥٢.

- د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج ٢ ، ص ٣٠٥.

- د/ مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٩.

- د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٨٨.

- د/ زيتون: القيروان ، ص ١٠٨.

(٣) ابن عذاري: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥١ : ٥٢.

- ابن عبدالحكم: مصدر سابق ، ص ٢١٧.

- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٩.

عبدالأعلى بن جريح الأفريقي في إقليم طنجة ، وقتل واليها عمر المرادي ، وثار ميسرة في إقليم السوس الأقصى ، وقتل واليها اسماعيل بن عبيد الله بن الحباب ، وتذكر هذه الرواية أن ثورثا عبد الأعلى ، وميسرة كانت في آن واحد للنصف من رمضان سنة اثنين وعشرين ومائة ، وأن ميسرة أرسل قائدا فقتل عبدالأعلى بن جريح (١) وعلى ما يبدو فإن رواية خليفة بن خياط السالفة غير مؤكدة، وذلك أنها لا تقدم أى تفسير لمقتل عبدالأعلى ، وهو من قادة الثورة ، ونرى أن تفسير هذا يرجع إلى محاولة ميسرة الإنفراد بالزعامة دون مشاركة من أحد ، أو خوف ميسرة من انضمام عبدالأعلى إلى العرب وخاصة أن عبدالأعلى ليس بربريا.

ومن الراجح أن ميسرة قاد الثورة في إقليم طنجة ، ولما نجح في قتل واليها استخلف عبدالأعلى على طنجة (٢) ثم توجد على رأس جيش من الثوار إلى السوس الأقصى لقتال اسماعيل بن عبيدالله بن الحباب فقتله ، وبهذا خرج المغرب الأقصى كله من يد المسلمين ، وتخرج مركز عبيدالله بن الحباب في إفريقية (٣)

"وصف المعركة"

وهناك عدة نصوص تصف اتساع المعركة:

الأول: قول ابن عذارى: "ثارت البرابر كلها مع أميرهم ميسرة الحقيير" (٤)

الثانى: قول ابن الأثير ".. تداعت البربر مسلمها وكافرها" (٥)

الثالث: قول مؤلف مجهول: إن الثورة شملت كل إفريقية فقد "... وثب كل قوم من البربر على من يليهم"

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ، ص ٣٥٣.

(٢) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٩. د / سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٧. د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٠٥.

(٣) د/ حسين مؤنس: مرجع سابق ، ص ١٦٩.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٢ . نخب تاريخية : ليفى بروفنسال ، ص ١٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٢.

الرابع: قول الرقيق إن البربر "... تداعت بأسرها" (١)

وبالرغم مما تحويه هذه النصوص السالفة من مبالغة ، إلا أنه يبدو أن الثورة كانت بين عامة السكان ، وأن قبيلة مطغرة وبرغواطة في المغرب كانتا من أهم القبائل البائدة بالثورة (٢) ابتدأت الثورة في إقليم طنجة كما أسلفنا، وقتل عاملها ، وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠م (٣) وبهذه النتيجة يكون البربر بقيادة ميسرة المطغرى قد اقتطعوا أول جزء من بلاد المغرب الموجودة تحت أيدي الأمويين ، وهى طنجة ، وعين ميسرة عبدالأعلى بن جريح عاملا عليها من قبله ، توافد البربر على ميسرة من كل اتجاه ، واعتنقوا مذهبه ، وكثر جمعه ، وأشدت أمره بطنجة ، ونواحيها ، ولقب ، وخوطف بين البربر "بأمير المؤمنين". (٤) اتجه ميسرة بعد ذلك إلى السوس الأقصى فدانت له بعد أن قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحجاب (٥) عندما علم ابن الحجاب بوقوع طنجة في أيدي الثوار فاستتجد بوليه في الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى (٦) ليقضى على الثورة ، فعبر إلى إفريقية، وقاتل البربر ، لكنه لم ينجح في إخماد الثورة فقد دارت عليه الدائرة، وثار أتباعه عليه وخلعوه ، واختاروا مكانه عبدالملك بن قطن الفهرى. (٧)

(١) الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٠٩.

(٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨. ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٢.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ، ص ٣٥٣. ابن الأثير: الكامل ، ج ٢ ، ص ٢١٧.

- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٦.

- دائرة المعارف الإسلامية : ج ٣ ، ص ٥٠٥.

(٤) ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٢. ليفى بروفنسال ، نخب تاريخية ، ص ١٦.

(٥) تاريخ بن خياط: ، ص ٣٥٣. ليفى بروفنسال : مرجع سابق ، ص ١٥.

(٦) أخبار مجموعة ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

عقبة بن الحجاج السلولى ١٢٣ هـ / ٧٤١م من أشرف بنى سلول ، ولاء عبيد الله بن الحجاب أمير إفريقية والمغرب ، وما ولاهما على الأندلس سنة ١١٦ هـ ، سنة ٧٣٤م ، أو ١١٧ هـ ، سنة ٧٣٥م ، وكانت ولايته حسنة السيرة ، اختلف فى مدة ولايته فهى ما بين خمسة أعوام وشهرين أو ستة أعوام وأربعة أشهر ما بين سنة ١٢١ - ١٢٣ هـ / ٧٣٩ - ٧٤١م [الزركلى: الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ ، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٨٦م ، بيروت ، لبنان]

(٧) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

عبدالملك بن قطن الفهرى (٣٣ - ١٢٣ هـ / ٦٥٣ - ٧٤١م) عبد الملك بن قطن بن نهشل بن عبدالله الفهرى ، تولى إمارة الأندلس ١١٤ هـ / ٧٣٢م ، بعد مقتل عبدالحمين الغافقى ، عزله ابن الحجاب ، سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥م ، ولكنه لم يخرج منها ، وبقي إلى أن توفى =

من ناحية أخرى ، جهز عبيدالله بن الحبحاب جيشا بالقيروان ، ضم معظم جنوده ، ثم كتب إلى قائده حبيب بن أبي عبيدة بالرجوع من صقلية بجيشه حتى يستطيع أن يوحد كل قواته في مواجهة ثوار البربر المتجهين نحو القيروان (١) تخرج موقف عبيدالله بن الحبحاب بعد انتصارات البربر السابقة ، وغضب لزوال هيبة العرب فقتل عامله على طنجة ، وولده في السوس الأقصى ، ولما كان الوقت لا يسمح بانتظار جيش حبيب بن أبي عبيدة ، فقد أسرع ابن الحبحاب بإرسال خالد بن أبي حبيب الفهري على رأس جيش ضم أشرف العرب ، وحماتهم للقضاء على الثورة. (٢)

تقدم جيش حبيب ... من فوره حتى لقي ميسرة دون طنجة ، فاقتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله ، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة ، وأنكرت البربر عليه سوء سيرته ، وتغيره (٣) عما كانوا بايعوه عليه ، وقد بويع بالخلافة فقتلوه. (٤)

ويرى د/ حسين مؤنس أن معركة قد دارت قبل هذه بين العرب والبربر قرب طنجة إنتصر فيها البربر ، بقيادة ميسرة ، وقد أفقده النصر صوابه فأساء السيرة ، فقتله أتباعه (٥) ولا يذكر د/حسين مؤنس اسم قائد الجيش العربي في هذه المعركة ، لكن الأستاذ سيد أمير على (٦) يذكر أنه

=عقبة بن الحجاج السلولى فنادى فى أهل الاندلس أميرا عليهم ولكنه قتل فى نفس السنة التى تولى فيها سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م [الزركلى : الأعلام ، ج ٤ ، ص ١٦٢]
 (١) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٣.
 (٢) ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٣. القيروانى : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١٠٩.
 (٣) مظاهر التغير:

١- ذهب النصر بصواب ميسرة ، فأساء السيرة ، فقتلوه.
 ٢- تلاقى جيش العرب ، وميسرة قرب طنجة ، فاقتتل ، وتراجع ميسرة فثار عليه البربر ، وقتلوه.
 ٣- انسحب ميسرة دون استماتته فى القتال وانتهى الأمر بأن قتلوه فعلى مذهب الخوارج يمكن التخلص من الإمام اذا انحرف عن طريق الجماعة [د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٦٩ . د/ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ . د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٩٠]
 (٤) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٣.
 (٥) لم يذكر د/ مؤنس اسم المعركة ويقول "التقى العرب مع ميسرة على مقربة من طنجة ، فانهزموا ، وقتل منهم نفر عظيم ، وعاد ميسرة إلى مركزه فى طنجة منصورا [د/ حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ١٦٩]
 (٦) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٤٣.

خالد بن حبيب ، وربما أراد د/حسين مؤنس وسيد أمير على بذلك أمرين الأول أن يتخلصا من اللبس في تحديد مواقع المعارك التالية التي سنتعرض لها ، وربما إلتبس عليهما الأمر أيضا نتيجة لإضطراب الروايات في بعض المصادر ، فإن المعركة التي وقعت قرب طنجة بقيادة ميسرة ، وقتل على أثرها ، كان قائد الجيش العربي فيها خالد بن حبيب الفهري على ما تقدم .

أما د/سعد زغلول ، فيرى أن المعركة وقعت ، قرب وادي شلف "تهر الشليف" بمقربة من تاهرت (١) وانسحب ميسرة على أثرها في ظروف غامضة لا نعرفها ، وحصل انشقاق بين ميسرة ، وأتباعه الذين أخذوا عليه انسحابه من المعركة ، وانتهى الأمر بقتله (٢) وربما أراد د/سعد زغلول أيضا أن يتخلص من اللبس حول تحديد أماكن بعض المعارك التالية ، فإستنتج أن المعركة السالفة وقعت قرب وادي شلف ليوضح أن المعركة التي وقعت بعد وادي شلف حسب رأيه ، والتي لا تشير المصادر إلى موقعها ، هي التي وقعت قرب طنجة ، على خلاف ما تذكره المصادر ، من أن المعركة التي قادها ميسرة هي التي وقعت قرب طنجة ، على ما سبق ذكره ، لم تكن المعركة في صالح أحد الجيشين ، ويذكر أن الجيشين قد تحاجزا ، فانصرف ميسرة إلى طنجة (٣) وربما تحصن بها ، ولم يرضى أتباعه عما حدث فقتلوه ، وقد تولى قيادة البربر بعد ميسرة خالد بن حميد الزناتي (٤) فتجمعوا حوله ، فقادهم ، ولم ينتظر حتى يدخل العرب طنجة ، بل دعم قواته ، واستأنف القتال ، وقد فاجأ خالد بن حميد الزناتي ، وأصحابه من الصفرية ، العرب من الخلف وتكاثروا عليهم فلم يستطع العرب الصمود أمام جيوش البربر الكثيفة ،

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(٢) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٨ : ٢٥٩ .

(٣) الناصري السلاوي: الإستصفا ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٤) ابن الأثير: الكامل: ج ٤ ، ص ٢٢٣ . ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٣ .

خالد بن حميد الهنوري الزناتي: هو أحد قواد البربر البتر من قبيلة زناته اعتنق مبادئ الخوارج الصفرية ، تولى قيادة البربر في ثورتها على العرب بعد مقتل ميسرة المطغري ، وتمكن من هزيمة العرب هزيمة منكرة قتل فيها كثير من أشرف العرب عام ١٢٢هـ/٧٤٠م . [ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٨ . ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٤ . د/ زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ج ١ ، ص ٦٨ . د/ حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٤ . د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٩١]

فانهزموا هزيمة منكرة لم يسمع بمثلها ، وقتل حبيب ، ومن معه ، وقد عبر ابن الأثير (١) عن هذه الموقعة بقوله " ولم يبق من أصحابه رجل واحد ، فقتل في تلك الموقعة حماه العرب ، ورؤسائها ، وسادتها وأبطالها فسميت غزوة الأشراف " وكان ذلك في أواخر عام ١٢٢ هـ أو في محرم عام ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م (٢) ويذكر عدد من الباحثين أن ابن الحباب ، قد طلب من واليه على الأندلس عقبه بن الحجاج السلولى ، أن يقضى على الثورة ، فعبر إلى إفريقية، وقاتل البربر ، لكنه لم ينجح في إخماد الثورة ، فقد ثار عليه اتباعه فخلعوه ، واختاروا عبدالملك بن قطن الفهري (٣)

على الجانب الآخر وصل جيش حبيب بن أبى عبيدة من صقلية ، فأرسله ابن الحباب فى أثر جيش خالد ، لكن حبيب عسكر عند وادى شلف ولم يتقدم (٤) ويرى د/ سعد زغلول أن وصول حبيب من صقلية ، كان بعد وصول نبأ غزوة الأشراف ، وقد اعتمد فى ذلك على رواية ابن عبدالحكم (٥) التى تبدو مضطربة ، وقد اختلفت الأمور على عبيد الله بن الحباب ، فاجتمع الناس وعزلوه (٦) بعد أن أصبح لا حول له ، ولا قوة ، ولا يدري ماذا يفعل ، ويبدو أنه فقد السيطرة على البلاد ، وفى هذه الحالة ، ربما يكون من الأفضل أن يبقى ابن الحباب جيش حبيب فى القيروان ، ومن المستبعد أن يجازف بإرساله ، وعلى الأرجح فإن ابن الحباب أرسل جيش حبيب فى أثر جيش خالد قبل وصول خبر موقعة الأشراف ، لكن حبيبا لم يشأ أن يسر بقواته للحاق بخالد فقد فضل أن يعسكر عند وادى شلف (٧) عندما سمع بواقعة الأشراف . أما عن رد فعل الخلافة الأموية تجاه هذه الأحداث ، فقد غضب الخليفة هشام بن عبدالملك غضبا شديدا عندما سمع بهذه الأنباء المؤسفة ، وقال قولته المشهورة " والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن اليهم جيشا

(١) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٣.

(٢) تاريخ ابن خياط ، ص ٣٥٣.

(٣) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٧٠.

- د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٢٥٧.

(٤) القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٠. ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٣.

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٧ ، ٢١٨.

(٦) ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٤. القيروانى: مصدر سابق ، ص ١١١.

(٧) ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٣.

أوله عندهم ، وأخره عندي ، ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسى ، أو تميمي ، ثم كتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالحضور إلى مقر الخلافة في جمادى الأولى سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م (١)

كلثوم بن عياض القشيري وموقعة بقدورة (٥)

وفعلا بر الخليفة هشام بقسمه ، وأرسل جيشا عربيا بقيادة كلثوم بن عياض القشيري ، ويظهر أن إعداد جيش كلثوم ، وقدمه إلى القيروان قد تم بسرعة كبيرة ، حيث إنه تحرك من الشام في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م (٢) فوصل إلى مدينة القيروان في شهر رمضان من نفس السنة (٣) وهذا يدل على أن الخلافة الأموية كانت تريد القضاء بمنتهى السرعة على الثورة قبل إنتشار أمرها ، وإمتدادها إلى مناطق أخرى فيتعذر القضاء عليها.

وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد هذا الجيش ، فيذكر صاحب أخبار مجموعة أنه بلغ نحو سبعين ألفا من العرب ، عبارة عن سبعة وعشرين ألفا من الشام ، وثلاثة آلاف من مصر ، فبلغ ثلاثين ألفا ، بالإضافة إلى أهل إفريقية الذين انضموا إلى جيش كلثوم فيقول "خرج إليه منها - أي إفريقية - فيما يقال بشر كثير من أهل إفريقية ، ومن كان معه من أهل طنجة من العرب حتى تم جيشه سبعين ألفا" (٤)

أما ابن عذارى ، والقيرواني فلا يشيران إلى العدد الكامل للجيش ، حيث أنهما يذكران فقط أن كلثوم خرج من الشام باثني عشر ألف جندي فقط (٥) وفي رواية أخرى لابن عذارى أن عدد جيش كلثوم كان ثلاثين ألفا

(١) ابن الأثير: الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٢٣. ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٤.
 (*) بقدورة : تسمى هكذا عن صاحب أخبار مجموعة ، ص ٣٢ ، وفي موضع آخر يسميها نقدورة ، ص ٣٩. أما ابن القوطية "تاريخ افتتاح الأندلس" ، ص ٤١ فيسميها نقدورة بالفاء ، وتقع على واد سبو "نهر مدينة فاس" بالقرب من مدينة تاهرت [د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ، ص ٣١٠. د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٩٥]
 (٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر ، والمغرب ، ص ٢١٨.
 (٣) القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٣، ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١، ص ٥٤.
 (٤) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣١.
 (٥) ابن عذارى: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٤. القيرواني: مصدر سابق ، ص ١١٣.

عند وصوله إلى وادي سبو (١) وتعد رواية صاحب أخبار مجموعة أوثق هذه الروايات لأنها تقدم وصفا دقيقا لجيش كلثوم ، كما أن كلثوم كان يأخذ جندا ، ومتطوعين من الأقاليم التي يمر بها كمصر ، وطرابلس ، والقيروان ، إضافة إلى جيش حبيب بن أبي عبيدة في تلمسان (٢) ولما كانت تلمسان غير وادي شلف فمن المرجح أن يدخلها حبيب ، ويتحصن بها بانتظار جيوش الخلافة (٣)

موقعة بقدورة : ١٢٤هـ / ٧٤٢م

بدأ كلثوم ينظم جيشه ، فجعل مغيث على رجاله إفريقية ، وعلى خليها هارون القرني ، وكان بلج بن بشر على خيل أهل الشام ، ويبدو أن عدد البربر كان كبيرا ، فأشار مغيث ، وهارون على كلثوم أن يحفر خندقا حول معسكره ، ولكن بلج كان له رأى آخر ، وظن أنه إذا جال بخيله يكون الموقف في صالحه ، وغاب عنه أن البربر قوم متفوقون في هذا النوع من الحروب ، بالإضافة إلى الحيلة التي قاموا بها ، حيث صنعوا أكياسا من الجلد ملأوها بالحجارة ، وأخذوا يهزونها بشدة ، ويقذفونها على رؤوس الخيل فكان هذا سببا في نفور الخيل (٤) ولم يتمكن الفرسان العرب من القتال عليها ، فما كان من كلثوم إلا أنه أمر جنوده بالحرب مترجلين ، ولم يكن البربر يرجون خيرا من ذلك ، فانقضوا على العرب ، وأحاطوا بهم ، وأعملوا فيهم السيف (٥) وعندما أحس كلثوم بخطورة الموقف وبدت أعراض الهزيمة ، أراد أن يتخلص من المسؤولية ونتيجة المعركة ، فخاطب حبيب بن أبي عبيدة فقال : إن أمير المؤمنين أمرني أن أوليك القتال ، وأعقد لك على الناس ، إلا أن كلثوم لو كان صادقا لولاه المسؤولية قبل أن تبدأ المعركة ، فقال حبيب : قد فات الأمر ، وزحف رجاله البربر على أثر الخيل حتى خالطوا كلثوما وأصحابه وأكثروا في جيشه القتل ، وجرح كلثوم وصمد ، لكنه قتل وهو يقرأ

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٥.

(٢) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢٦٢.

(٣) يذكر ابن الأثير في الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ "أن حبيب بن أبي عبيدة كان يقف في مواجهة البربر عندما وصلت جيوش الخلافة إلى إفريقية".

(٤) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٤.

(٥) د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٧٧.

القرآن (١) وقتل عدد كبير من العرب وإنهزم جيش كلثوم ، وأخذ البربر يأسرون ، ويقتلون حتى أصبح معظم الجيش ما بين مقتول ومأسور وعاد معظم الفارون إلى إفريقية عام ١٢٤ / ٧٤٢م (٢) أما عن موقف بلج الذي بقي معه نحو عشرة آلاف من جنود المعركة ، فقد خالطه البربر ، وتكاثروا عليه ، فحالوا بينه وبين الرجوع إلى عسكره ، وصار في دبر عسكر البربر يقاتل طوائف منهم قد كاثروه (٣) فلم يستطيع مقاومتهم فهرب إلى طنجة ثم إتجه إلى سبته ، وأقبل البربر وراءه يحاصرون المدينة ، ويهاجمونها ، ولكنهم لم يستطيعوا اقتحامها لحصانة أسوارها ، ومناعتها ، فعمدوا إلى تخريب مزارعها حتى دمروها ، مما صعب على العرب الإقامة بها ، فجاجوا حتى أكلوا دوابهم وأشرفوا على الهلاك (٤) فاضطر بلج إلى طلب النجدة من والى الأندلس عبدالملك بن قطن فأرسل إليهم السفن ، والأطعمة (٥)

أما عن سبب هزيمة كلثوم فيذكر صاحب أخبار مجموعة (٦) أن البربر وضعوا الحجارة في جلود اليايسة ، وعلقوها بأذنان خيولهم فنفرت خيل العرب منها ، هذا بالإضافة إلى النزاع الذي قام بين حبيب بن أبي عبيدة أحد قواد جيش كلثوم من جهة ، وبين كلثوم ، وبلج بن بشر من جهة أخرى بسبب إستهانه بلج بحبيب عندما لقيه ، كما طعن كلثوم فيه وشتمه وأهل بيته (٧) هذا إلى جانب قيادة كلثوم الغير حكيمة حيث لم يأخذ بأراء مستشاريه ، فقد رفض رأى حبيب عندما قال لكلثوم قاتلهم الرجاله بالرجاله ، والخيل بالخيال (٨) وأطاع بلجا المغتر بنفسه حين أشار على كلثوم أن يصدم البربر بالخيال " ليدرسهم بها، وكانت الخيل أوثق في نفس كلثوم من الرجاله (٩) ويشير

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٢ .

(٢) مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٥ ، د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧٨ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢١٩ ، مجهول : مصدر سابق ، ص ٣٣ .

د/ مؤنس : مرجع سابق ، ص ١٧٨ . د/ السيد سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٤) مجهول : مصدر سابق ، ص ٣٧ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٥) د/ السيد سالم : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

(٦) مجهول : مصدر سابق ، ص ٣٤ .

(٧-٨) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٩ .

(٩) ابن عبدالحكم : مصدر سابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

ابن عذارى إلى هذا بقوله "كان الإختلاف سبب هلاكهم مع سوء رأى كلثوم ، وبلج" (١)

كانت انتصارات البربر الكبيرة على جيوش الخلافة الأموية نذيرا باشتعال نار الثورة في المغرب ، فهبت في كل ناحية ثورة يقودها زعيم من البربر ضد العرب.

حنظلة بن صفوان وموقعنا والقرن والأصنام سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م:

هكذا نرى أن العرب قد هزموا في معركتين متتاليتين وهما: الأشراف، وبقدورة ، مما جعل الخلافة الأموية تستشعر الخطر الحقيقي من جانب البربر ، حيث أنه إذا استمر الوضع هكذا ، فيمثل تهديدا كبيرا لمركز الخلافة الأموية في المغرب ، والأندلس ، وفي هذه الظروف الصعبة عجل الخليفة هشام بتعيين والى مصر حنظلة بن صفوان واليا على المغرب خرج حنظلة من مصر بجيش كبير يقدر بثلاثين ألف رجل ، ثم أمده هشام بعد ذلك بعشرين ألف رجل (٢) ولم يكتف هشام بهذا ، ولكنه كان دائم التعرف والإطمئنان على الوضع في المغرب ، وعلى حنظلة ، وجيشه أولا بأول ، وقد رسم خطة عمل لحنظلة للقضاء على هؤلاء الثوار ، وهي عبارة عن عدم إنتظار حنظلة إلى أن يتحد جيش البربر (٣) خرج حنظلة بأهل القيروان إلى عكاشه بن أيوب الفزاري لأنه أقرب إلى القيروان من عبدالواحد (٤) ويذكر ابن الأثير أن العلماء قاموا في أهل القيروان يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يفعلون بالنساء من السبى ، وبالأبناء من الإسترقاق ، ومن الرجال بالقتل". (٥) التقى حنظلة بعكاشه بعد قتال شديد في معركة القرن ، وهزمه هزيمة منكرة "... هزم الله عكاشه وأصحابه" (٦) وقد أسرع حنظلة بعد هزيمة عكاشة في القرن بالرجوع إلى القيروان خوفا عليها

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٥.

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٦.

(٣) مجهول: المصدر السابق ، ص ٣٧. د/ حسين مؤنس: ثورات البربر ، ص ١٧٩.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣.

(٦) القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٦.

- ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٢.

من عبدالواحد ، وقضى ليلة في الإستعداد لمقاتلة عبدالواحد (١) فسار إليه ، والتقى الجيشان عند الصباح وبجميع ما حمله النصر على عكاشه من الحماس ، هاجم العرب البربر فهزموهم عند منطقة الأصنام ، وقتل عبدالواحد ، وكانت المعركة يوم الثلاثاء سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م ولم يعرفوا بمقتله إلا يوم الخميس (٢) أما عكاشه فجئ به أسيرا ، وكان قد هرب من المعركة في القرن فأمر به حنظلة فقتله (٣) ويرى أحد الباحثين (٤) أن حنظلة بدأ المعركة مع عبدالواحد ، فلما قضى على جيشه اتجه لحرب عكاشه ، معتمدا على رواية ابن عبدالحكم التي تبدو مضطربة في نصها القائل " وكان عكاشه أقرب إلى حنظلة فصيح عبدالواحد الأصنام بجموعة ، وزحف حنظلة إلى الفزاري لقربه منه وخرج معه بأهل القيروان ... فلقبهم بالأصنام فهزم الله عبدالواحد وجمعه " (٥).

ومن الجدير بالذكر أن النصوص التي تناولت معركة القرن والأصنام تبدو مضطربة ، وربما كان السبب في ذلك أن المعركتين في زمن متقارب ، بالإضافة إلى مقتل عكاشه بعد هزيمة عبدالواحد ، مما أوقع بعض المؤرخين في شيء من اللبس .

ويظهر أن حنظلة اتجه إلى أقرب عدويه وهو عكاشه ، فلما هزمه اتجه إلى عبدالواحد ، ودارت المعركة فتمكن العرب من دحر البربر ، وهزيمتهم ، ووجدوا عبدالواحد قتيلا بعد يومين من المعركة كما ذكرنا ، وتم أسر عكاشه وجئ به إلى حنظلة فقتله ، فكان ذلك مدعاة إلى الخلط بين المعركتين على الأرجح (٦) ويبدو أن متاعب حنظلة لم تنته بهزيمة البربر

(١) القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ١١٦ .

- ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ .

(٢) القيرواني: مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٤ . القيرواني: مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

- ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ .

(٤) د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٥) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٢ .

(٦) ابن عبدالحكم: المصدر السابق ، ص ٢٢١ : ٢٢٤ . القيرواني: مصدر سابق ،

ص ١١٢ : ١١٥ . ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ : ٢٢٤ . ابن عذاري: مصدر

سابق ، ج ١ ، ص ٥٨ : ٥٩ . مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٦ . د/ سعد زغلول:

مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٧٤ : ٢٧٦ . د/ حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص ١٧٩ .

حول أسوار القيروان ، فبعد انتهاء المعركتين تتبع حنظلة فلول البربر الخوارج الفارين للقضاء عليهم ، فأمر قائده على طرابلس معاوية بن صفوان (١) بالخروج لحرب نفر من صفرية أقليم نفاوة الواقع ما بين صبره ، وقابس ، فسار معاوية إليهم ، ونجح في هزيمتهم لكنه دفع حيادته ثمنا لهذا النصر . (٢) انتصر العرب على البربر ، وشتتوا شملهم ، ولكنهم لم يقضوا عليهم القضاء الكامل ، وبعد هذه الإنتصارات التي حققها حنظلة على البربر في إفريقية "كتب إلى هشام بالفتوح ، واستشاره في الإقدام على بلد البربر ، فأتى كتابه هشام وهو يوجد بأنفساسه الأخيرة" (٣)

عبدالرحمن بن حبيب وقضائه على ثورات البربر:

تولى خلافة الدولة الأموية بعد هشام بن عبدالملك ، الوليد بن يزيد بن عبدالملك (٤) في جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ / مارس ٧٤٤م ، وحاول عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن حبيب انتهاز الفرصة ، وفرض سيطرته على القيروان خاصة ، وأن زعمائها قد وافقوا على مبايعته على إفريقية بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وإضطراب أمور الخلافة في الشام ، فلما استقر الأمر لمروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية (٥) إعترفوا بخلافته ورجعوا عما كانوا اتفقوا عليه مع عبدالرحمن ، وفي ذلك يقول ابن عبدالحكم "ووجد

(١) معاوية بن صفوان : كان عامل حنظلة على طرابلس ، كتب إليه حنظلة يستجده ، فأنجده بأهل طرابلس ، ولما وصل إلى قابس بلغه خبر هزيمة عكاشه ، وعبدالواحد ، فأمره حنظلة أن يتقدم بجيشه إلى حرب البربر بنفاوة فذهب إليهم ، وقاتلهم حتى قتل ١٢٤هـ / ٧٤٢م ، [الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ١١٣ ، ١١٤]

(٢) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣ .

(٣) مجهول: أخبار مجموعة ، ص ٣٧ .

(٤) الوليد بن يزيد بن عبدالملك: هو الخليفة الحادي عشر من خلفاء بني أمية ، تولى الخلافة في ربيع الآخر ، سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م ، وكان أبوه يزيد بن عبدالملك حين عهد بالخلافة من بعده لآخيه هشام بن عبدالملك جعل ابنه هذا ولي للعهد له فلما مات هشام سنة ١٢٥/٧٤٣م ، صلى عليه الوليد بن يزيد ، ثم بويع له بالخلافة بعد عمه في نفس اليوم [أبو الفداء : تاريخ أبو الفداء ، ج ١ ، ص ٢١٩ : ٢٢٢ . الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٤٤ . د/ عبدالشافى عبداللطيف: تاريخ العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص ١٩٦]

(٥) مروان بن محمد بن الحكم بن العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف ، آخر خلفاء بني أمية ، وفرسانهم ، تولى الخلافة سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م ، وقتل سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م ، في بوضير من أعمال مصر ، بعد أن فر من موقعة الزاب [أبو الفداء: مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٩ . ٢٢٢ . د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ . د/ عبدالشافى عبداللطيف : مرجع سابق ، ص ٢٠٨]

عبدالرحمن عليهم لخروجهم إليه ، وكانوا قد كاتبوه قبل ذلك سرا من حظلة ، فلما بلغهم ولاية مروان نزعوا عنه ذلك" (١) بعد أن فرض عبدالرحمن بن حبيب نفسه على إفريقية ، ما كان من الخلافة الأموية ، إلا أن أقرته عليها سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م (٢) فعمل منذ اللحظة الأولى على تثبيت أقدامه في المغرب ، وتكوين أماره له ، ولكن تكوين الإمارة ليس بالأمر السهل (٣) فنجد عبدالرحمن أصبح أميراً شبه مستقل عن الخلافة الأموية ، لأنه إغتصب هذه الإمارة بعد أن رحل حظلة إلى الشام مفضلاً عدم الصدام مع عبدالرحمن خوفاً على مصلحة المسلمين ، على الجانب الآخر أراد عبدالرحمن أن يكون موقفه أمام البربر موقفاً شرعياً يدعم به سلطانه ، لكن البربر كانوا يتطلعون للقضاء على أي نفوذ يحد من سلطانه ، وظلوا يتربصون الفرص المواتية للإستقلال ببلادهم (٤) وقد اتبع عبدالرحمن بن حبيب في إخضاع أولئك الذين راودتهم فكرة إقطاع إمارات لهم في البلاد ، والإستقلال بها - سياسة العنف والخديعة فكان "يؤتى بالأسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله فيقتله" (٥) وبالرغم من الإنتصارات الكبيرة التي حققها حظلة إلا أنه لم يستطع أن يقضى على البربر نهائياً فالبلاد مضطربة بسبب ثوراتهم ، فإذا أراد عبدالرحمن تكوين إمارة خاصة به فعليه أن يقضى على معظم البربر الثائرين في مختلف بلاد المغرب ، وخاصة في المناطق الجبلية الصعبة وقد حدثت عدة ثورات منها:

أولاً: في مدينة باجة إلتف البربر حول زعيم منهم يدعى ثابت الصنهاجي (٦)

(١) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٧٩ .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ٦١ .

- د/ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(٤) د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٥) ابن عذاري: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦١ .

(٦) ثابت "بن زيدون" الصنهاجي وعبدالله بن سكرديد : من أمراء قبيلة صنهاجة ، وهي عمدة

قبائل البربر البرانس ، في البداية استغل ثابت حالة عدم الإستقرار في القيروان ، واستقل

بمدينة باجة ، ثم انضم إليه عبدالله أحد أمراء القبيلة ، وهو ما دعم موقف ثابت من

الإستقلال بباجة ، ولكن إلياس بن حبيب قضى على طموحها ، وتمكن من قتلهم

سنة ١٣٠هـ / ٧٤٨م [ابن الأثير: مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٩ . د/ حسين مؤنس:

ثورات البربر، ص ١٨٢ ، ١٨٣ . د/ سعد زغلول : مرجع سابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨]

ثانياً: في مدينة طرابلس ثار كل من الحارث بن تليد الهواري ، وعبدالجبار ابن قيس الهواري.

ثالثاً: في مدينة قابس ثار بربر قبيلة نفوسه بقيادة اسماعيل بن زياد النفوسى الإباضى (١) فرضت هذه الثورات على عبدالرحمن بن حبيب أن يخمدتها إذا أراد أن تكون إفريقية إمارة خاصة به ، فبدأ بثابت الصنهاجى فى مدينة باجة ، فعندما علم بثورتهم جهز سرية من ستمائه فارس بقيادة أخيه الياس بن حبيب(٢) واتفق معه على أعمال الحيلة بالتظاهر بعدم التوجه إلى باجه ، ثم ينقض عليهم دون أن ينهك قواه ، واتبع نفس الطريقة بمفاجأة مدينة تونس وقتل عروة بن الوليد ، وأقام الياس فى المدينة سنة ١٣٠هـ / ٧٤٨م (٣) وفى مدينة طرابلس إستعمل عبدالرحمن دهاءه فى القضاء على ثورة طرابلس ، والتى قويت بإنضمام بربر هواره ، فعمد أولاً إلى التغلب عليها بقوة السلاح بتولييه أخيه الياس على طرابلس حتى يقضى على الثورة قبل أن تستفحل ، ولما رأى عبدالرحمن عدم جدوى هذا ، لجأ إلى أسلوب الخديعة بدلاً من قوة السلاح حتى يستطيع التغلب على خصيمه ، فدس عليهما عصابة من أتباعه فى طرابلس فقتلوا سنة ١٣١هـ / ٧٤٩م ثم أدخلوا على كل منهما سيفاً وجعلوا مقبضة إلى جهة الآخر ليوهما الناس بأنهما تنازعا فتقاتلا ، فقتل كل منهما الآخر (٤) ثم تصدى عبدالرحمن بن حبيب إلى اسماعيل بن زياد الإباضى الثائر ببربر نفوسه فى قابس ، وتمكن من هزيمته هو ، وأتباعه ،

(١) اسماعيل بن زياد النفوسى الإباضى: تولى إمامه الخوارج الإباضية فى طرابلس بعد مقتل عبدالجبار ، والحارث وكثر أتباعه واستولى على مدينة قابس وزاده خطرته ، مما جعل عبدالرحمن بن حبيب يخرج له بنفسه ، وتمكن من قتله وتشتيت البربر أتباعه سنة ١٣١ ، ١٣٢هـ / ٧٤٩ - ٧٥٠م [ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٤. د/ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٢٧. د/ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ، ص ٣٣٢ : ٣٣٣]

(٢) إلیاس بن حبيب : ١٣٨هـ / ٧٥٥م إلیاس بن حبيب بن أبى عبیده بن عقبه بن نافع الفهرى استطاع بجهوده اخضاع من ثار على أخيه عبدالرحمن ، ولكنه عندما أحس بنية أخيه فى الغدر به تمكن من قتله ، واستولى على إمارة إفريقية التى استمرت عاما ، وستة أشهر ، وقتل على يد حبيب بن عبدالرحمن الذى ثار لمقتل أبيه [الزركلى : الأعلام ، ج ٢ ، ص ٩]

(٣) د/ سعد زغلول: مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣١٨.

(٤) د/ السيد سالم: مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٤.

وأخذ من الأسرى الكثير ، وتوجه بهم إلى سوق طرابلس ، فضرب أعناقهم وصلبهم سنة ١٣١هـ / ٧٤٩م (١)

وهكذا في خلال أربع سنوات تمكن عبدالرحمن بن حبيب من القضاء على ثورات البربر ، وكتب إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية يخبره بذلك فأقره بالأمر الواقع ، وكتب إليه بالولاية على إفريقية والمغرب (٢) وبهذا يعتبر عبدالرحمن بن حبيب آخر ولاة الأمويين في المغرب ، وعندما انتهت الخلافة الأموية ، وتأكد من انتصار العباسيين ، ومبايعة أبو العباس "السفاح" بادر بالإعتراف بخلافته فوافق أبو العباس من جهته على إقراره في ولايته (٣) وقد أحدثت ثورات البربر نتائج بعيدة الأثر على الأمويين ، وعلى عرب إفريقية بصفة عامة.

أولاً: كانت هذه الثورات بداية لإنفصال بعض أجزاء من إفريقية عن المشرق، حيث كانت كل منطقة تتحين الفرصة ، وتنفض يدها من التبعية للأمويين ، ثم العباسيين بعد ذلك حتى خرجت معظم هذه البلاد عن طاعة العرب وتكونت فيها دويلات مستقلة أو شبه مستقلة.

ثانياً: كان للخوارج دور كبير في قيادة ثورات البربر ضد الأمويين بسبب كراهيتهم لبني أمية فعملوا على دخول بلاد المغرب في بداية القرن الثاني الهجري ، وبث مبادئهم التي وجدت آذاناً صاغية لدى الكثير منهم ، وخاصة مبدأ الإمامة ، وعدم اقتصارها على فئة معينة بذاتها.

ثالثاً: ضعف تأثير الخلافة الأموية على بلاد المغرب بعد موت هشام بن عبدالملك سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م بدليل اغتصاب عبدالرحمن بن حبيب ولاية إفريقية من حنظلة بن صفوان الكلبى في سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م ولم يستطع أن يفعل معه شيئاً بل رحل إلى المشرق ، وتركها.

(١) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٥.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ، ص ٢٧٤.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٦١.

رابعاً: تمكنت هذه الثورات من تفريق وحدة بلاد المغرب ، مما جعل انتشار الإسلام داخل القارة واقفاً على ما هو عليه فى هذه الفترة ، ولم يمتد جنوباً حتى يشمل أجزاء أخرى داخلها.

خامساً: لم يقف امتداد نشاط الثورة فى أنحاء بلاد المغرب فقط ، ولكنها امتدت أيضاً إلى بلاد الأندلس على أثر علم البربر فى الأندلس بثورة أخوانهم فى المغرب على العرب.

سادساً: توجيه أنظار الخلافة الأموية إلى بلاد المغرب ، وسوء إدارة عمالهم هناك جعل عدم الإستقرار يسود هذا الجزء ، ويضيف عبء آخر كان لابد للخلافة الأموية أن تسارع بحله قبل فوات الأوان ، وإذا أرادت أن يكون بقائها طويلاً ، وإلا فالنهاية سريعة.

سابعاً: إن قيام أى ثورة من الثورات تقوم بهدف إصلاح شئ ما ، أو أى خلل ترى الثورة إصلاحه ، ولكن ثورات البربر فى إفريقيا لم تصلح الأحوال التى قامت من أجلها ، ولا حتى ظل الوضع كما هو عليه ، ولكنه ازداد سوءاً ، وانفرط زمام الأمور فى إفريقيا والمغرب ، وأصبحت كل منطقة فى وادى بعيداً عن الخلافة ، وخاصة فى نهاية العصر الأموى ، وبدأت تتضح بصورة جلية فى الفترة التى تلت هذا البحث.

ملخص رسالة البربر في إفريقية في العصر الأموي

بعد المقدمة ، والتمهيد ، استعرضت في الفصل الأول "فتح العرب للمغرب" وقد استغرق هذا الفتح مدة طويلة بلغت أكثر من سبعين عاما ، وانقسمت هذه الفترة إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الإعداد للفتح ، والتمهيد له ، وتمتد من سنة ٢١ هـ / ٦٤١م وحتى سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠م بتوليه عقبه بن نافع ، وقد اتسمت هذه المرحلة بغزوات متعددة لكل من عمرو بن العاص ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ومعاوية بن جريح ، وكانت بمثابة مقدمة ، وتمهيد للفتح والإستقرار الدائم ، وتم فيها فتح بلاد كثيرة ، ولكن لم يستقر المسلمون فيها بل كانت الجيوش تعود مرة أخرى.

المرحلة الثانية: وتبدأ من تأسيس عقبة بن نافع لمدينة القيروان، وحتى قتله في تهوذه سنة ٦٣ هـ / ٦٨٢م وانقسمت هذه المرحلة من الفتح الإسلامي لإفريقية في العصر الأموي بالتوسع ، والإستقرار ، حيث تمكن عقبة من تأسيس مدينة القيروان التي أصبحت مقرا دائما ، ونقطة ارتكاز للمسلمين لمواصلة الفتوحات ، والإحتماء بها أثناء الخطر واتسمت أيضا هذه المرحلة بدخول أعداد كبيرة من البربر في الإسلام ، ووصول عقبة أقصى بلاد البربر .

المرحلة الثالثة: وتبدأ من وفاه عقبة إلى نهاية ولاية حسان بن النعمان سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥م وقد اتسمت هذه المرحلة بسمتين الأولى: سيطرة البربر بقيادة كسيلة على القيروان في ولاية زهير بن قيس البلوي، السمة الثانية: فرض حسان بن النعمان سيطرته على الروم والبربر ، وقضائه على الكاهنة زعيمة البربر، ونشر الإسلام، والأمان بين البربر .

أما الفصل الثاني: "حالة البربر الساسية في عصر ولاة بني أمية" ، فقد اتسمت حالة البربر في عصر ولاة بني أمية بالتوسع ، والإستقرار نتيجة لاختلاف عقلية الولاة ، وبدأت بموسى بن نصير الذي كانت له اليد العليا، واستطاع إخضاع جميع قبائل المغرب الأقصى ، ودخل معظم البربر في الإسلام ، واتجه جزء كبير

منهم إلى الأندلس مع جيش العرب ، ثم استمرت العلاقة الحسنة بين البربر ، وكل من محمد بن يزيد القرشي ، واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذى أمده الخليفة عمر بن عبدالعزيز بمجموعة كبيرة من الفقهاء أثروا كثيرا فى قبائل البربر ، وغيروا كثيرا من المفاهيم الخاطئة لديهم ، ثم جاءت فترة أخرى اتسمت بعدم الإستقرار، وسوء العلاقة بين العرب ، والبربر بسبب قلة خبرة الوالى يزيد ابن أبى مسلم الذى ارتكب عدة أفعال أثارت البربر فقتلوه ، وهذه أول مرة يتجرأ فيها البربر على ولاية بنى أمية ، ثم استقرت الأمور فى ظل ولاية كل من بشر بن صفوان ، وعبيدة بن عبدالرحمن السلمى ، ثم ما لبثت أن تبدلت الأحوال فى ولاية عبيد الله بن الحجاب ، وقام البربر بأول ثورة لهم على الحكم الأموى ، وتمكنوا من هزيمة العرب فى موقعة الأشراف سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩م ، وقد تمكن حنظلة بن صفوان من هزيمة البربر فى موقعة "القرن والأصنام" سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م ثم أكمل عبدالرحمن بن حبيب الفهرى القضاء ، والسيطرة على هذه المناطق التى ثارت.

أما الفصل الثالث: "الحالة الإقتصادية لدى البربر فى العصر الأموى" ، فقد بينت أنه كان للبربر نشاطات إقتصادية متعددة منها: الزراعة الدائمة ، والزراعة الموسمية التى تعتمد على مياه الأمطار ، وكانت أهم زروعاتهم القمح ، والشعير ، والزيتون ثم الحرفة الأولى للبربر الرعى ، حيث كان معظم إعتادهم على صوف ، ولحوم ، وألبان الحيوانات ، وعلى رأسها الإبل ، والغنم ، كذلك بعض الصناعات سواء كانت معتمدة على الإنتاج الحيوانى ، أو النباتى ، أو المعدنى ، وهذا النشاط أدى إلى نمو النشاط التجارى ، ونشأة الأسواق فى كل مكان ، وما يلزم هذه الأسواق من مقومات ، واحتياجات.

الفصل الرابع: "الحالة الإجتماعية لدى البربر فى العصر الأموى" ، كانت السمة المميزة للبربر فى حياتهم الإجتماعية النظام القبلى الذى يعتمد على تماسك القبيلة ، واتسمت الحالة الإجتماعية عند البربر بالتعدد ، حيث كان يوجد إلى جانب القبائل الكبرى ، والصغرى عدد من الأقليات مثل الروم ، والأفارقة ، والنصارى وغيرهم ، وقد لعبت العصبية دورا كبيرا فى تماسك النظام القبلى ، وساعد العرب

فى نشر العادات ، والتقاليد الإسلامية داخل هذا المجتمع ، كما استطاع المسلمون نشر معظم مبادئ الدين الإسلامى بين مجتمع البربر فى العصر الأموى.

الفصل الخامس: "انتشار الإسلام ، واللغة العربية بين البربر" وقد اتضح فى هذا الفصل الدور الكبير الذى قام به المسلمون الفاتحون فى نشر مبادئ الإسلام ، وقواعد اللغة العربية بين قبائل البربر المختلفة، وقد سلك المسلمون عدة طرق كانت جديرة بإقبال قبائل البربر على الدين الإسلامى منها المعاملة الحسنة، والقول اللين هذا إلى جانب استخدام الكتاب ، والخيمة ، والرباط ، والزاوية فى التعليم.

الفصل السادس: "ثورات البربر فى العصر الأموى": وقد تبين فى هذا الفصل أسباب هذه الثورات ، حيث تعددت ما بين أسباب اقتصادية ، واجتماعية ، وعنصرية ، وسياسية ، واتضح فى هذا الفصل دور الخوارج فى هذه الثورات ، وقد ألفت هذه الثورات الضوء على معاملة بعض ولاة إفريقية من قبل الخلافة الأموية للبربر، وأثرها فى قيام هذه الثورات ، ودور بعض زعماء البربر فى هذه الثورات ، وتصميم الخلافة الأموية على التصدى لهذه الثورات مهما كان الثمن حتى تم القضاء عليها ، وإقرار الأمور ، والنظام فى هذه البلاد حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من دولة الإسلام الكبرى.

الخانمة
بسمه

الخاتمة

هذا هو شعب البربر فى العصر الأموى ، وأوجز فى النهاية أهم ما توصلت إليه من نتائج فى هذا البحث:

١- نشأت قبائل البربر فى شمال القارة الإفريقية منذ أقدم العصور، وتركز وجودهم بصفة خاصة فى المنطقة الواقعة بين برقة فى دولة ليبيا المجاورة لمصر، وحتى مدينة طنجة فى دولة المغرب، دخلوا هذه المنطقة من حوض البحر المتوسط عن طريق مجموعتين: الأولى استقرت فى الساحل الشمالى حيث مال لونها إلى البياض ، الثانية استقرت فى الجنوب حيث مال لونها إلى السواد.

٢- إن لفظ البربر أطلقه الإغريق ، والرومان على من لا يتكلم لغتهم ، وقد أخذها العرب عنهم، وتطلق فى الوقت الحالى على أى شعب يقوم بأعمال متوحشة ، أو همجية ، لكن البربر لا يطلقون هذه التسمية على أنفسهم ، بل يعرفون بأسماء شعوبهم ، وقبائلهم.

٣- إن البربر لهم أصول حامية ، وسامية ، وقد ساعد موقعهم الجغرافى على كثرة عدد الوافدين عليهم على مر التاريخ كالوندال ، والغنقيين ، والرومان ، ثم العرب الذين استقروا ، وامتزجوا بشعب البربر فنتج عن ذلك شعب عربى بربرى مسلم بصفة عامة ، وكثير عنصر المولدين من الجنسين.

٤- بالرغم من أن قبائل البربر تعتبر جنسا واحدا ، إلا أنها تنقسم اجتماعيا إلى قسمين رئيسيين برانس ، وبتر ، وينفرع منهما قبائل عديدة، وقد تصل القبيلة فى بعض الأحيان إلى أكثر من عشرين فرعا.

٥- انتشر بين البربر عبادة النار ، والمجوسية ، والوثنية ، هذا إلى جانب المسيحية ، واليهودية إلا أن إنتشارهما كان ضعيفا ، بسبب عدم اهتمام القائمين عليها ، وعلى الرغم من انتشار المسيحية بصورة أوسع من اليهودية ، إلا أنها لم تصل إلى حد القوة التى تعوق نشر الإسلام ، حيث أنها لم يبق لها أثر يذكر فى هذه المنطقة بعد دخول الإسلام.

١٤- أن العرب قد ركزوا جهودهم فى نشر الإسلام ، فلما نجحوا فى ذلك طلب البربر المزيد من المعرفة من العرب عن بقية شئون حياتهم اليومية ، وقد أدت هذه السياسة إلى دخول كثير من البربر فى الإسلام ، حيث وجدوا ما ينشدون من حرية ومساواة ، وهذا يفسر سر إقبال البربر على الجهاد فى سبيل الله ، ودورهم الكبير فى فتح الأندلس.

١٥- تم فى عهد خلفاء الدولة الأموية إنشاء عدة مدن عربية إسلامية كالقيروان ، وتونس ، وهى مدن مختلفة فى التكوين والنشأة عن المدن ، الفينيقية والبيزنطية ، مما كان له أثر كبير فى تغيير شكل وتكوين المدن التى قامت بعد ذلك.

١٦- إن اتهام كثير من المؤرخين والدارسين لخلفاء بنى أمية بعزل القادة البارزين فى دولتهم خوفا من نفوذهم ، والخليفة سليمان بن عبدالمك الذى عزل أشهر قواده فى المغرب والأندلس ، وهو موسى بن نصير بعد أن اتهم بعدة تهم منها الخيانة وجمع الثروات الطائلة ، هذا إلى جانب اضممار الخليفة سليمان الحقد والكراهية لموسى ، لا تثبت أمام النقد والتحليل ، ولا تتفق مع أقدار هؤلاء الخلفاء والقادة العظام الذين ساهموا فى نشر الإسلام فى كثير من أرجاء العالم.

١٧- استطاع موسى بن نصير فى وقت قصير من أن يضع الثقة فى البربر، فبدأ بخطوة تعتبر فريدة من نوعها فى العصر الأموى ، وهى تعيين أحد البربر قائدا عاما للجيش الفاتح للأندلس ، "وهو طارق بن زياد".

١٨- إن التهم الموجهة إلى عبيد الله بن الحجاج ، ومنها قتل النعاج ، واستخراج أجنتها لأخذ جلودها العسلية ، وإهدائها للخليفة الأموى هشام بن عبدالمك ، قد تناقضت فيها أقوال المؤرخين، وأنه على فرض حدوث مثل هذا التصرف ، فهو تصرف فردى لا يمكن أن نعممه على جميع الولاة الذين ولوا إفريقيا ، ولا على جميع خلفاء بنى أمية.

١٤- أن العرب قد ركزوا جهودهم فى نشر الإسلام ، فلما نجحوا فى ذلك طلب البربر المزيد من المعرفة من العرب عن بقية شئون حياتهم اليومية ، وقد أدت هذه السياسة إلى دخول كثير من البربر فى الإسلام ، حيث وجدوا ما ينشدون من حرية زمساواة ، وهذا يفسر سر إقبال البربر على الجهاد فى سبيل الله ، ودورهم الكبير فى فتح الأندلس.

١٥- تم فى عهد خلفاء الدولة الأموية إنشاء عدة مدن عربية إسلامية كالقبروان ، وتونس ، وهى مدن مختلفة فى التكوين والنشأة عن المدن ، الفينيقية والبيزنطية ، مما كان له أثر كبير فى تغيير شكل وتكوين المدن التى قامت بعد ذلك.

١٦- إن اتهام كثير من المؤرخين والدارسين لخلفاء بنى أمية بعزل القادة البارزين فى دولتهم خوفاً من نفوذهم ، والخليفة سليمان بن عبدالمك الذى عزل أشهر قواده فى المغرب والأندلس ، وهو موسى بن نصير بعد أن اتهم بعدة تهم منها الخيانة وجمع الثروات الطائلة ، هذا إلى جانب اضممار الخليفة سليمان الحقد والكراهية لموسى ، لا تثبت أمام النقد والتحليل ، ولا تتفق مع أقدار هؤلاء الخلفاء والقادة العظام الذين ساهموا فى نشر الإسلام فى كثير من أرجاء العالم.

١٧- استطاع موسى بن نصير فى وقت قصير من أن يضع الثقة فى البربر، فبدأ بخطوة تعتبر فريدة من نوعها فى العصر الأموى ، وهى تعيين أحد البربر قائداً عاماً للجيش الفاتح للأندلس ، "وهو طارق بن زياد".

١٨- إن التهم الموجهة إلى عبيد الله بن الحبحاب ، ومنها قتل النعاج ، واستخراج أجنتها لأخذ جلودها العسلىة ، وإهدائها للخليفة الأموى هشام بن عبدالمك ، قد تناقضت فيها أقوال المؤرخين، وأنه على فرض حدوث مثل هذا التصرف ، فهو تصرف فردى لا يمكن أن نعممه على جميع الولاة الذين ولوا إفريقية ، ولا على جميع خلفاء بنى أمية.

١٩- أن طبيعة بلاد البربر كان لها تأثيرها على المجتمع البربرى من حيث ، وجود الجبال ، وتسببها فى سقوط المطر الذى يستخدم فى عملية الزراعة ، والرعى ، وأنواع التربة الزراعية، وملكية الأرض ، وأوضاع الفلاحين.

٢٠- أن النشاط الصناعى كان محدودا لدى البربر أثناء ، وقبل دخول الأمويين نظرا لطبيعة بلادهم ، وأن كثيرا من الصناعات التى وجدت لديهم كانت محدودة.

٢١- كان للأمويين اهتمام بالأسواق ، وتنظيمها وخاصة الخليفة هشام بن عبدالمك الذى أمر عامله ابن الحجاب بتنظيم ، وتوسيع الأسواق فى إفريقيا.

٢٢- حاول حسان بن النعمان فرض هيئة الدولة الأموية ، وإشعار البربر بقوتها ، فقام بإصلاحات كبيرة ، منها تعديل فى العملة ، وتغيير الشعار الموجود عليها بما يتناسب مع قوة الدولة الأموية.

٢٣- أن العصبية القبلية الموجودة لدى البربر قد أدت إلى عدم اتحادهم أمام العرب ، مما سهل على العرب فتح بلادهم ، واستقرارهم فيها ، وبالرغم من ذلك فقد مكث العرب أكبر مدة من الزمن استغرقها فتح بلد من البلدان، وضمها إلى الدولة الإسلامية ، نظرا لطبيعة البربر وطبيعة بلادهم.

٢٤- كانت هناك مظاهر كثيرة للتشابه بين العرب والبربر، وكان لهذا دوره فى الاندماج السريع بين الشعبين ، مما سهل مهمة الولاة فى العصر الأموى ، وسهل نقل كثير من العادات والتقاليد العربية، ومظاهر الحياة الإجتماعية الإسلامية إلى قبائل البربر فى وقت قصير.

٢٥- لعب الصحابة ، والتابعون الذين دخلوا إفريقيا دورا هاما فى نشر الإسلام ، وتعليمهم اللغة العربية عند قبائل البربر خلال مرحلة الفتح الطويلة ، وبعد اتمام الفتح من خلال عدة مؤسسات منها المكاتب ، والأربطة ، والزوايا وغيرها.

٢٦- أن دخول الإسلام إلى البربر ألغى نظام القبيلة بينهم، كما ألغى تقسيم البربر إلى برانس وبتر ، فأصبح للبربر كيان متحد داخل نظام حكومى موحد داخل الإمة الإسلامية.

٢٧- أصبح للبربر بعد دخولهم الإسلام دور ، وتأثير فى كثير من مناحى الحياة فى الدولة الإسلامية فى العصر الأموى ، وغيره ، بعد أن كانوا أمة تتداعى عليها كل من اليونان ، والرومان وغيرهم من الذين احتلوهم.

٢٨- أن ضغط الخلافة الأموية على الخوارج فى المشرق قد أدى إلى لجوء عدد كبير منهم إلى إفريقية ، فتوغلوا داخل الصحراء، وفى الأماكن البعيدة ، وكان لهم دورهم فى نشر الإسلام ، واللغة العربية إلى جانب الدعوة لمذهبهم.

٢٩- أدت ثورات البربر فى العصر الأموى إلى جذب اهتمام الخلفاء إلى هذا الجزء من الدولة الإسلامية ، وما يحدث فيه ، مما أدى إلى استقرار الأمور فيه شيئاً فشيئاً ، وزيادة انتشار الإسلام ، واللغة العربية.

٣٠- رفض البربر المعاملة السيئة التى لاقوها من بعض ولاة بنى أمية عليهم مثل يزيد بن أبى مسلم، وعبيد الله بن الحباب ، بعد ما نعموا بنسيم الحرية ، ومبادئ المساواة ، والحق والعدل ، وهذا يوضح نتيجة هامة لثورة البربر، أن هذه الثورة ليست على مبادئ الدين الإسلامى ، لكن على بعض الولاة الذين يطبقوا مبادئ هذا الدين الحنيف فى حكم هذا الشعب.

المصادر والمراجع والدوريات

٢٠١٤

المخطوطات المصنفة القديمة

قائمة المصنفة والمراجع

أولاً: المخطوطات

- ١- التماذتمرى: طييفا الجركلمش التماذتمرى. الفلاحة المنتخبة - مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٢٢ ، زراعة ، ميكروفيلم ٤٥٠٣٦.
- ٢- الحكيم غسطوس: الفلاحة الرومية ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٣٣ ، ميكرو فيلم ٤٢١٧٤.
- ٣- الغزى: رضى الدين رضى الدين الغزى. كتاب الفلاحة ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٢٤٢ زراعة خليل أغا ، ميكروفيلم ٤٢١٩.
- ٤- ابن فضل العمرى : أحمد محيي بن فضل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف ابن نصر القرشى العدوى ، العمرى ، الدمشقى . ت ٧٠٠ - ٧٤٩ هـ / ١٢٩٩ / ١٣٤٩ م ، مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، الرمز معارف عامة ٥٦٠ ميكروفيلم رقم ٥٢٦٥٠.
- ٥- مجهول: نكر من أسس مدينة فاس ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، الرمز ميكروفيلم ١٠٩٨٨.
- ٦- مجهول: رسالة فى الجغرافيا، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ١٩٤٩ الرمز ، ط ، ميكروفيلم ٤٢٨٠٥.
- ٧- مجهول: عقد الجواهر فى نسب البربر، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٥٦٦ تاريخ تيمور، ميكروفيلم ٢٧٤١٧.
- ٨- المغربى: محمد الشطبي المغربى. الجمان فى أخبار الزمان ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ١٤١٦ تاريخ ميكروفيلم ١٤١٩٧.

٩- ابن الوردى: أبو عبدالله عمر بن مظفر بن عمر المصرى الشهير بابن الوردى ت. ٧٥هـ/ ١٣٤٩م ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مخطوطة بدار الكتب القومية ، رقم ٤٧٥ جغرافيا طلعت ، ميكروفيلم ١٩٥٢١.

ثانياً: المصادر القديمة

١- ابن الآبار: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى، المعروف "بابن الآبار" ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م: "الحلة السيرة" ، الجزء الأول ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى عام ١٩٦٣م.

٢- الباجى: أبو عبدالله محمد الباجى السعودى ت ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م : *الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية*، الطبعة الثانية سنة ١٢٨٣هـ ، تونس.

٣- البغدادى: أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادى ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م:

الفرق بين الفرق وبين الفرقة الناحية منهم ، تحقيق محمد بدر ، مطبعة المعارف الفجالة بدون تاريخ ، بمصر .

٤- البكرى: أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى ت ٤٨٧هـ/ ٩٨٩م: *المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ، وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك ، عام ٩١١م طبعة الجزائر.

٥- البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر المعروف "بالبلاذرى" ت ٢٧٩هـ/ ٨٨٩م: *"فتوح البلدان* ، القسم الأول ، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربى لاطوغلى .
* - *أنساب الأشراف* ، الجزء الأول ، تحقيق د/ محمد حميدالله ، سنة ٩٥٩م دار المعارف ، مصر.

- ٦- **التجاني**: أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني ، قام بالرحلة ٦٧٠-٦٧٥هـ / ١٢٧٢-١٢٧٦م: *رحلة التجاني* ، قدم لها حسن حسنى عبدالوهاب ، سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م المطبعة الرسمية ، تونس.
- ٧- **ابن تغرى بردى**: جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م: *التجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة* ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.
- ٨- **التميمي**: أبو حاتم محمد حبان بن أحمد التميمي ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م: *مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار*، حققه مرزوق على ابراهيم ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الوفاء للطباعة ، المنصورة.
- ٩- **ابن الأثير**: أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني "المعروف بابن الأثير" ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م: *الكامل فى التاريخ*، الجزء الثالث، الطبعة السادسة ، سنة ١٤٠٦هـ / ٩٨٦م، بيروت.
- *- *أسد الغابة فى معرفة الصحابة* ، الجزء الرابع ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور، محمود فايد ، كتاب الشعب بدون تاريخ ، القاهرة.
- ١٠- **الجربى**: محمد أبو راس الجربى (ت بعد سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٦م): *مؤنس الأحبة فى جربه تحقيق محمد الرزوقى*، سنة ٩٦٠م تونس.
- ١١- **الجزنائى**: أبو الحسن على الجزنائى ت أواخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى. *زهرة الآس فى بناء مدينة فاس* سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م الجزائر.
- ١٢- **ابن حزم**: أبو محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى ت ٤٥٦هـ / ٨٦٣م: *جمهرة أنساب العرب*، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٢م ، دار المعارف ، مصر.

١٣- الحسن الوزان: جان ليون الإفريقي "الحسن بن محمد الوزان الزياني" وصف إفريقية ، ترجمة د/ عبدالرحمن حميدة ، مراجعة د/ علي عبدالواحد ، سنة ٣٩٩م، طبعة الرياض.

١٤- الحميري: محمد بن عبدالمنعم الحميري ت ٨٦٦هـ / ١٤٦٣م: الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٤م، لبنان.

١٥ ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م: صورة الأرض ، بدون تاريخ ، بيروت .

١٦- ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب ٧١٣-٧٧٦هـ/ ١٣١٣-١٣٧٤م: تاريخ المغرب العربي "أحوال المسلمين الخارجين من الأندلس" سنة ٩٩٠م، باريس.

١٧- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، الجزء الثالث عشر ، الطبعة الأولى، سنة ٩٣١م، القاهرة.

١٨- ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون المغربي ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م: المقدمة المطبوعة التجارية الكبرى ، بدون تاريخ. *- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من نوى السلطان الأكبر الجزء السادس ، القسم الأول ، دار الكتاب اللبناني، سنة ١٩٨١م ، بيروت.

١٩- خليفه بن خياط: تاريخ خليفه بن خياط ، تحقيق د/ اكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، بيروت .

٢٠- ابن خردادبه: أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن خردادبه ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م: المسالك والممالك ، بدون تاريخ ، طبعة ليدن .

٢١- ابن خلكان: شمس الدين أبي العباسي أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
ت ٦٨١هـ - ٢٨٢م: *وفيات الأعيان وأبناء الأبناء الزمان* ، الجزء
الأول ، سنة ١٢٧٥هـ القاهرة.

٢٢- الدباغ: عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الأنصاري "المعروف بالدباغ" ت
٦٩٦هـ / ١٢٩٦م أو ٨٣٧هـ / ٣٣ - ١٤٣٤م
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، الجزء الأول،
سنة ٩٦٨م، مصر.

٢٣- أبو عبدالله محمد بن محمد بن ادريس الحمودي المعروف "بالشريف
الإدريسي" من علماء القرن السادس الهجري :
صفه المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من
كتاب *نزهة المشتاق* ، سنة ١٨٩٤م. ليبدن
* - *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* ، مكتبة الثقافة الدينية ،
بدون تاريخ ، القاهرة .

٢٤- ابن أبي دينار: محمد بن أبي القسم الرعيني القيرواني المعروف "بابن أبي
دينار" ت ١١١٠هـ / ١٧٠٧م، ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م
المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، سنة ١٣٥٠هـ مطبعة
النهضة، تونس.

٢٥- الذهبي: الحافظ شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م:
دول الإسلام ، الجزء الأول ، والثاني ، طبعة قطر،
سنة ٩٨٨م، قطر.

٢٦- الإربلي: عبدالرحمن سنبط فينتو الإربلي ت ٧١٧هـ / ١٣١٤م:
خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، علق عليه
وضبطه ، مكى السيد جاسم ، بدون تاريخ ، بغداد .

٢٧- الرقيق القيرواني: أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم "ت في النصف الأول من
القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي"

تاريخ إفريقية والمغرب ، قطعة من أواسط القرن الأول الهجرى ،
إلى أواخر القرن الثانى الهجرى ، تحقيق المنجى الكعبى ، سنة
١٩٦٨م ، تونس.

٢٨- ابن أبى زرع: أبو الحسن على بن عبدالله بن أبى زرع الفاسى
ت ٧٢٠هـ/١٣١٤م:

الأنيس المطرب روض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق محمد الهاشمى الفيلالى ،
سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، الرباط ، المغرب.

٢٩- الزركلى: خير الدين الزركلى:

الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب
والمستعربين ، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٨٦م ، دار العلم للملايين ،
بيروت ، لبنان.

٣٠- الزهرى: أبو عبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى "أواسط القرن السادس
الهجرى"
كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، بدون تاريخ.

٣١- السقطى: أبو عبدالله محمد بن أبى محمد المالقى الأندلس :
كتاب فى آداب الحسبة ، نشر كولان ، وليفى بروفنسال ، بدون
تاريخ.

٣٢- السيوطى: الحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، الجزء الثانى ،
سنة ١٢٩٩هـ مطبعة ادارة الوطن ، مصر.

*- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ،
سنة ١٩٨٩م ، بيروت.

٣٣- الشهرستانى: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستانى ت ٥٤٨هـ /
١١٤٧م:

الملل والنحل ، هامش كتاب الفصل فى الملك والنحل والأهواء ،
لأبى حزم ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣١٧هـ القاهرة.

٣٤- أبو طالب الأنصارى: شمس الدين أبى عبدالله محمد أبى طالب الأنصارى
ت ٧٢٧هـ / ٣٢٦م: **نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر** ،
سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م مطبعة الأكاديمية الأمبراطورية.

٣٥- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م:
جامع البيان عن تأويل آل القرآن ، حققه وخرج أحاديثه محمود
محمد شاكر، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ، سنة ٩٥٧م، دار
المعارف، مصر.

*- **تاريخ الرسل والملوك** ، الجزء الرابع ، والخامس ،
والسادس ، الطبعة الرابعة ، سنة ٩٧٩م دار المعارف ، مصر.

٣٦- ابن عبدالحكم: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين
القرشى المصرى ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م:
فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، سنة ٩٢٠م.
*- فتوح مصر والمغرب ، بدون تاريخ ، طبعة ليدن.

٣٧- العبدى: أبو عبدالله محمد بن محمد بن على بن أحمد بن مسعود البنسلى ،
قام برحلته ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م رحلته المسماة **بالرحلة المغربية** ،
تحقيق محمد الفاسى سنة ١٩٦١م، الرباط.

٣٨- ابن عبدون: محمد بن أحمد بن عبدون التجيى:
رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة ، نشرها ليفى بروفنسال،
ضمن ثلاث رسائل أندلسية سنة ٩٥٥م، مطبعة المعهد العلمى
الفرنسى للأثار الشرقية ، القاهرة.

٣٩- أبو العرب: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروانى ت ٣٣٣هـ /
٩٤٤م:

طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق على الشابي ، نعيم حسن
اليافي ، سنة ١٩٦٨م ، تونس.

٤٠ - عبدالواحد المراكشي: مجي الدين بن محمد بن علي ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م:
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ،
ومحمد العربي ، سنة ١٩٤٩م ، مطبعة الإستقامة ، القاهرة.

٤١ - ابن عذاري: أبو عبدالله محمد المراكشي (ت في أواخر القرن السابع
الهجري):
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان ، ليفي
بروفنسال ، سنة ١٩٤٨م ببيروت ، لبنان.

٤٢ - ابن عطية: أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي:
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الجزء الخامس ،
تحقيق عبدالله بن ابراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد
ابراهيم ، الطبعة الأولى ، رجب ١٤٠٣هـ / أبريل ١٩٨٣م ،
الدوحة.

٤٣ - أبو الفداء: الملك المؤيد أبو الفدا اسماعيل صاحب حماه ت ٧٣٤هـ/
١٣٢٧م:
تاريخ أبو الفداء د.م ، دن ، سنة ١٩٣٥م .
* - تقويم البلدان ، سنة ١٨٥٠م طبعة باريس ، مكتبة المثنى
بغداد، ومؤسسة الخارجي مصر.

٤٤ - ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني "المعروف بابن الفقيه" أواخر
القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي:
مختصر كتاب البلدان ، سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م ، طبعة ليدن.

٤٥ - ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت
٢٧٦هـ / ٨٨٩م:
الإمامة والسياسة ، تحقيق محمد الزيني ، سنة ١٩٦٧م ، القاهرة.

٤٦ - القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، الجزء الخامس ، سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ، طبع بالمطبعة الأميرية ، القاهرة.

٤٧ - ابن قنفذ: أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب "الشهير بابن قنفذ القسنطيني" ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م: **الوفيات** ، تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧١م، بيروت.

٤٨ - ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر "المعروف بابن القوطية" ت ٣٦٧هـ / ٩٨٠م: **تاريخ افتتاح الأندلس** ، تحقيق ابراهيم الإبياري ، سنة ١٩٨١م، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة.

٤٩ - الكرخي: أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفاسي الإصطخري "المعروف بالكرخي" ت ٣٤٦هـ / ٩٥٩م: **مسالك الممالك** ، سنة ١٩٦٧م، ليدن.

٥٠ - الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م: **الولادة وكتاب القضاة** ، تحقيق رفن كست ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، سنة ١٩٠٨م بيروت.

٥١ - الكوفي: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م): **كتاب الفتوح** ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الندوة، بدون تاريخ ، بيروت.

٥٢ - مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم** ، مكتبة المثني ، بدون تاريخ ، بغداد .

٥٣ - مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد ، سنة ١٩٥٨م جامعة الإسكندرية.

- ٥٤- **المالكي**: أبو بكر عبدالله بن أبي عبدالله المالكي ت في منتصف القرن الخامس الهجري: **الكحادي عشر الميلادي** :
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥١م القاهرة.
- ٥٥- **الموردى**: على بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ / ١٠٩٨م
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، سنة ١٩٧٨م القاهرة.
- ٥٦- **المراكشى**: عبدالواحد بن على ت ٦٦٩هـ / ١٢٧١م:
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، حققه وعلق على حواشيه محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٩م، القاهرة.
- ٥٧- **المسعودى**: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م:
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، سنة ١٣٤٦هـ ، مصر.
- ٥٨- **المقدسى**: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبى بكر البشارى ت ٣٨٧هـ أو ٣٩٠هـ / ٩٩٧م أو ١٠٠٠م:
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٠٦م، القاهرة.
- ٥٩- **المقرى**: أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م:
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الثالث ، نشر أحمد رفاعى ، سنة ١٩٣٦م القاهرة.
- ٦٠- **الناصرى**: أبو عباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م:
الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصر ومحمد الناصر ، الجزء الاول ، سنة ١٩٥٤م، الدار البيضاء.

٦١- النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م: *نهاية الأرب فى فنون العرب* ، الجزء الرابع والعشرين ، تحقيق د/ حسين نصار ، مراجعه د/ عبدالعزيز الالهوائى ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، إصدار المجلس الأعلى للثقافة ، بالإشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٢- الونشريسى: أحمد بن يحيى الونشريسى: ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م *المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب*، تحقيق محمد هجى ، وآخرون سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت.

٦٣- ياقوت: شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م: *معجم البلدان* ، تحقيق فريد عبدالحميد الجندى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، بيروت.

٦٤- اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح "المعروف باليعقوبى" ت ٢٨٤هـ / ١٨٩٧م: *كتاب البلدان* ، سنة ١٨٩٥م ، ليدن.

ثالثاً: المراجع الحديثة العربية والمترجمة

١- ابراهيم حركات: *المغرب عبر التاريخ* ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ، دار السلمى ، الدار البيضاء.

٢- د/ ابراهيم زرقان: *العائلة البشرية* ، مكتبة الآداب بالجماميز ، بدون تاريخ.

٣- د/ ابراهيم شعوط: *أباطيل يجب أن تحمى من التاريخ* ، بدون تاريخ.

٤- د/ ابراهيم على طرخان: *امبراطورية البرنو الإسلامية* ، سنة ١٩٧٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.

- ٥- د/ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ، ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، مصر .
- ٦- أحمد أمين: ظهر الإسلام ، الجزء الأول ، سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م القاهرة.
- ٧- د/ أحمد سوسه: العرب واليهود فى التاريخ ، الطبعة السادسة ، بدون تاريخ، دمشق .
- ٨- د/ أحمد سويلم العمرى: الإفريقيون والعرب ، سنة ١٩٦٧م مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٩- د/ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
- *- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، الجزء الرابع ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٧٩م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
- *- موسوعة النظم والحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامى، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧٤م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
- ١٠- أحمد صقر: مدينة المغرب العربى فى التاريخ ، الجزء الأول ، سنة ١٩٥٩م، تونس .
- ١١- أحمد فكرى: مسجد القيروان ، سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، مطبعة المعارف ، مصر .
- ١٢- أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى سنة ١٩٦٣م ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
- ١٣- د/ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ ، اسكندرية .

- ١٤- د/ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، ١٩٦٦م ،
ملتزم الطبع والنشر ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- *- التاريخ السياسى والحضارة للدولة العربية ، بدون تاريخ، بيروت .
- *- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، "من الفتح العربى حتى سقوط
الخلافة بقرطبة" ، بدون تاريخ ، اسكندرية .
- *- تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ،
اسكندرية .
- ١٥- أمين سامى باشا: تقويم النيل ، سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م ، القاهرة.
- ١٦- انتونى سلاوى: الجغرافيا الإجتماعية لإفريقية ، ترجمة د/ ابراهيم أحمد
رزقانه ، محمد جمال الدين رزقانه ، الناشر دار النهضة
العربية ، بدون تاريخ ، مصر .
- ١٧- باذل دافوس: إفريقية تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد ، دار الثقافة،
بدون تاريخ ، بيروت .
- ١٨- د/ بدوى عبداللطيف: النظام المالى الإسلامى المقارن ،
سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، مطابع الأهرام التجارية ، مصر .
- ١٩- توماس أرنولد: الدعوة إلى الاسلام ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ.
- ٢٠- د/ جلال يحيى وآخر: مشكلات الأقليات فى الوطن العربى ، سنة ١٩٨٠م ،
دار المعارف ، مصر .
- ٢١- جورج يعقوب: أثر الشرق فى الغرب فى العصور الوسطى ، ترجمة
د/ فؤاد حسنين على ، سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ، القاهرة.
- ٢٢- جوستان لوبون: حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى
الحلبى ، بدون تاريخ، القاهرة .

- ٢٣- د/ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة عشر ، سنة ١٩٩١م ، بيروت والقاهرة .
- *- النظم الإسلامية بالإشتراك مع على ابراهيم حسن ، سنة ١٩٧٠م مطبعة النهضة المصرية ١٩٩١م بيروت ، القاهرة .
- *- انتشار الاسلام فى القارة الإفريقية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٤م ، مطبعة النهضة العربية ، مصر .
- ٢٤- د/ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية بإفريقية ، الجزء الأول ، سنة ١٩٦٣م ، دار النهضة العربية .
- *- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، سنة ١٩٥٧م ، القاهرة .
- ٢٥- د/ حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية ، سنة ١٩٧٥م ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- *- الفنون الإسلامية ، الجزء الثانى ، سنة ١٩٧٥م ، القاهرة .
- ٢٦- د/ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضى والحاضر ، الناشر مؤسسة سجل العرب ، بدون تاريخ ، القاهرة .
- ٢٧- حسن حسنى عبدالوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، الجزء الأول سنة ١٩٦٤م ، الجزء الثانى سنة ١٩٦٦م ، مكتبة المنار ، تونس .
- *- شهيرات التونسيات ، بحث تاريخى أدبى من الفتح الإسلامى إلى الزمان الحاضر سنة ١٣٥٣ ، تونس .
- *- بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٣٠هـ / ١٩٧٠م ، تونس .
- ٢٨- د/ حسين مؤنس: عالم الإسلام ، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، الزهراء للإعلام العربى .

- * - فتح العرب للمغرب ، الناشر مكتبة الآداب بالجماميزه ،
بدون تاريخ ، مصر .
- * - معالم تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ،
سنة ١٩٨٠م ، مصر .
- ٢٩- خيولو كولاي: دراسة سلالات إفريقية ، ترجمة نجيب أبو ملهم ،
سنة ١٩٤٨م ، تطون .
- ٣٠- د/ رشيد الناضوري: تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الأول ، سنة ١٩٦٦م ،
ملتزم الطبع ، والنشر ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- ٣١- رينهات دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا ، الجزء الأول ، ترجمة د/ حسن
حبشى ، مراجعة د/ جمال محرز ، د/ مختار العبادي ،
سنة ١٩٦٣م ، دار المعارف ، مصر .
- ٣٢- زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، الجزء
الأول ، ترجمة زكى حسن ، وحسن محمود ، سنة ١٩٥١م ،
القاهرة .
- ٣٣- د/ زاهر رياض: شمال إفريقية فى العصور الوسطى ، سنة ١٩٨١م ،
القاهرة .
- ٣٤- د/ سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربى من الفتح إلى بداية
عصور الإستقلال ، الجزء الأول سنة ١٩٦٥م ، اسكندرية .
- ٣٥- د/ سنوسى يوسف ابراهيم: زنانه والخلافة الفاطمية ، الطبعة الأولى ، سنة
١٩٨٦م ، مطبعة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس .
- ٣٦- سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيفى البعلبكي ، الطبعة
الأولى ، سنة ١٩٦١م ، بيروت .

٣٧- د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الهجري نشأتها مقومات تطورها اللغوى الأولى ، سنة ١٣٣١هـ / ١٩٥٢م ، القاهرة.

*- حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت.

٣٨- د/ ضياء الدين الرئيس: عبدالمك بن مروان موحد الدولة العربية حياته عصره ، بدون تاريخ.

٣٩- الطاهر الزاوى: الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى..تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٣م، دار المعارف ، مصر.

٤٠- الأطلس العربى: وزارة التربية والتعليم طبعة سنة ١٩٨٩م القاهرة.

٤١- د/ طه عبدالعليم رضوان: جغرافيا العالم الإسلامى ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، بدون مكان.

٤٢- د/ عبدالشافى عبداللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة .

٤٣- عبدالعزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ، تحقيق د/ أحمد بن ميلاد ، محمد ادريس ، مراجعة حمادى الساحلى، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، لبنان.

٤٤- عبدالعزيز بنعبد الله: مظاهر الحضارة العربية ، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٧م،الدار البيضاء.
* - الآثار الإسلامية فى المغرب من أبحاث المؤتمر الثالث للآثار العربية ، سنة ١٩٥٧م، فاس.

٤٥- عبدالله كنون: مدخل إلى تاريخ المغرب ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م ، تطوان ، المغرب.

- ٤٦- د/ عبدالمنعم سيد عبدالعال: لهجة شمال المغرب ، سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة.
- ٤٧- د/ عبدالمنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧١م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.
- ٤٨- عثمان الكعاك: المجتمع التونسى على عهد الأغالبة، مطبعة العرب ، بدون تاريخ ، تونس.
- *- الحضارة العربية فى حوض البحر الأبيض ، سنة ١٩٦٥م .
- *- البربر ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، تونس .
- ٤٩- د/ عطية القوصى: الحضارة الإسلامية ، سنة ١٩٨٥م ، مطبعة الجبلاوى ، الناشر دار الثقافة العربية ، القاهرة.
- ٥٠- على بهجت: قاموس الأمكنة والبقاع التى يرد ذكرها فى كتب الفتوح ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، القاهرة.
- ٥١- د/ على حسنى الخربوطلى: البحر المتوسط بحيرة عربية ، سلسلة إقرا ٢٤٧ ، سنة ١٩٦٣م ، القاهرة.
- ٥٢- على عبدالواحد وافى: حقوق الإنسان فى الإسلام ، سنة ١٩٥٦م ، نشر إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ، دار النيل للطباعة.
- ٥٣- عمرو أبو النصر: الخوارج فى الإسلام ، سنة ١٩٥٦م ، بيروت.
- ٥٤- لويس معلوف: المنجد فى اللغة ، الطبعة السابعة عشر، بدون تاريخ ، بيروت .
- ٥٥- ليفى بروفنسال: نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى ، سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣م ، المغرب.
- ٥٦- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، بيروت

- ٥٧- كوثر عبدالرسول ومحمد رياض: إفريقيا ، سنة ١٩٦٦م ، دار النهضة العربية ، بيروت.
- ٥٨- كولان: الأندلس ، ترجمة ابراهيم خورشيد ، حسن عثمان ، د/ عبدالحميد يونس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٠م ، بيروت.
- ٥٩- كولين ماكيفيدى: أطلس التاريخ الإفريقي ، ترجمة مختار السويفى ، سنة ١٩٨٧م ، بدون مكان.
- ٦٠- مبارك بن محمد الهالى الميلى: تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، سنة ١٣٥٠هـ ، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة.
- ٦١- مارمول كرفجال: كتاب إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية. محمد هجى ، محمد زيتير، محمد الأخضر ، سنة ١٩٨٨ ، ١٩٨٩م ، الرباط.
- ٦٢- محمد أحمد حسونه: أثر العوامل الجغرافية فى الفتوح الإسلامية ، سنة ١٩٦٠م ، مصر.
- ٦٣- محمد الحجوى: الفتح العربى لإفريقيا الشمالية ودفع المثالب عنه ، سنة ١٣٥٠هـ / ١٨٣١م ، تونس.
- ٦٤- محمد السنوسى: السبك الحديث فى تاريخ برقة القديم والحديث ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى، مطبعة الإخوان المسلمين ، سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
- ٦٥- محمد الفاسى: التعريف بالمغرب ، سنة ١٩٦١م ، مطبوعات جامعة الدول العربية ، القاهرة.
- ٦٦- د/ محمد المعتصم سيد: القاهرة والحضارة والإسلام فى إفريقية ، سنة ١٩٦٥م ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ٦٧- محمد بن تاويت وآخر: الأدب المغربى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٠م ، بيروت.

- ٦٨- محمد دياب بك: تاريخ العرب فى أسبانيا ، سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، طبع بالمطبعة الجمالية بمصر .
- ٦٩- د/ محمد زيتون: المسلمون فى المغرب والأندلس ، الجزء الأول ، سنة ١٩٨٣م ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر .
* - القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٨م ، دار المنار .
- ٧٠- محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ، دار احياء التراث العربى ، بدون تاريخ ، بيروت .
- ٧١- محمد عبدالفتاح ابراهيم: إفريقية الأرض والناس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ، القاهرة .
- ٧٢- محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الأول ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م ، القاهرة .
- ٧٣- محمد على ديبوز: تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م ، الجزء الثانى ، سنة ١٩٦٣م ، القاهرة .
- ٧٤- محمود اسماعيل عبدالرازق: الخوارج فى المغرب سنة ١٩٧٦م ، بيروت .
- ٧٥- محمود شيت خطاب: عقبة بن نافع الفهري ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧١م ، القاهرة .
- * - قادة فتح الشام ومصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، دار الفتح بيروت .
- ٧٦- محمود داود: تاريخ تطوان ، المجلد الأول ، بدون تاريخ ، طبعة تطوان .
- ٧٧- محمود ناجى: تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة عبدالسلام أدهم ، محمد الأسطى ، بدون تاريخ ، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب .

٧٨- مصطفى عبدالله بعيو: المجلد فى تاريخ ليبيا من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، بدون تاريخ، اسكندرية .

٧٩- المؤتمر السادس للأثار العربية فى الفترة من ١٨- ٢٧/٩/١٩٧١م ، طرابلس ليبيا ، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، سنة ١٩٧٣م ، القاهرة.

٨٠- د/ نازلى أحمد معوض: العلاقات بين فرنسا والجزائر، سنة ١٩٧٨م ، طبع الهيئة العامة للكتاب بالإشتراك مع مركز الأهرام للدراسات السياسية.

٨١- نقولا زيادة: ليبيا فى العصور الحديثة ، سنة ١٩٦٦م ، القاهرة.

٨٢- د/ يسرى الجوهري: جغرافية العالم العربى ، سنة ١٩٨١م ، منشأه المعارف ، اسكندرية.

٨٣- يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريده سنة ١٩٠٨م القاهرة.

رابعاً: الرسائل الجامعية

١- أقبال موسى: الحسبة فى المغرب، رسالة ماجستير بأداب عين شمس رقم ٩٦٤ ل.م-٣٦٨.

٢- السيد حمور: السيد أحمد ابراهيم حمور ، بين الدولة الأموية والعباسية ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة الأزهر رقم ١١٩٨ / ١ / ٩٢٢.

٣- السيد يونس: السيد محمد يونس: الحضارة الإسلامية فى مصر فى العصر الأموى ٣٨هـ: ١٣٢هـ ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة الأزهر ميكروفيلم ٤/٩١/١.

٤- **عبدالباقي كبير: عبدالباقي محمد أحمد كبير: المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة الأزهر رقم ٩٥٣،٧٢٤.**

٥- **على اليمنى دردير: الحياة الأدبية والنقدية في الفسطاط ومسجدها الجامع رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة رقم ٢١٧٩.**

٦- **على عبدالسلام: عقبة بن نافع ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة الأزهر رقم ٩٢٢،١/١١٩٨.**

٧- **محسن محمد حسن سليم: سليمان بن عبدالملك وسياسة الداخلية والخارجية في الشرق ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة ديسمبر سنة ١٩٧٨م.**

٨- **محمد بركات البيلى: البربر في الأندلس منذ الفتح وحتى عصر الإمارة سنة ٩٢ - ٣١٦هـ / ٧١١ - ٩٢٩م رسالة دكتوراه بأداب القاهرة سنة ١٩٨٢م ميكروفيلم رقم (CO2 - 0649)**

٩- **مغاوري منصور: مغاوري عبيد منصور: العلاقة بين العرب والبربر في شمال إفريقيا ، رسالة دكتوراه بمكتبة جامعة الأزهر ميكروفيلم ٣/٨٢٤/١.**

سادسًا: الدوريات والمجلات والصحف

١- **دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة عباس محمود ، عبدالحميد يونس ، أحمد الشنتناوى ، ابراهيم خورشيد ، مراجعة محمد أحمد جاد المولى بك ، سنة ١٩٣٣م ، دار الشعب القاهرة.**

٢- مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد:

أ- أبو الحسن الحكيم "أبو الحسن على بن يوسف الحكيم" عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد السادس سنة ١٩٥٨م ، طبعة مدريد.

ب- عبیدالله بن صالح: نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشر ليفى بروفنسال ، تعليق د/ حسين مؤنس ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثانى سنة ١٩٥٤م ، طبعة مدريد.

ج- مجهول: عاش فى عصر الموحدين: الطيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، نشر وتحقيق أمبروزيو أو بنى ميراندا ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد المجلد التاسع ، والعاشر سنة ١٩٦١-١٩٦٢م ، طبعة مدريد.

٣- مجلة كلية الآداب : جامعة الإمام محمد بن سعود ، سنة ١٩٧٨م ، الرياض ، السعودية.

د/ محمد شتا زيتون: تحليل تاريخى لما يذكره المؤرخون عن موسى بن نصير فى فتح الأندلس، العدد الثانى ، سنة ١٩٧٨م ، طبعة الناصرية ، الرياض ، السعودية.

٤- مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، سنة ١٩٤٨م ، مطبعة جامعة فؤاد الأول:

د/ حسين مؤنس: ثورات البربر فى المغرب والأندلس بين سنتى ١٠٢-١٣٦هـ / ٧٢١-٧٥٣م ، المجلد العاشر ، الجزء الأول ، مايو ، سنة ١٩٤٨م.

٥- جريدة الأهرام: أ: العدد رقم ٣٩٧٥٢ بتاريخ ٢٦ / ٩ / ١٩٩٥ م :

مقال بعنوان : البعض يسعى لتجميع شظايا لغوية متناثرة لتفتيت شعب
بأكمله.

ب: العدد رقم ٣٩٧٥٦ بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٩٥ م :

مقال بعنوان: سياسة الإستعمار أثارت الأحقاد بين العرب والبربر.

المقالان للدكتور/ محيي الدين عميمور كاتب جزائري.

٦٥
الفهرس
الباصت

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦ : ١	التمهيد: شعب وقبائل البربر دراسة عامة
٢	- تعريف البربر
٨	- أقسام البربر
١٦	- الدين عند البربر
١٩	- اللغة عند البربر
٢٤	- سمات البربر
٧٤ - ٢٨	الفصل الأول: فتح العرب للمغرب
٢٨	- عمرو بن العاص وفتح العرب لإفريقية
٣٦	- دور عبد الله بن سعد بن أبي سرح فى فتح إفريقية
٤١	- حملة معاوية بن حديج على إفريقية
٤٤	- عقبة بن نافع ودوره فى الفتوحات
٥٠	- دور أبو المهاجر دينار فى الفتح
٥٥	- ولاية عقبة الثانية وفتح المغرب الأقصى
٦٣	- زهير بن قيس البلوى وموقفه من البربر
٦٥	- حسان بن النعمان ودوره فى الفتوحات
١٠٩ : ٧٥	الفصل الثانى: أحوال البربر السياسية فى عصر ولاة بنى أمية
٧٦	- ولاية موسى بن نصير ودوره فى الفتح ونشر الإسلام
٩٠	- ولاية محمد بن يزيد القرشى
٩٢	- ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر
٩٤	- ولاية يزيد بن أبى مسلم
٩٦	- ولاية بشر بن صفوان الكلبي
٩٧	- ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمى

رقم الصفحة	الموضوع
٩٩	- ولاية عبيد الله بن الحبحاب
١٠٣	- ولاية كلثوم بن عياض القشيري
١٠٦	- ولاية حنظلة بن صفوان الكلبى
١٠٧	- ولاية عبد الرحمن بن حبيب الفهري
١٤٧ : ١١٠	الفصل الثالث: الحالة الإقتصادية لدى البربر فى العصر الأموى
١١١	- أولا: الزراعة
١١٢	- موارد المياه
١١٦	- التربة وأنواعها
١١٨	- المحاصيل الزراعية
١٢٤	ثانيا: الرعى
١٢٧	- الصيد
١٢٨	ثالثا: الصناعة
١٣٢	رابعا: التجارة
١٣٨	- الأسواق
١٤٠	- دار سك العملة
١٤٢	- أماكن الأسواق
١٨١ : ١٤٨	الفصل الرابع: الحالة الإجتماعية لدى البربر فى العصر الأموى
١٤٩	- القبيلة ونظام الحكم بها
١٥٥	- العصبية ودورها فى المجتمع البربرى
١٦١	- عناصر المجتمع فى بلاد المغرب
١٦٨	- النشاط الصناعى
١٧٠	- مظاهر الحياة الإجتماعية
١٧٠	- الملابس
١٧٢	- وضع المرأة
١٧٣	- المأكل والمشرب والمسكن
١٧٩	- الإحتفالات العامة والخاصة

رقم الصفحة	الموضوع
١٨٢ : ٢١٤	الفصل الخامس: انتشار الإسلام واللغة العربية بين البربر
١٨٣	- دور الولاة والصحابة والتابعين فى نشر الإسلام
١٨٩	- دور رويق بن ثابت والى برقة فى نشر الإسلام
١٩٠	- دور معاوية بن حديج فى نشر الإسلام
١٩١	- دور عقبية بن نافع فى نشر الإسلام واللغة العربية
١٩٥	- دور زهير بن قيس البلوى فى نشر الإسلام
١٩٦	- جهود حسان بن النعمان فى نشر الإسلام
١٩٧	- جهود موسى بن نصير فى نشر الإسلام
١٩٨	- عمر بن عبد العزيز ودورة فى نشر الإسلام فى المغرب بين البربر
٢٠٢	- عوامل إقبال البربر على الإسلام
٢٠٦	- أماكن التعليم
٢٠٦	- المسجد
٢٠٧	- الزاوية
٢٠٨	- الرباط
٢٠٩	- الكتاب
٢١٠	- الرحلة فى طلب العلم
٢١١	- الخوارج ودورهم فى نشر الإسلام
٢١٥ : ٢٤٦	الفصل السادس: ثورات البربر فى العصر الأموى
٢١٦	أولاً: الأسباب الإقتصادية
٢١٨	ثانياً: الأسباب الإجتماعية
٢١٩	ثالثاً: الأسباب العنصرية
٢٢٣	رابعاً: الأسباب السياسية
٢٢٥	- دور الخوارج فى قيام الثورة
٢٢٧	- ثورات البربر

رقم الصفحة	الموضوع
٢٢٧	١- ثورة ميسرة المطخري
٢٣٧	- كلثوم بن عياض القشيري وموقعة بقدورة
٢٤٠	- حنظله بن صفوان وموقعتا القرن والأصنام
٢٤٠	- عبد الرحمن بن حبيب يقضى على ثورات البربر
٢٤٧ : ٢٥٦	الملخص ونتائج الرسالة
٢٥٧ : ٢٨٠	قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع
٢٨٢ : ٢٨٥	الفهرس

منتدی سور الأزبکیه

WWW.BOOKS4ALL.NET